أيام مع طه حسين

تأليف

الدكتور محمد الدسوقي
كلية الشريعة - جامعة قطر

دار القلم
دمشق

الطّبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى إخوانه النبيِّين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

لقد أقدمت دار القلم على نشر هذا الكتاب (أيام مع طه حسين) لأمرين اثنين:

أولهما: لما احتواه هذا الكتاب من جملة كبيرة من آراء الدكتور طه حسين في الدين والسياسة والاجتماع والعلوم والفنون، وهذه الآراء لم تجتمع في كتاب آخر من كتب الدكتور.

وثانيهما: لتسهم دار القلم في إلقاء مزيد من الضوء على شخصية (طه حسين) مالئ الدنيا وشاغل الناس في عصره، فهو صاحب القضايا الساخنة التي أثارت معارك أدبية وعلمية واسعة، نذكر منها: قضية الشعر الجاهلي، ومستقبل الثقافة في مصر.

ودار القلم تحمد للدكتور طه حسين غَيْرته على اللغة الفصحى التي ظهرت في العديد من لقاءاته وأجوبته على الأسئلة، وتحمد له حثّه المتعلمين ولا سيما أساتذة الجامعات على القراءة في كتب التراث والعناية بها، وتحمد له آراء ومواقف عديدة سيقف عليها القارئ في صفحات هذا الكتاب.

بَيْدَ أنَّ الدار لا توافق عميد الأدب العربي في جملة من آرائه التي تتعلَّق بالدين، والتي جانب فيها التوفيقُ الدكتور طه، وقد نبَّهنا عليها في هوامش الكتاب وننبه عليها هنا، منها ما يتعلق بالصحابي

الجليل عبد الله بن عباس في الصفحة ٥٦، ومنها ما يتعلق بموضوع المعراج في الصفحة ١١٩، ومنها ما يتعلق برجم الزاني في الصفحة ١٢١ ومنها ما يتعلق بتفسير معنى الإسلام في الصفحة ١٤٣.

ولقد نبَّه مؤلف هذا الكتاب الدكتور محمد الدسوقي إلى مخالفته لرأي الدكتور في بعضها، وترك البعض الآخر للقارئ.

وسوف يجد القارئ في نهاية الكتاب فهرساً لموضوعاته وأفكاره خَلَت من الطبعة الأولى، ويقيناً فإن القارئ سوف يستفيد من هذا الفهرس.

ويسعد دار القلم أن تقدم الطبعة الثانية لهذا الكتاب راجية أن يفيد منه القراء وأن تتجلّى الصورة الحقيقية لعميد الأدب العربي في العصر الحديث في أذهان المثقفين والقرّاء.

دمشق في ١/رجب/ ١٤٢٣هـ
٨/ ٩ /٢٠٠٢م

الناشر

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذه الأيام منذ نحو ربع قرن، ونفدت هذه الطبعة في فترة وجيزة، وَعَرضتُ الجهة التي قامت بنشر الطبعة الأولى أن تعيد طبع الكتاب مرة ثانية، ووافقت على ما عرضت، بيد أنها لسبب لا أعرفه لم تقم بإعادة الطبع.

وقد شُغلت بعد ذلك عن التفكير في طبع هذه الأيام مرة ثانية على الرغم مما تلقيته من الرسائل العديدة التي كانت تطلب تيسير الحصول على هذا الكتاب بإعادة طبعه، وبخاصة في مصر ودول المغرب العربي، حيث لم يتح توزيعه في هذه الأقطار، ولم يعرف المهتمون بحياة عميد الأدب العربي وآثاره الفكرية والأدبية عن هذا الكتاب إلا من خلال ما كتب عنه في بعض الصحف والمجلات ولا سيما صحيفة السفير اللبنانية التي نشرت عنه صفحة كاملة.

واتفقت كلمة الذين عرضوا لهذه الأيام بالنقد والتعليق على أنها وثيقة تاريخية سجَّلت كثيراً من القضايا الأدبية والأحداث السياسية، وأومأت إلى طرف من الحقائق التي تتعلق بفكر طه حسين وعقيدته، وكان لها أثرها في تغيير بعض المواقف المناوئة للعميد، وكان يمكن أن تظل مجهولة لو لم تسجَّل على هذا النحو الذي ظهرت به.

وحين أبدت دار القلم بدمشق رغبتها في إعادة طبع هذه الوثيقة لم أتردَّد في الترحيب بهذه الرغبة، ولعلها تنهض بتوزيعها في كل الأقطار العربية وغيرها، وهي جديرة بهذا.

على أني لم أضف شيئاً إلى محتوى هذه الأيام، بيد أني ألحقتُ

بها كلمة صحَّحتُ بها ما كان قد نشره أحد الكُتّاب، وزعم أنه آخر حديث لطه حسين، وأثبتُّ أن هذا الزعم غير صحيح، وأن ما ورد فيما نشر لا يعوَّل عليه في دراسة عن عميد الأدب العربي.

وأطمع أن أعدّ للطبع مستقبلاً إن شاء الله ما نشرتُه في بعض المجلات كالعربي والهلال عن طه حسين، وما أثاره بعض ما نشر من حوار علمي بيني وبين أحد المعاصرين من الباحثين والكُتّاب.

الدوحة في ٢٣ رمضان سنة ١٤٢٢هـ
٨ ديسمبر سنة ٢٠٠١م

أ.د. محمد الدسوقي
كلية الشريعة ـ جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طه حسين عبقرية أدبيَّة وفكريَّة معاصرة بلا جدال، فهذا القروي الضرير الفقير كان أول من حصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة، ثم عَبرَ البحر ليواصل دراسته في أعرق الجامعات الأوروبية، فنال منها أرفع الدرجات العلمية، وعاد بعد ذلك أستاذاً يرسي مبادئ الحرية الفكرية والسياسية، ويخوض في سبيلهما المعارك الكثيرة، وقد تعرَّض من أجل هذا لضروبٍ مختلفةٍ من الأذى، فما زادته إلا إصراراً على مواقفه، واستمساكاً بما يدعو إليه.

وآثار هذا العبقريِّ في مجال الكتابة الأدبية والبحث العلمي خير شاهد على منزلته، وهي منزلة الريادة مهما تباينت الآراء في العميد الجليل.

ولستُ هنا بصدد الحديث عن طه حسين وأثره، وبيان موقف الدارسين والباحثين منه، وإنما هي كلماتٌ عامة أقدِّم بها لهذه الأيام التي سَعِدْتُ فيها بلقاء عميد الأدب العربي.

لقد بدأت علاقتي بالعميد في أواخر سنة ١٩٦٤، وامتدت إلى صيف سنة ١٩٧٢، أي قبل وفاته بنحو عام.

والحقيقة أنني في هذه المدَّة كلِّها لم أكن أعمل مع العميد سكرتيراً بصفة رسمية، ففي السنوات الأربع الأولى كان الأستاذ فريد شحاتة ما زال يعمل معه، غير أنِّي كنت أذهب إلى العميد يوماً كل أسبوع على الأقل، وهو يوم إجازة فريد، بالإضافة إلى إجازته

السنوية، وكانت نصف شهر، وكانت تبدأ غالباً عقب عودة العميد من رحلته الصيفية، فضلاً عن الطوارئ المختلفة، التي كانت تحول بين فريد وذهابه للعميد، كالمرض وإنجاز بعض الأعمال الخاصة، وما أكثر تلك الطوارئ وبخاصة طوارئ المرض، وكان العميد يعتقد أن سكرتيره يفتعل المرض، وأنه أصبح بهذا السلوك ـ على حد تعبير العميد ـ لا يُطاق!

وبعد أن ترك فريد العمل مع العميد كان عليَّ أن أذهب إليه يومياً، وأن أتولى مهمة السكرتير الخاص له، على الرغم من أن هناك عدداً من الشباب جاء ليقوم بهذه المهمة، بَيْدَ أنهم ما كانوا يستمرون في القيام بها، فقد كان الواحد منهم يعمل أسبوعاً أو شهراً ثم يعتذر لأسباب لا مجال للحديث عنها في هذه المقدِّمة.

وكان بعض هؤلاء يعمل مع العميد قبيل سفره إلى أوروبا ويحرص على السفر معه، ثم لا يستمر بعد العودة من الرحلة، وكان العميد يدفع نفقاتها كلها لمن يسافر معه، بالإضافة إلى دفع راتبه عن مدتها، وكان هذا يُدْفع قبل السفر.

وهذه الفترة التي سعدتُ فيها بلقاء العميد تعدُّ فترة هامة في حياته، وإن لم تكن بالنسبة له فترة نشاط أدبي؛ إذ لم يكتب فيها إلا بعض المقالات والرسائل الصغيرة، ولكن أهمية تلك الفترة ترجع إلى أنها شهدت بعض الأحداث التاريخية في حياة العميد، وأن صحته فيها كانت مضطربة، وأنه مع هذا أكبَّ على القراءة ما وسعه الجهد، وكان يتمنَّى أن يكمل «الأيام» و«الفتنة الكبرى»، ثم هي لم تدرس بعد دراسة علمية وافية.

ومنذ اللحظة الأولى التي لقيتُ فيها العميد أخذتُ أسجِّل ما أراه جديراً بالتسجيل، وكنت أدوِّن ما أشاهده أو أسمعه فور مشاهدته أو سماعه غالباً، تدويناً كاملاً في منزل العميد أحياناً، وأحياناً أخرى في

بيتي بعد أن أكونَ قد سجَّلت أفكاره الأساسية في «رامتان»، وقد حاولت أن ألتزم فيما دوّنت نَصَّ ما سمعت.

على أن العميدَ لم يكن يعرف أني أدوِّن بعضَ ما أرى وأسمع، وما استأذنته في نشر شيء، اللهمَّ إلا حديثه للإذاعة التونسية عن بعض القضايا الفكرية والأدبية، فقد نشر هذا الحديث في مجلة الرسالة بعد أن قرأته عليه.

وإذا لم أكن فيما دوَّنت قد استأذنتُ العميد في نشره، فإني ما تقوَّلتُ ولا تزيَّدتُ عليه، وما قصدتُ من وراء هذا التدوين غير خدمة الفكر والتاريخ، وكنت أقدِّر أمانة الرواية والنقل حقَّ قَدْرها، وإن ذهب البعض إلى أني تجاوزتُ حدود هذه الأمانة، فسجَّلتُ أشياء ما كان يجب تسجيلها، وبخاصة في حديث العميد عن أصدقائه وزملائه، ومن عرفهم من رجال الفكر والسياسة.

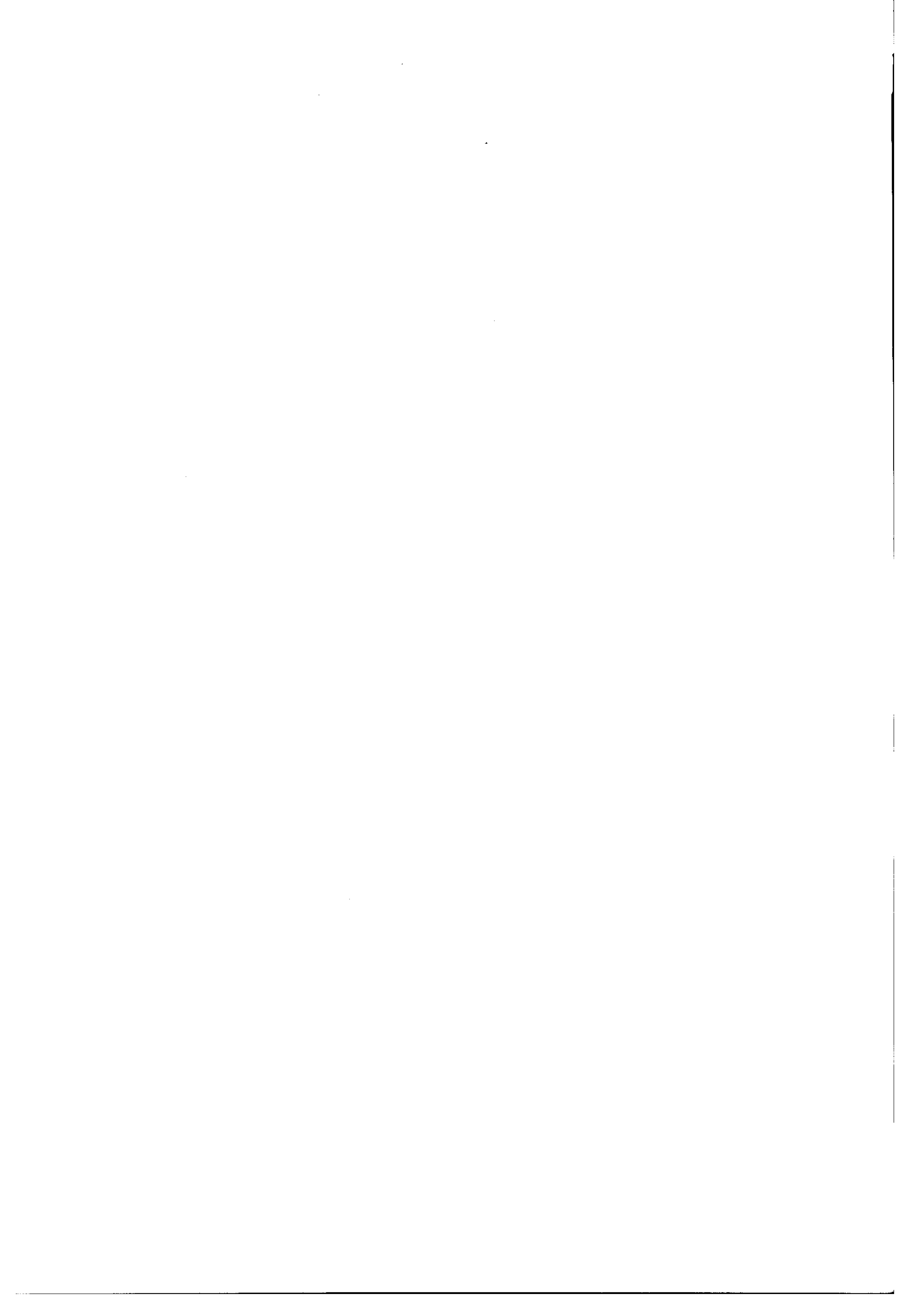
ونظراً لأن العميد تحدَّث في بعض القضايا أكثر من مرة في مناسبات مختلفة، جاء التناقض، أو التكرار في بعض ما رويت ودوَّنت، ولا بأس به مراعاة لأمانة النقل والرواية.

وقد اشتمل ما دوَّنتُ على آراء للعميد في بعض الشخصيات، وأرجو ألا تثير تلك الآراء غضبَ هؤلاء، وأن يدركَ الجميع أنه لا مصلحة لي في الثناء على هذا أو القدح في ذاك، ومن ثَمَّ أطمع ألا يعتب عليَّ عاتب، أو يَجِدَ عليَّ غاضب.

ولعلَّ في هذه الأيام أو المذكَّرات ـ التي لا تدخل في باب الدراسة بقدر ما تدخل في باب الرواية ـ مادة علمية مفيدة، تلقي مزيداً من الضوء على حياة العميد وبخاصة في العقد الأخير من عمره، وأيضاً على تاريخنا الأدبي والسياسي المعاصر.

والله ولي التوفيق.

دكتور محمد الدسوقي
كلية التربية ـ جامعة الفاتح



الاثنين ١٩٦٤/١١/٣٠: عقد مجمع اللغة العربية جلسته في هذا اليوم لانتخاب أعضائه الجُدُد، وقد سار المجمع على سنة فتح باب الترشيح لشغل الكراسي الشاغرة به في مطلع كل دورة جديدة، وهي تبدأ مع بداية شهر أكتوبر، من كل عام، وتستمر فترة الترشيح نحو أسبوعين بعد انتهائها يحدِّد المجمع جلسة خاصة للانتخابات، ويفوز بالعضوية كل مرشح يحصل على أصوات أكثر من نصف الأعضاء.

في هذا اليوم كتب أحد المحرِّرين الذين يقومون بتسجيل وقائع هذه الجلسة: وفي مستهلها سألني الأستاذ إبراهيم خليل ـ وكان مديراً للمجمع ـ عن مدى معرفتي باللغة الفرنسية، فأجبته بأني لا أعرف هذه اللغة، بيد أني ألم بالإنكليزية، ولم يعقِّب المدير على هذا، غير أنه بعد انتهاء الجلسة عرض عليَّ أن أرافق الدكتور طه حسين رئيس المجمع ـ وكان قد حضر جلسة اليوم ـ بعض الأيام لأن سكرتيره فريد شحاتة في حاجة ضرورية إلى إجازة، وأبديت للمدير استعدادي لمرافقة العميد الجليل. وهنا طلب مني المدير أن أنتظر ريثما يغادر العميد قاعة الجلسة إلى حجرته الخاصة، ثم قدَّمني إليه تقديماً طيباً، وسألني العميد سؤالاً واحداً وهو: في أيِّ كلية تخرجتَ؟ فقلت: كلية دار العلوم، وتحدّث الدكتور طه مع المدير بخصوص مَنْحي إجازة قانونية في أثناء المدة التي أعمل فيها معه، وذكر له أن بدء العمل سيكون في الأسبوع القادم.

الخميس ١٩٦٤/١٢/٣: أخبرني مدير المجمع بأن عليَّ أن أُهيِّئ نفسي للذهاب إلى الدكتور طه حسين يوم السبت المقبل لأبدأ العمل معه مدة أسبوعين، وفي نحو العاشرة والنصف من صباح هذا اليوم

توجَّهت إلى «رامَتان»[1] منزل العميد، وكان معي المدير العام، وحين دخلنا حُجْرة المكتبة كان العميد مع زوجه في الحديقة يتريَّضان، أو بعبارة أدق كانت زوجه تحاول أن تسير به بضعة أمتار لتنشيط أعضائه وحركته الدموية، بعد أن حال المرض بينه وبين الحركة الطبيعية والسير العادي.

ولم تَمْضِ فترة وجيزة حتى جاء العميد، وتحدَّثنا نحن الثلاثة قليلاً، ثم خرج المدير، وعندئذ سألني العميد عن اسمي ودرجتي المالية، وسبب تركي التدريس، وعملي بالمجمع، وكذلك عن زواجي وأولادي، ثم طلب مني أن أحضر الصحف لقراءتها ـ وكانت فوق المكتب ـ وكان العميد يقرأ يومياً الصحف الثلاث: الأهرام والأخبار والجمهورية، وكانت عادته في قراء هذه الصحف البدء بالأهرام فالأخبار وأخيراً الجمهورية، وكان يقرأ أولاً عناوين ما تنشره الصحف من موضوعات مختلفة، ثم يقرأ عناوين الأهرام دون غيرها مرة ثانية، وذلك لتخيُّر بعض موضوعاتها لقراءتها، وكان يقرأ غالباً الموضوع الأول في الصفحة الأولى وأحياناً كان يكتفي بقراءة مقدمة الموضوع دون قراءته كله، وكان يهتم بالعدد الأسبوعي للأهرام، فيقرأ ما ينشر فيه من مقالات أدبية بالإضافة إلى مقالة الأستاذ هيكل.

[الصحف التي كان العميد يقرأها يومياً واهتمام العميد بالعدد الأسبوعي للأهرام وبمقالة الأستاذ هيكل]

وهذا لا يعني أنه ما كان يقرأ في الأخبار والجمهورية سوى العناوين، فقد كان يرغب في قراءة بعض الموضوعات وبخاصة إذا كانت تتناول قضايا أدبية.

وانتهينا من قراءة الصحف في نحو الواحدة والنصف بعد الظهر ـ وكان هذا موعد انتهاء الفترة الصباحية، والتي تبدأ في نحو الحادية عشرة صباحاً ـ، فأذن لي العميد بالانصراف على أن أحضر في السادسة مساء.

---

(١) رامَتان: اسم أطلقه العميد على منزله.

وفي السادسة مساء وهي بداية الفترة المسائية التي كانت تمتد إلى الثامنة والنصف، ذهبت إلى رامَتان فوجدت العميد في حجرة المكتبة ومعه زوجه وقد تركت الحُجْرة فَورْ دخولي، ثم قال لي العميد: يبدو أننا لن نستطيع القراءة في هذا المساء، فبعض أساتذة معهد الدراسات العربية سيحضرون الآن.

وقد حضر بعد قليل الدكتور يحيى الخشَّاب، فالدكتور محمد القصَّاص، فالدكتور إسحٰق موسى الحُسيني والأستاذ سليمان مرقص وأستاذ آخر لم أعرف اسمه، وأعلن العميد أن الجلسة سرية، فخرجتُ لأجلس في الصالة بالقرب من باب الحجرة، وتناهت إلى أذني أصوات المجتمعين، وأدركت منها أن هناك خلافاً حول تعيين بعض الأساتذة في ذلك المعهد، وقد احتدم الجدل وارتفعت الأصوات، وتجاوز الأمر حدود النقاش الموضوعي والجدل العلمي إلى الاتهامات المختلفة، وكان العميد يحاول تهدئة الغاضبين والمنفعلين دون جدوى، وحين تأكد له أن الجلسة قد تستمر إلى ما بعد الثامنة والنصف ناداني وطلب منِّي ألا أنتظر وأن يكون لقاؤنا في صباح الغد في الموعد المضروب.

الثلاثاء ١٩٦٤/١٢/٩: كان في بعض صحف هذا اليوم خبر عن اندلاع مظاهرات في بعض البلدان، ولما قرأتُ للعميد هذا الخبر ضحك وقال: إن بلادنا الآن مستقرة بعد الثورة فلا توجد مظاهرات ولا اضطرابات، أمَّا قبل ذلك فقد كانت حياة المجتمع قلقة والاضطرابات مستمرة، فقلت: أذكر وأنا طالب في المرحلة الابتدائية أنَّ المظاهرات كانت كثيرة، وأنه في سنة ١٩٥٠ لم نحضر أسبوعاً كاملاً دون إضراب. وهنا قال العميد: إن حزب الوفد كان يحكم في ذلك الوقت والمظاهرات لم تكن كثيرة في عهده.

وتطرق الحديث إلى حريق القاهرة فقال: إن حريق القاهرة كان يوم السبت وفي يوم الجمعة اجتمع مجلس الوزراء، وعرفنا أن السفير

[العميد يتهم الجيش البريطاني بإشعال حريق القاهرة في عام ١٩٥٠م]

البريطاني اتصل بحافظ عفيفي، وكان رئيس الديوان الملكي، وأفهمه بأن حركات الفدائيين في القناة إذا لم يوضع حدٌّ لها فإن الجيش البريطاني سيحتل القاهرة ويقبض على الحكومة ورجال السلطة فيها، فدبَّر حريق القاهرة باتفاق مع السفارة البريطانية والقصر للتخلُّص من حكومة الوفد، وقد ضبط في يوم الحريق رجل مالطي يقود سيارة تنفث البنزين والمواد الملتهبة في المحلَّات العامة.

الأربعاء ١٩٦٤/١٢/١٠: نشرت الأهرام في الصفحة الأخيرة نبأ زواج الأستاذ فريد شحاتة، وصورته مع عروسه، ومما كتبته الأهرام عن فريد بهذه المناسبة بأنه صاحب عقل وقلم وفكر الدكتور طه حسين، وقد استاء العميد من هذا، وقال: إن فريداً مع طول مُكْثه معي لم يتمكَّن حتى الآن من إجادة النطق العربي السليم، وهو لم يفعل مثل ما فعل شقيقه الدكتور توفيق، الذي درس الحقوق وهو معي، ثم استمر في دراسته حتى حصل على الدكتوراه، ووصل إلى درجة أستاذ في الجامعة، وصَمَت العميد بُرْهة ثم قال: تصوَّر أنَّ فريداً هذا عصبيٌّ جداً، وأنه مثلاً إذا دخل منزلي لا يحيِّي زوجتي أو بعبارة أخرى لا يتحدَّث معها.

[العميد يتحدث عن سكرتيره فريد ويذمُّه]

وكان مما كتب أيضاً أن الدكتور طه لم يحضر هذا الزفاف لمرضه، ولكن الحقيقة أن الدكتور لم يحضره لأنه لم يُدْعَ إليه.

وفي مساء هذا اليوم قال لي العميد: أريد أن أكتب مقالة، وكان يرغب في أن تكون المقالة عن الشعر الجديد وموقف لجنة الشعر منه ـ وهي لجنة من لجان المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ. لقد كتبت اللجنة مذكِّرة طالبت فيها بالمحافظة على العمود التقليدي للشعر العربي، كما طالبت بأن يكون لها الإشراف على ما تنشره الصحف والمجلات التي تصدرها وزارة الثقافة، غير أنَّ العميد اتصل هاتفياً بالأستاذ يوسف السباعي ـ وكان في ذلك الوقت أميناً عاماً للمجلس الأعلى للفنون والآداب ـ ودار الحديث بينهما

حول مذكّرة لجنة الشعر، وعرف العميد أن اللجنة لم تكتب مذكّرة، وإنما طالبت فقط بأن تنشر مجلّة الشعر من الشعر القديم بقدر ما تنشره من الشعر الحديث.

وقال العميد بعد انتهاء المكالمة الهاتفية: إذن لا داعي للكتابة في هذا الموضوع، ثم أملَى عليَّ مقالةً[1] عن قصة «أعاصير» للأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج، وهي قصة نال عليها مؤلفها الجائزة الأدبية لمجمع اللغة العربية، وقد أملَى العميد هذه المقالة في نحو ساعة، وكان يملي في تؤدة، وجاءت المقالة تلخيصاً موجزاً لحوادث القصة، وقد رغبتُ في قراءة المقالة بعد كتابتها، ولكن العميد أبَى، وقال: أنا واثق من كتابتك.

[العميد يملي على المؤلف مقالة استغرقت ساعة من الوقت، ويرفض أن تقرأ عليه مرة أخرى قائلاً: أنا واثق من كتابتك]

السبت ١٩٦٤/١٢/١٣: في مساء هذا اليوم أدلَى العميد بحديث للإذاعة التونسية عن بعض القضايا الأدبية المعاصرة، وهذه القضايا هي:

[العميد يدلي بحديث طويل للإذاعة التونسية]

أ ـ الشعر الحديث.
ب ـ أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ.
جـ ـ الالتزام في الأدب.
د ـ الثورات وموقف الأدب منها.
هـ ـ القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الأجنبية.
و ـ أدب المرأة المصرية المعاصرة.

أما الشعر الحديث فقد اشتجرت حوله الأقلام وتباينت الآراء، وأثيرت أخيراً مناقشات وخصومات وصل أمرها إلى السلطات.

عن هذه القضية الهامة في حياتنا الأدبية الراهنة تحدّث الدكتور طه حسين فقال:

---

(١) كان العميد في هذه الفترة ينشر مقالاً كل أسبوع في صحيفة أخبار اليوم، وكانت مقالات العميد تتناول بوجه عام تلخيص الكتب والتعليق عليها.

[العميد يتحدث عن تاريخ التجديد في الشعر العربي ويختم حديثه بأن الشعراء المحدثين لم يقدموا أعمالاً فنية جديرة باسم الشعر]

إن الشاعر حرٌّ في التعبير كما يشاء بشرط أن يقدِّم لنا عملاً فنيًّاً ممتازاً يثير فينا المتعة واللذة، ويستحوذ على مشاعرنا وإحساساتنا، أن يقدم لنا شعراً جديراً بهذا الاسم، نقرؤه أو نسمعه فتستريح إليه طباعنا وأذواقنا ولا تضيق به نفوسنا كما تضيق بكثير من الشعر الرديء.

وإذا نظرنا في تاريخ شعرنا العربي، فإننا نراه قد تعرَّض لألوان مختلفة من التجديد في ألفاظه ومعانيه، ففي العصر الإسلامي أيام بني أمية جُدِّدت في الشعر أشياء كثيرة، فخُفِّفت الأوزان القديمة، وعمد الشعراء إلى أوزان قصيرة، متأثرين بالموسيقى التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم، ونشأت فنون لم تكن مألوفة عند الجاهليين كالغزل الخالص الذي يقصر الشعراء أنفسهم عليه كما فعل العُذْريون الذين لم يقولوا الشعر إلا في الحب وفنونه المختلفة، وكعمر بن أبي ربيعة القرشي الذي لم يكن عذرياً ولكنه لم يَقُلْ إلا الغزل، وكثرت ألوان الهجاء، ونشأت فيه فنون لم يعرفها الجاهليون، كالهجاء الغزلي الذي برع فيه بعض الشعراء يريدون هجاء الرجال فيتغزلون في نسائهم ليغيظوا بذلك أزواجهن، ووصفت الخمر في العصور الإسلامية كما لم توصف قط في الشعر الجاهلي، ونشأ الغزل في الغلمان وهو فن لم يخطر للجاهليين على بال، واستطاع شاعر كأبي نواس أن يعيب وقوف الجاهليين على الأطلال في كثير من شعره كما يقول في قصيدة:

عاج الشقيُّ على رَبْع يسائله ... وعِجْت أسأل عن خَمَّارة البلد
يبكي على طَلَل الماضين من أسد ... لا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لي من بنو أسد؟

وكثر البديع، وعُني الشعراء بتحسين الألفاظ بالاستعارات والجناس والمطابقات، وجاء أبو تمام فكرهه العلماء اللغويون، لأنه انحرف عن طريقة القدماء كل الانحراف، فغلا في تجديد الألفاظ والمعاني حتى سمع بعض علماء اللغة شيئاً من شعره فاستحسنه، فلما قال له قائل: إن هذا الشعر لأبي تمام قال له: خرق خرق، ثم جاء شعراء الأندلس فأنشأوا الموشحات وغَلَوا فيها، فانحرفوا أحياناً عن

الوزن المألوف وانحرفوا دائماً عن التزام قافية واحدة.

وفي العصر الحديث ظهر الشعر التمثيلي وهو نوع جديد لم يعرفه الأدب العربي إلا في هذا العصر.

حدث هذا في الشعر العربي في تاريخه الطويل، فليس على الشعراء المحدَثين إذن من بأس إذا هم جدَّدوا وخرجوا على مألوف الشعراء المقلِّدين من التزام الوزن والقافية جميعاً.

ولكن الشعراء المحدَثين الذين يدعون إلى التجديد في الشكل والمضمون ـ كما يحب كتابنا المحدَثون أن يقولوا ـ لم يقدِّموا لنا حتى الآن ـ بوجه عام ـ أعمالاً فنية جديرة باسم الشعر، ولعلهم في المستقبل يفعلون.

وعن أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ قال أستاذنا الكبير:

[العميد ينتقد أدب الشباب بمرارة ويدعو الشباب لقراءة أدبنا القديم]

إن أدب الشباب أدب ضَحْل لا عُمْقَ فيه، فالشباب لا يقرأ الأدب العربي القديم، ومن يعرف منهم لغة أجنبية يمكنه أن يقرأ آداب لغات أجنبية مختلفة ولكنه لا يقرأ، وبغير قراءة الأدب القديم لن ينتج الشباب أدباً يستحق الخلود، ويكون امتداداً لأدب الشيوخ، وقد ظهرت في فرنسا جماعة، تدعو إلى الكتابة الأدبية دون اكتراث بالقراءة الجادة، لكنها فشلت في دعوتها، وتراجعت عن المضي في طريقها، فلكي يكتب الشباب أدباً أصيلاً، أدباً جديراً بالبقاء، يجب عليه إذن أن يقرأ كثيراً في القديم والحديث، وألا تشغله المدنية الحديثة بمخترعاتها مثل «السينما» و«الراديو» و«التليفزيون» عن القراءة الواعية المتعمقة، وأرجو أن يُقبل الشباب على تراثنا القديم والحديث، وأن يُقبل كذلك على تراث الآداب الأجنبية، حتى تَعْمُق ثقافته، وتستقيم لغته، وتتسع آفاقه، ويصبح بذلك أهلاً لإنتاج أدب أصيل جدير بالبقاء، أدب يَخْلُف أدب الشيوخ ولا يعرف الضحالة، أو ركاكة العبارة وسُوقيَّتها.

وسئل الدكتور طه حسين عن الالتزام في الأدب فقال:

[العميد يؤكد على أن الأديب يجب أن يلتزم بما يعتقد]

إن كل أديب ملتزم بما يعتقد، فالأديب يقول ما يؤمن به، وإذا أكره على أن يكتب شيئاً لا يؤمن به، فلن يكون لما يكتبه تأثير في النفس والوجدان، أو يكون عملاً أدبياً لا تشيع فيه حرارة الصدق، أو أصالة الخلق، أو يكون شبيهاً بجسم لا حياة فيه. فإذا آمن الأديب بالاشتراكية والديمقراطية مثلاً كان ما يقوله ويكتبه عن الاشتراكية والديمقراطية تعبيراً صادقاً لا زَيْف فيه، فحيث يؤمن الأديب بفكرة أو مذهب ما فإنه يصبح ملتزماً في أدبه بتلك الفكرة، أو هذا المذهب.

وعن موقف الأدب من الثورات قال عميد الأدب العربي:

[العميد يقول: إن الأدب بمهد للثورة ويصنعها]

إن الأدب يمهّد للثورة دائماً، لأنه يُجَسّم الأوضاع الفاسدة ويدعو إلى الحياة الكريمة، وينادي بالنظم والمبادئ العادلة، فيكون ذلك التجسيم، وهذا النداء إلى اصطناع القيم الإنسانية، ونبذ القوانين الجائرة وقوداً يُشْعل الحماس ضد الظلم، ويفجّر في المجتمع طاقات الثورة من أجل حياة أفضل، ويهيّئ الأذهان والحواس إلى تقبل الانتفاضة التي تطيح بالقاسطين والمفسدين، وترسم السبيل إلى مستقبل مشرق بالعدالة والمساواة والرخاء.

فمثلاً قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كان المجتمع المصري يعاني من فساد القصر واضطراب الحياة السياسية والاقتصادية، وتحكُّم الإقطاع، فَضْلاً عن الاحتلال الذي كان يفرض على القصر ورجال السياسة مطالبه، ويتدخل في شؤون البلاد الداخلية والخارجية بمقدار ما يستفيد من هذا التدخل، فكان الأدب في فترة ما قبل الثورة يصوِّر حياة البؤساء والمحرومين، ويتحدَّث عن ترف الأغنياء وإسراف المسرفين، ويندِّد بالدُّخلاء والعملاء والمستبدِّين، وكان مع هذا يدعو إلى الاستقلال والحرية، والعدالة الاجتماعية، وضمان قَدْر لائق من المعيشة لكل فرد، وألَّا تستأثر بخيرات الوطن فئة معينة تعيش في رَغَد

مسرف على حين تموت فئات متعددة من الإرهاب والجوع والحرمان.

وكان الأدب أيضاً مع حديثه عن الأوضاع الفاسدة، ودعوته إلى العدالة الاجتماعية، يشيد بالأمم التي عزَّ شأنها وقوي سلطانها فلم تخضع لأجنبي، ولم ترضخ لمستبد، ولم تقبل أن تعبث بثرواتها أسرة حاكمة، أو إقطاعيون مستبدُّون، ولذلك تمتع أفرادها بالحرية والعدالة والمساواة، ولم يكن بينها فوارق كتلك التي كان يئن منها المجتمع المصري قبل الثورة.

فَعَل الأدب كل هذا وأكثر منه قبل الثورة، وكان الشباب يقرأ هذا الأدب وينفعل به، وكان هذا الانفعال يبدو في بعض الأوقات في صورة اضطرابات ومظاهرات، وكانت هذه المظاهرات والاضطرابات إرهاصاً أو مقدمة للثورة التي قامت تضع حداً للعبث والاضطراب، وتخلِّص الأمة من الاحتلال والاستقلال.

وفي فرنسا قبل ثورتها الشهيرة كان الأدب كذلك يتحدّث عن المظالم التي يتعرض لها الشعب الفرنسي، فقد كان هذا الشعب يئن من وطأة الإقطاع والضرائب، وفساد المَلَكية والسلطة الدينية، وامتيازات النبلاء، كان الشعب يعيش في بقايا العصور الوسطى، تلك العصور المتخلِّفة في تاريخ البشرية، وكان الأدب يصوِّر فساد هذا المجتمع، ويتحدَّث عن حياة البؤساء والمحرومين ويسخر من امتيازات النبلاء ورجال الدين، ويرسم للمجتمع طريق الخلاص والإنقاذ والعدالة. لقد كانت صيحات الأدباء وآراء المصلحين من أمثال «جان جاك روسو» و«فولتير» و«ديدرو» و«دالمبير» و«مونتسكيو» الشرارةَ التي أشعلت الثورة وقضت على الملكية، وحطمت الباستيل رمز التخلف والاستبداد والفساد.

إن الأدب يمهِّد للثورة ويصنعها، إنه الناقوس الذي ينبه إلى الخطر، فتهب الأمة ثائرة حفاظاً على كرامتها وكيانها.

لكن بعد أن تقوم الثورة يلاحظ أن الأدب يتريث قليلاً، ويبدو كأنه في موقف سلبي، أو منعزل عن الثورة ـ وهو ليس كذلك ـ ريثما تستقر الأمور، ثم يقوم بدوره في تسجيل آثار الثورة، وتصوير المجتمع الجديد بعد ذلك.

[العميد يتحدث عن القصة المصرية في تأثرها بالقصة الغربية أولاً، ثم عن استقلالها]

وسئل الدكتور طه حسين عن القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الأجنبية فقال:

إن القصة المصرية كانت في أول مراحلها إما تقليداً للأدب العربي القديم، أو الأدب الأجنبي، ومن يقرأ كتاب «حديث عيسى بن هشام»، لمحمد المويلحي، وهو كتاب يصوّر حياة المجتمع المصري وطبقاته المختلفة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن في صورة قصة لا تلتزم فيها الأصول الفنية للقصة بمفهومها الحديث. من يقرأ هذا الكتاب يجد أن المؤلف يكثر من السجع والازدواج والمطابقة وغير ذلك من الفنون البلاغية التي كان الأقدمون يسرفون في استعمالها في بعض العصور، ويجد أن المؤلف يستطرد أحياناً فيأتي ببعض الأبيات الشعرية لأدنى مناسبة.

فمثل هذا اللون من القصة كان تقليداً للأدب العربي القديم.

وكما قلّد الأدبُ العربي في كتابة القصة في أول مراحلها، قلّد الأدب الأجنبي أيضاً، فقد كان الكتّاب في إنشائهم القصصي يقلّدون هذا الأدب ويحاولون أن ينسجوا على منوال القصة الأجنبية.

ولكن القصة المصرية تطوَّرت بعد ذلك تطوراً ملحوظاً، وأصبحت مصرية صميمة، وتخلّصت من تقليدها للأدب العربي القديم والأدب الأجنبي على السواء، وأخذت تصوِّر المجتمع المصري، وتعكس تقاليده وبيئته، وتتحدَّث عن مشكلاته النفسية والاجتماعية، وتسجِّل أحداثه التاريخية والسياسية، ومن الناحية الفنية وصلت القصة المصرية إلى درجة عالية من القوة والأصالة، ومن يقرأ مؤلفات

الأساتذة محمود تيمور، ويوسف السباعي، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس فإنه يجد أن هذه المؤلفات خليقة بالتقدير والثناء، وأنها تتميز بالأصالة والصدق الفني، وتعبِّر عن المجتمع المصري أصدق تعبير، وإن كنت آخذ على الدكتور يوسف، إدريس استعماله اللغة العامية في كثير من الأحيان.

[العميد يتحدث عن أدب المرأة المصرية وينتقده]

أما أدب المرأة المصرية فقد تحدّث عنه الدكتور طه حسين قائلاً:

إن أدب المرأة المصرية أدب قليل، وهو على قلَّته ليس كلُّه في درجة جيدة، فمثلاً الدكتورة سهير القلماوي وهي أستاذة ورئيسة لقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ليس لها إلا كتاب «أحاديث جدَّتي» وبعض الدراسات النقدية والأعمال القصصية، كما أنها ترجمت من الإنكليزية إلى العربية بعض آثار شكسبير، ويبدو أن نشاطها الاجتماعي قد طغى على نشاطها الأدبي، فهي عضو في لجان كثيرة: في المحافظة ومجلس المدينة ووزارة الشؤون الاجتماعية.

أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ وهي أستاذة بجامعة عين شمس ـ فلها محاولات في الدراسات القرآنية، ومؤلفات تاريخية عن أم الرسول ﷺ وأزواجه وبناته، ولها كتب محققة، وكتاب يشتمل على صور من حياة المرأة، ودراسة عن الفلاح المصري ومشكلاته.

وهناك غير الدكتورة سهير والدكتورة عائشة كاتبات يمارسن كتابة القصص والدراسات الأدبية وقَرْض الشعر، ومع هذا كله فأدب المرأة المصرية المعاصرة أدب قليل، وليس كله أدباً جيداً جديراً بالبقاء.

الأحد ١٤/١٢/١٩٦٤: في مساء هذا اليوم سَعَتْ فتاتان إلى بيت العميد تطلبان منه أن يهيئ لهما فرصة العمل في المجتمع أو في غيره من المصالح الحكومية، وفي حنان أبوي دار الحديث بين العميد والفتاتين، ثم خرجتا بعد أن وعدهما العميد خيراً.

وبعد خروج الفتاتين أخذنا نقرأ في كتاب «وداعاً أيها المَلَل» للأستاذ أنيس منصور، وفي أثناء القراءة في هذا الكتاب حانت فرصة للحديث عن المستشرقين، فسألت الدكتور عن السبب الذي دفع هؤلاء إلى دراسة الإسلام ولغته وثقافته وتاريخ شعوبه، فأجاب: معرفة ما لدى المسلمين من ثقافة. وقلت للعميد: وما الغاية من هذه المعرفة؟ فقال: إن بعض المستشرقين كانوا يعملون في وزارتي الخارجية والمستعمرات، وكان هؤلاء أداة للاحتلال، ولكن بعض المستشرقين خدم الثقافة الإسلامية خدمة ممتازة.

[العميد يذم بعض المستشرقين ويمدح بعضاً]

١٩٦٤/١٢/١٥: رأس العميد في هذا اليوم الجلسة الأسبوعية للمجمع اللغوي، وقد انتهت الجلسة في نحو الواحدة والنصف، ولذا لم أذهب معه إلى «رامَتان» وإنما ذهبت إليه في المساء، وقضينا الوقت كله في قراءة الصحف، فقد نشرتْ في هذا اليوم بيان وزير التعليم العالي الدكتور عبد العزيز السيد عن سياسة الوزارة والذي ألقاه في مجلس الأمة، ولم يَرْضَ العميد عن هذا البيان كما لم يَرُقْه موقف الوزير بعدما دار من نقاش حول البيان في المجلس، فقد قال: لو كنت مكان الدكتور عبد العزيز لقدَّمت استقالتي.

الثلاثاء ١٩٦٤/١٢/١٦: زار العميد في مساء هذا اليوم ثمانية طلاب إسبان، وكان يرافقهم أربع طالبات مصريات من القسم الفرنسي بكلية الآداب، وتحدَّث هؤلاء الطلاب مع العميد عن الأدب وبعض المشكلات الفلسفية، وبعد خروجهم أبدى العميد استغرابه لعدم وجود شاب مصري يرافق الطلاب الأجانب بدلاً من الطالبات.

وزار العميد في مساء هذا اليوم أيضاً الدكتور يحيى الخشَّاب، وذلك لمحاولة وضع حد للصراع القائم في معهد الدراسات العربية حول رئاسة هذا المعهد، وكذلك بحث مشكلات المعهد المالية.

الخميس ١٩٦٤/١٢/١٨: أملَى عليَّ العميد في صباح هذا اليوم

مقالة تحت عنوان «عاصفة» وكانت عن الشعر الحرّ وما أثير حوله من مناقشات وجدل وخصومات.

الخميس ١٩٦٥/١٠/٢١: كان لقائي بالعميد في هذا اليوم أول لقاءٍ بعد عودته من رحلته الصيفية بإيطاليا، وكان العميد قد تعوَّد قضاء الصيف في فرنسا، غير أنه في العقد الأخير من عمره آثَر إيطاليا لارتفاع الأسعار في فرنسا، ورخصها نسبياً في إيطاليا، وما كان العميد يقيم في عواصم هذه الدولة أو تلك، وإنما كان يقصد الريف والمناطق الجبلية يتنقل بين ربوعها وقراها.

في صباح هذا اليوم زار العميدَ شقيقُه المهندس عبد المجيد حسين، وتحدث معه العميد حول رغبته في شراء سيارة جديدة بعد أن ضاق ذَرْعاً بتصرفات أصحاب الورش التي تتولّى إصلاح السيارات، وتواطؤ سائقه الخاص معهم، وقد اتفق الشقيقان على اتخاذ الخطوات اللازمة لشراء سيارة جديدة، ولكن العميد لم يتخذ سيارة أخرى، وظل يركب سيارته القديمة التي ابتاعها في سنة ١٩٤٦ إلى أن لحق بربه.

في مساء هذا اليوم كنا نقرأ في كتاب «حياة مطران» لمؤلفه المرحوم الأستاذ طاهر الطناحي، وقد أشار مؤلف هذا الكتاب إلى أن مصر في مطلع القرن العشرين كانت تؤمن بالعروبة وتناصرها، وتفتح صدرها لأدباء العرب مهما اختلفت ديارهم، وقال العميد: هذا غير صحيح فقد كانت الدعوة الفرعونية تشرئب، ولم تكن مصر تفكر في العروبة وإنما كانت هناك محاولات لقيام الجامعة الإسلامية.

[العميد ينفي أن مصر في مطلع القرن العشرين كانت تؤمن بالعروبة وتناصرها، ويقول: كانت الدعوة الفرعونية تشرئب، ولم تكن مصر تفكر في العروبة]

وفي أثناء القراءة في هذا الكتاب طرق الباب زائر وكان الأستاذ ثروت أباظة، وهو أحد الذين كانوا يحافظون على مودَّة العميد وزيارته.

وكان إذا أتى زائر توقفنا عن القراءة، وتحدَّث العميد معه في مسائل مختلفة قد يكون بعضها عاماً يتناول قضايا فكرية أو سياسية وبعضها الآخر خاصاً يتناول قضايا شخصية.

[العميد ينتقد كلاً من الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض انتقاداً مرّاً، ويشاركه في ذلك ثروت أباظة]

تحدَّث العميد مع الأستاذ ثروت عن الأدب والسياسة، وتطرق الحديث بينهما إلى الكلام عن المرحوم الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض، فقال العميد: إن الدكتور مندور ليس شيئاً ذا بال في الثقافة، وليس له دور فكري هام في حياتنا الثقافية في هذا القرن، أما الدكتور لويس عوض فدَعِيٌّ ولا يعرف شيئاً، وأسلوبه مملٌّ وركيك، فقلت: إن الدكتور مندور قد أسهم في حياتنا الفكرية المعاصرة إسهاماً لا بأس به وله مؤلفات علمية جديرة بالخلود، فقال العميد: مثل ماذا؟ قلت: مثل كتاب «النقد المنهجي عند العرب»، فقال: هذا كتاب (هايف)، وهنا قال الأستاذ ثروت: إن الدكتور مندور كان ينقد الكتب دون قراءتها، وكان شديد الحب للمال، ويكتب من أجل الحصول عليه، ولو كان ما يكتبه ليس في مجال تخصصه، وذكر مثلاً على ما قاله بأنه كان يوماً والدكتور مندور في مكتب مدير البرنامج الثاني، وفجأة دخل عليهم موظف وقال للمدير: إن الأستاذ الذي كُلِّف بكتابة بحث عن موضوع (كذا) لم يكتبه حتى الآن، فطلب المدير من الموظف أن يتصل بهذا الأستاذ مرة أخرى، فقال الدكتور مندور: لا داعي للاتصال بالأستاذ وأنا على استعداد لكتابة البحث المطلوب في الوقت المحدَّد، فلي دراسات تتصل بهذا البحث.

وقال الأستاذ ثروت: ووجد مدير البرنامج الثاني نفسه في موقف حرج فوافق على عرض الدكتور مندور، ولكن هذا التصرف لا يليق بكاتب مبتدئ فضلاً عن مفكِّر كبير، وعقَّب العميد على هذا فقال: إن الدكتور مندور فعلاً كان يحرص على المادة، فعندما كان أستاذاً مساعداً بجامعة الإسكندرية عرض عليه أحمد أبو الفتح أن يدفع له راتباً مقداره ١٢٥ جنيهاً مقابل عمله في صحيفة المصري، وجاءني الدكتور مندور ـ فقد كنت مديراً للجامعة ـ وقدَّم إليَّ استقالته فحاولت أن أثنيه عن عزمه، وأذكِّره بمستقبله في الجامعة، غير أنه أصرَّ على رغبته في الاستقالة، فالراتب الذي سيحصل عليه من العمل في الصحافة ضعف راتبه في الجامعة.

وصمت العميد برهة ثم قال: لقد أوفدتُ الدكتور مندور في بعثة إلى باريس، ومكث فيها اثني عشر عاماً ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة الليسانس في الأدب اليوناني، وذلك بسبب عبثه ولهوه وعدم إخلاصه للعمل، وبعد عودته قدَّم رسالة إلى جامعة القاهرة وهي كتابه «النقد المنهجي»، وحصل بها على درجة الدكتوراه، واستطرد العميد قائلاً: والذي أحمده للدكتور مندور وفاءه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم في الجدل والنقاش.

وفجأة دَقَّ جرس الهاتف، وكان المتحدِّث مندوب الإذاعة البريطانية في القاهرة، وقد قال للعميد: إن الإذاعة تذيع «كتاب الأيام» في حلقات، وحلقة اليوم ستذاع بعد ربع ساعة ويود أن يسمع العميد هذه الحلقة ليعرف رأيه في إعداد كتابه، وجاء ردُّ العميد على مندوب الإذاعة البريطانية: إنه سيحاول. وبعد انتهاء هذه المكالمة الهاتفية قال العميد: إنه لا يسمع الآن في الإذاعة شيئاً ما عدا المصحف المرتل، وتعجبه القراءة برواية وَرْش، ثم أخذ يفيض في الحديث عن الإمام وَرْش وحَفْص وقراءتهما إفاضة تدل على معرفة وافية بعلم القراءات وخصائص كل قراءة ومواطن انتشارها.

[العميد يقول: إنه لا يسمع الآن في الإذاعة شيئاً ما عدا المصحف المرتل ويثني على قراءة ورش وحفص]

الجمعة ١٩٦٥/١٠/٢٢: في مساء هذا اليوم أشار العميد إلى مشكلة الشعر الجاهلي، فذكر أن الموضوع بعد إحالته إلى النيابة ناقشتني فيه أمام طائفة من علماء الأزهر، وقد اشترك بعض هؤلاء في المناقشة، وحفظتْ النيابةُ محضرَ التحقيق بعد أن تبين لها أني لم أقصد بما كتبت الإساءة إلى الإسلام، وبذلك انتهى الأمر. ولكن حدث بعد ذلك أنَّ الملك والحكومة في عهد صدقي تآمرا ضدِّي لإخراجي من الجامعة، فقلت: لماذا وكيف؟ قال: إن وزير المعارف في حكومة صدقي واسمه أحمد حلمي اتصل بي هاتفياً وكنت إذ ذاك عميداً بكلية الآداب، وذكر لي أسماء بعض الساسة وقال: إن الحكومة تريد من كلية الآداب أن تمنح هؤلاء درجة الدكتوراه الفخرية، وسيقوم الملك فؤاد عند زيارته

[العميد يتحدث عن مشكلة الشعر الجاهلي وكيف أن النيابة تحفظ القضية]

للجامعة بتقديمها لهم، فقلت للوزير: أنا عميد كلية جامعية ولست عُمْدة في قرية تصدر إليَّ الأوامر، لن تمنح كليةُ الآداب هؤلاء الساسة درجة الدكتوراه، فقال: سوف نرى من ينتصر.

[ويتحدث عن تآمر الملك والحكومة عليه وإحالته إلى المعاش]

وكلَّم الوزير مدير الجامعة وكان إذ ذاك أحمد لطفي السيد، فلمَّا حدَّثني هذا كان ردِّي عليه مثل ردِّي على الوزير، فطلب مني المدير عرض الأمر على مجلس الكلية، وكانت المفاجأة أنَّ المجلس رفض ما طلبه الوزير رفضاً باتاً، ولجأت الحكومة إلى كلية الحقوق فحققت لها ما تريد.

وقال العميد: حَدَث بعد هذا أن جاء الملك لزيارة الجامعة وكان معه صِدْقي وعَدْلي يَكَن ووزير المعارف، وكان من عادة الملك أن يدخل المدرَّجات ويستمع إلى بعض المحاضرات، وكنت قد نبهت على الأساتذة ألَّا يغيِّروا شيئاً من برنامج محاضراتهم، ودخل الملك محاضرة في التاريخ، وكان موضوعها تطور الدستور الإنكليزي، ففهم الملك أنَّ في هذا تعريضاً به، لأنه كان قد عطَّل الدستور، وطبعاً فهم أنني حرَّضت الأستاذ على ذلك، وقوّى هذا لديه أنَّ الطَّلَبة هتفوا بحياة عَدْلي يَكَن دون أن يهتفوا بحياة الملك أو صدقي، ولما سأل الملك عن سبب ذلك قال له وزير المعارف: هذا من تدبير الدكتور طه حسين. كان هذا يوم السبت، وفي يوم الخميس صدر قرار وزاري بنقلي من الجامعة إلى وزارة المعارف، فرفضت تنفيذ هذا القرار، فليس من حق وزير المعارف أنْ ينقل أستاذاً جامعياً، فالجامعة مستقلة، ولا سلطان لأحد عليها، ولما رفضتُ تنفيذ القرار طلبني رئيس الوزراء وقال لي: لماذا لا تنفِّذ قرار الوزير؟ فقلت له: هذا الوزير حمار، ولا أحب أن أتعامل معه، كما أنه ليس من حقه أن يصدر مثل هذا القرار. فقال رئيس الوزراء: لا تتعامل مع هذا الوزير وتعامل معي، فقلت: ولا أتعامل معك: فقال رئيس الوزراء: إذن فأنا حمار مثل الوزير، فقلت: عفواً يا باشا لم أقصد ذلك، وانتهت المقابلة وفوجئت بعدها بصدور قرار بإحالتي على المعاش.

وفي هذه اللحظة طرق باب المكتب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة، وكان معه الأستاذ عبد الكريم أحمد الموظف بوزارة العلاقات الثقافية الخارجية، وهي وزارة أُنشئت لمدة ستة أشهر تقريباً، ثم ألغيت في التعديل الوزاري الذي حَدَث في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٥، والذي بمقتضاه صار السيد زكريا محيي الدين رئيساً للوزراء، خَلَفاً للسيد علي صبري.

[العميد يتحدث مع ضيوفه عن بعض المجلات لا سيما مجلة «حوار» التي كانت تصدر في بيروت وتمالئ الصهيونية والاستعمار]

وبدخول هذين الأستاذين توقف العميد عن الحديث فيما كان يتحدَّث عنه، وأخذ يحيِّي ضيفيه ويتجاذب معهما أطراف الكلام في مختلف المسائل الشخصية والأدبية، مثل مشكلة مجلات وزارة الثقافة وأسباب توقف بعضها عن الصدور، ومجلة «حوار» وهي مجلّة مشبوهة وكانت تصدر في بيروت، وتموِّلها جهات معادية للعروبة والإسلام وتمالئ الصهيونية والاستعمار، وبعض المجلات التي تصدر في بعض البلاد العربية، وتتمتع بإقبال القراء عليها كمجلات دولة الكويت.

وخرج الزائران بعد أن مكثا نحو ساعة، ولم أشأ بعد خروجهما أن أسأل العميد عما جرى بعد قرار إحالته على المعاش، فقد كنت شديد الحرص على ألَّا يعرف أني أدوِّن شيئاً، وقد طلب مني أن أقرأ له مقالة كتبها الأستاذ محمود أمين العالم عن كتاب للدكتور يوسف إدريس عنوانه «لغة الآي آي» وقال العميد بعد قراءة المقالة: لم أعد أقرأ قصص يوسف إدريس لأنه يكتب بالعامية.

[العميد ينتقد كتابة يوسف إدريس لقصصه بالعامية]

السبت ١٩٦٥/١٠/٢٣: لم تكن صحة العميد اليوم على ما يرام، ولذا لم يستطع أن يغادر غرفة نومه وينزل إلى حجرة المكتب، وكانت أول مرة لي أصعد فيها إلى الطابق الثاني، وأقرأ للعميد وهو نائم في فراشه.

لقد كانت الغرفة متوسطة الحجم، بها سرير متواضع ومكتبة صغيرة، ولكن الغرفة أنيقة النظام ونظيفة، وعلى بعض جدرانها لوحات زيتية صغيرة تمثل الفن الأوروبي.

كان العميد وهو في فراشه يغفو أحياناً، ولكنه كان يستيقظ عندما أتوقف، وكان كعادته دائماً ـ بالرغم من ظروفه الصحية ـ ينبهني إذا أخطأت، ويذكرني إذا تركت موضوعاً أو باباً من أبواب الصحف، لقد كان يقظاً واعياً لا يفوته تحريف معنى أو فكرة، متنبهاً لكل كلمة يسمعها اللهم إلا في لحظات إغفائه العميقة.

[إعجاب العميد بكتاب فتحي رضوان «مع الإنسان في الحرب والسلام»]

الثلاثاء ١٩٦٥/١٢/١٤: قرأت للعميد في هذا اليوم بعض فصول من كتاب «مع الإنسان في الحرب والسلام» لمؤلفه الأستاذ فتحي رضوان، وهو كتاب كان يُعجب به العميد، فقد عرض فيه مؤلفه في تفصيل لمشاكل الإنسان في الحرب والسلام، واهتم بالحديث عن الحربين العالميتين، وأفاض في وصف آثار التدمير الذي حلَّ بمدينة هيروشيما بسبب القنبلة الذرية التي ألقيت عليها، كما قدم صورة دقيقة للمجهودات التي بذلها الأمريكان من أجل صنع هذه القنبلة، ومع ما بذلوه من جهد لم يتمكنوا بعد نحو ثلاث سنوات إلا من صنع قنبلتين فقط.

[العميد يتحدث عن تعاطيه للدخان منذ صغره]

الخميس ١٩٦٥/١٢/١٦: كانت صحة العميد في هذا اليوم طيبة، ولم أصعد إليه في الطابق الثاني، فقد نزل إلى حجرة المكتبة، وقد طلب مني أن أشعل له لفافة تبغ، ثم حدَّثني عن سبب شربه الدخان، فذكر بأن شيخه المَرْصفي كان من عادته أن يرسل زميلاً له ليشتري علبة سكاير، كانت تسمى الفيل وثمنها قرش واحد، ثم قال: وأخذنا نقلِّد أستاذنا ونشرب الدخان، وكان إخوتي جميعاً يشربون، ولما علم أبي ثار وكان يعاتب والدتي ومما قاله لها يوماً: أولادك كلهم بيشربوا دخان حتى المفعوص طه، وتناهت كلمات أبي إلى سمعي فقلت له: وإنْتَ ما لك، فاعتبرها والدي إهانة له، بيد أني قلت لأبي: إنَّ لك الحق في أن تلومني إذا انحرفت خلقياً عن سواء السبيل، أما الدخان فليس أمراً يستحق التأنيب أو اللوم. وقد انتصرت على والدي حتى إنه بعد وجبات الطعام كان يأمر إحدى أخواتي بأن تشعل لي سيكارة،

وقد جاء عليَّ وقت كنت أشرب فيه قدراً كبيراً، ولكنني الآن لا أشرب إلا عدداً قليلاً، ثلاث فقط تقريباً.

السبت ١٩٦٥/١٢/١٨: صدرت صحيفة الأهرام في هذا اليوم وفي صفحتها الأولى خبر يقول: مُنح الدكتور طه حسين قلادة النيل ـ وقلادة النيل أعلَى وسام في مصر ولا تُمنح إلا لرؤساء الدول والشخصيات البارزة ـ وقد سعدتُ بقراءة هذا الخبر وأسرعت إلى بيت العميد قبل الموعد المألوف، وحين دخلت بيت العميد قرأت البهجة في وجوه الجميع، وطُلبَ مني أن أصعد إلى الطابق الثاني، وكان العميد يجلس في حجرة جلوس فسيحة بها بضعة مقاعد، ووجدت العميد فور دخولي عليه يتحدَّث هاتفياً مع أحد المهنئين، وقدَّمت له ولزوجه أصدق التهنئة بهذا التقدير الذي صادف أهله، ثم أخذنا نقرأ الصحف، وبدأنا كالعادة بالأهرام، وكانت الصحيفة الوحيدة التي انفردت بنشر النبأ، وبعد قراءة ما نشرته الأهرام، قال العميد: الواقع أنني لا أجد سبباً لهذه القلادة، قلت: كيف هذا واليوم تكرِّم الدولة العلم والأدب والفن ـ وكان منح الدكتور قلادة النيل في يوم عيد العلم ـ وأنت يا سيدي رمز لهذه النهضة العلمية كنت الرائد والقائد، فوجب أن تنال حقك ويعترف بقدرك.

[منح الدولة للعميد وسام «قلادة النيل»]

وكانت الأهرام قد كتبت كلمة تحيِّي بها العميد في هذه المناسبة ونُشرت في الصفحة الأولى، وبعد قراءتها قال العميد: كَثَّر خيرهم.

وفي نحو الحادية عشرة والنصف حضر الدكتور محمد كامل حسين، وهنأ العميد قائلاً: هل أُهنئ الدكتور أم أُهنئ القلادة؟ وجلس بعض الوقت ثم انصرف.

[العميد يتلقَّى التهاني على حصوله على الجائزة]

وكان الهاتف يدق كل بضع دقائق، ليتحدَّث أحد المهنئين، وكان من بينهم محررة بمجلة الإذاعة، وقد رغبت في أن تحضر مساء، ومعها الأستاذ محمد عبد الوهاب الذي كان قد مُنح وسام الجمهورية

[العميد يهاجم محمد عبد الوهاب ويتهمه بأنه ناكر للجميل]

في اليوم نفسه، فيلقي الأستاذ عبد الوهاب بعض الأسئلة ليجيب عليها العميد وتأخذ المحرِّرة الأسئلة والإجابة لتنشرها في المجلة بهذه المناسبة، ورفض العميد تحقيق رغبة المحرِّرة، وقال بعد انتهاء المكالمة الهاتفية: لماذا تحضر معها عبد الوهاب، إن هذا الإنسان ناكر للجميل، كتبت عنه وهو صغير وشجَّعته، فلما كبر أخذ يهاجمني ويسيء إليّ.

وقبل انصرافي في نحو الواحدة والنصف طلب مني العميد أن أرسل البرقية التالية إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

[العميد يبرق إلى رئيس الجمهورية شاكراً له]

السيد رئيس الجمهورية. . .

أرجو أن يتفضل السيد الرئيس فيقبل أصدق شكري، وأعمق حبي، وأخلص دعائي لسيادتكم بالنجاح والتوفيق والسعادة.

طه حسين

وقد حال المرض بين العميد وحضور حفل عيد العلم الذي أقيم في مساء هذا اليوم، وشُغل العميد في هذا المساء برئاسة اللجنة الإدارية بالمجمع التي انعقدت في بيته، وقد حضر إليه بعض محرري الصحف يسألونه عن شعوره بهذا التكريم، وكان ردُّ العميد أنه يشكر السيد رئيس الجمهورية على هذا التكريم الذي يرجو أن يكون أهلاً له.

الأحد ١٩٦٥/١٢/١٩: وفي الثانية عشرة والنصف ظهر هذا اليوم أقيم في بيت العميد حفل بسيط، بمناسبة تسلُّم القلادة التي حملها مندوب رئيس الجمهورية الأستاذ صلاح الشاهد، وقد قدَّمها إلى العميد مُعْرباً له عن أجمل تحيات السيد الرئيس، وردَّ العميد على الأستاذ الشاهد شاكراً له تحياته، ومحمِّلاً إياه أجمل الشكر وأخلص التحية للسيد رئيس الجمهورية.

[حفل في بيت العميد لتسلمه قلادة رئيس الجمهورية]

حضر هذا الحفل الدكتور محمد عوض محمد، وابنة العميد السيدة أمينة زوجة الدكتور محمد حسن الزيات، وزوجة العميد وكاتب

هذا السطور، ولم يمكث مندوب رئاسة الجمهورية إلا نحو ربع ساعة، ثم انصرف وخرج في أثره الدكتور محمد عوض، وتركت زوجة العميد وابنتها الحجرة، وهنا طلب مني العميد أن أضع القلادة بين يديه، وأخذ يجسّها بأصابعه والبسمة تعلو شفتيه، ثم وضعتها بعد ذلك فوق المكتب، غير أنه رجاني أن أضعها في مكان آخر بحيث لا يراها من يدخل الحجرة، وكان ذلك بعد أن حضر الدكتور محمد حسن الزيات وداعب العميد قائلاً: أعطني هذه القلادة، وقال العميد: لا إنها شيء لا يُهدَى.

كثر عدد الذين سَعَوا إلى بيت العميد للتهنئة وبخاصة في المساء، فضلاً عن الصحفيين الذين اهتبلوا هذه المناسبة فتوافدوا على رامَتان لتسجيل الأحاديث مع العميد، ودارت هذه الأحاديث كلها حول القلادة ومغزى إهدائها إلى العميد في يوم عيد العلم، وسأل بعض الصحفيين العميد عن آماله في المستقبل فتمثل بقول الشاعر:

ما فاتَ ماتَ والمؤمَّل غَيْبٌ ولك الساعةُ التي أنت فيها

[العميد يقول جواباً على أسئلة بعض الصحفيين عن آماله في المستقبل: إنه يود كتابة الجزء الثالث من «الفتنة الكبرى» وأن يكمل «الأيام»]

بيد أنه أضاف إلى هذا: أودُّ أن أكتب الجزء الثالث من «الفتنة الكبرى» وأكمل «الأيام».

وكان الأستاذ الشاعر عزيز أباظة قد منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب، وألقى أمام رئيس الجمهورية في يوم عيد العلم كلمة نَحَى فيها الشاعر مَنْحَى كتَّاب العصر العباسي من أمثال الجاحظ، فهي جَزْلة الألفاظ، قوية الصياغة، تخيَّر الشاعر كلماتها، وتأنَّق في التعبير بها، فجاءت آية من البيان العربي البليغ، وكانت هذه الكلمة موضع حوار بين العميد وبعض الصحفيين، فهؤلاء يرون أنَّ الشاعر أغرب في كلمته وتكلَّف في كتابتها، وكان رأي العميد غير ذلك، فالكلمة طيبة وموفقة ولا يؤخذ عليها جزالة ألفاظها ما دامت غير مستكرهة ولا متكلَّفة، وتطرق الحديث إلى ما يُكتب باللغة العامية، فحمل العميد على هذه

[العميد يقول: إن الداعين للغة العامية أعداء للعروبة والإسلام]

اللغة والذين يكتبون بها، فهي لا يمكن أن تكون وسيلة للفكر والأدب والداعين إليها أعداء للعروبة والإسلام.

الاثنين ١٩٦٥/١٢/٢٠: حمل البريد والبرق تهنئات للعميد من بعض الأدباء وأساتذة الجامعات، وأصدقاء العميد، وكان بعض هذه التهنئات شعراً، وهو شعر متكلّف لم يَرْضَ عنه العميد.

ويبدو أنَّ كثرة الذين سَعَوا إلى رامَتان، وكثرة الأحاديث التي أدلَى بها العميد، ثم ذهابه إلى مقر رئاسة الجمهورية في الساعة الرابعة من مساء الأحد ١٢/١٩، كل هذا أثَّر على صحة العميد وبخاصة أنه كان يشكو من برد، ولهذا ظل طوال هذا اليوم نائماً في فراشه، وقد احتبس صوته إلى حدٍّ ما، وقد زاره في هذا اليوم الأستاذ ثروت أباظة ودار الحديث حول القِلادة، واهتمام الناس بهذا الإهداء، وما كتبته الصحف عن العميد بهذه المناسبة.

الجمعة ١٩٦٥/١٢/٢٤: كان هذا اليوم ثاني أيام شهر رمضان من سنة ١٣٨٤هـ، وبعد لقائي بالعميد قال: صائم أو نحضر لك قهوة، فقلت: صائم والحمد لله، فقال: يا بَخْتك أنا لا أستطيع أن أصوم، ولذلك فأنا فاطر، فقلت له: لا عليك يا سيدي فمثلك في كبر سنه وضعف صحته لا يجب عليه الصيام.

[العميد يعتذر عن عدم الصيام لأنه لا يستطيع]

كان العميد ما زال يشكو من البرد، وكان وهو جالس ينام أحياناً، وكنت أحاول رفع صوتي حتى أوقظه، وذلك أن زوجته كانت تعاتبني إذا دخلت الحجرة ووجدت العميد نائماً.

الجمعة ١٩٦٦/١/١٤: كانت قضية مقتل الزعيم المغربي المهدي بن بركة قد بلغتْ ذِرْوتها في هذا الشهر، وكان التوتر السياسي بين فرنسا والمغرب قد اشتد بسبب هذه القضية، وكان العميد شديد الحرص على قراءة كل ما يتصل بهذه القضية في الصحف العربية والفرنسية.

[العميد يهتم بقضية اغتيال الزعيم المغربي المهدي بن بركة ويتعاطف معه]

وفي هذا اليوم طلب مني أن أقرأ له كل ما جاء في الصحف عن

هذه القضية وكان يبدي تعاطفاً نحو الزعيم ابن بركة، وأسفاً نحو هؤلاء الذين دبَّروا بليل اغتيال هذا الرجل.

[كان العميد معجباً بكتاب الأدب الجغرافي العربي لأحد المستشرقين الروس وينتقد بنت الشاطئ]

الجمعة ١٩٦٦/١/٢٨: في مساء هذا اليوم كنت أقرأ للعميد كتاب «الأدب الجغرافي العربي» للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، وكان الدكتور شديد الإعجاب بهذا الكتاب ويعجب لما كتبته الدكتورة بنت الشاطئ حوله، ويرى أنها لم تكن منصفة ولا مقدِّرة لهذا العمل العلمي الجليل في بابه، فالكتاب يشهد لمؤلفه بالذكاء والاطلاع الواسع على التراث العربي في مختلف ألوانه، كما يشهد له بالصبر على متاعب البحث، ولا يغضُّ من قيمته أنَّ قلم المؤلف زلَّ عن غير قصد في بعض المواطن لعدم الفهم الدقيق للألفاظ القرآنية، فجاءت الدكتورة بنت الشاطئ وتصيَّدت المثالب وضخَّمت الهَنات، وكتبت تعليقها غير المنصف كما يرى العميد، وقد نشر هذا التعليق مُلْحقاً بالجزء الثاني من الكتاب.

[وكان يأخذ على بنت الشاطئ أيضاً كتاباتها عن القرآن الكريم وتفسير بعض آياته]

على أن العميد كان لا يروقه ما تكتبه تلميذته الدكتورة بنت الشاطئ في صحيفة الأهرام وبخاصة ما تكتبه عن القرآن الكريم وتفسير بعض آياته، فقد كان يرى أنها تلف وتدور حول النص القرآني، ولا همَّ لها غير إيراد الآيات الكثيرة ثم لا تقدِّم شيئاً ذا بال بعد ذلك.

[رأي العميد في المستشرقين]

وبمناسبة كتاب «الأدب الجغرافي» أود الإشارة إلى أن للعميد رأياً في المستشرقين بوجه عام، فهم لديه خدموا الثقافة الإسلامية خدمة لا مثيل لها، وكان لبعضهم دَوْر لا يُنكر في نهضة التعليم في مصر وبخاصة عند إنشاء الجامعة الأهلية، ومع هذا الفضل للمستشرقين كان العميد يؤمن بأن بعضهم كان يعمل في وزارتي الخارجية والمستعمرات، وأنهم كانوا جواسيس لبلادهم وأن مصدر الأخطاء العلمية التي صدرت عنهم كان غالباً عدم فهم النصوص العربية، وإن كان للمشاعر الدينية أثرها في آراء المستشرقين وأخطائهم.

السبت ١٩٦٦/١٢/٩: جاء في صحف هذا اليوم أنَّ المدارس في إنكلترا قد أُغلقت بسبب الأنفلونزا التي اجتاحت بريطانيا وأدت إلى وفاة أكثر من خمسين شخصاً، وسألني العميد بعد أن قرأت له أخبار الأنفلونزا في إنكلترا، ماذا تعرف عن كلمة الأنفلونزا؟ فقلت: أغلب الظن أنها أجنبية، فقال: لا، الكلمة عربية الأصل، وذلك أن العرب كانوا يطلقون على المرض الذي يصاحب الأنف بسبب البرد «أنف المعزة» لأن أنف المعزة دائماً مَزْكوم، ومن ثَمّ أُطلق على كل مزكوم بأنه مريض بأنف المعزة، وذاعت الكلمة في إسبانيا إبَّان الحكم الإسلامي، ومنها انتقلت إلى سائر بلدان أوروبا محرَّفة، ثم جاءت إلينا كما ننطقها الآن، وصمت العميد برهة ثم قال: منذ أعوام كنت في إسبانيا وزارني شخص وحين سألته عن اسمه قال: «بن مية» والاسم كما ترى عربي فأصله «ابن أمية»، وتطرق الحديث إلى أثر العرب في إسبانيا وأوروبا، فقال العميد: إن للعرب أثراً ضخماً في إسبانيا وأوروبا كلها، ويكفي أنّ الإسبان اليوم يعدُّون فترة الحكم الإسلامي جزءاً من تاريخهم القومي، ولا يعدونها فترة استعمار.

[العميد يتحدث عن أصل كلمة أنفلونزا]

[العميد يتحدث عن أثر العرب في إسبانيا وأوروبا]

الاثنين ١٩٦٦/١/٣١: تحدَّث العميدُ في مساء هذا اليوم إلى أحد محرِّري صحيفة الأخبار عن قلَّة الإنتاج الأدبي وضعف النقد، والخمود العام الذي ران على جو الحياة الفكرية، ودَوْر الجامعة في حياتنا المعاصرة. وقد عزا العميد قلَّة الإنتاج الأدبي وضعف النقد إلى عزوف المثقفين عن القراءة، فلا إنتاج بلا قراءة وما دام المثقفون يضيعون أوقاتهم في دور الخيَّالة والتمثيل ومشاهدة «التلفزيون» وقراءة الصحف والمجلات الخفيفة، فلا أمل في حياة فكرية قوية وإنتاج أدبي رفيع، إنَّ معظم المثقفين لا يقرؤون الكتب الجادة والأبحاث القيِّمة، ولذلك هبط مستوى الإنتاج الأدبي، كما هبط مستوى المجلات الفكرية، وضرب العميد مثلاً بمجلة الهلال التي كانت في الماضي أدسم مادة وأحسن حالاً مما عليه الآن، وأشار العميد إلى واجب

[العميد يتحدث عن قلة الإنتاج الأدبي وضعف النقد وأسباب ذلك]

الدولة نحو نشر المجلات ودعمها دون نظر إلى ما تدره من ربح وقال: لقد كانت هناك مجلات ممتازة كالرسالة والثقافة والمقتطف والهلال، هذه المجلات وأمثالها ما كانت تكلّف الدولة شيئاً، وكانت رائجة ولها قرّاؤها في البلاد العربية وحقّقت لذويها أرباحاً لا بأس بها.

[العميد ينتقد أساتذة الجامعات]

واتهم العميد أساتذة الجامعة بعدم القراءة والتأليف والاكتفاء بإملاء المحاضرات التي يحفظها الطلاب ويمتحنون فيها دون أن يعرفوا شيئاً عن المراجع المتخصصة وأهميتها العلمية، وهذا خطأ فاحش، على الأساتذة في الجامعة أن يقرؤوا وينتجوا ويعلّموا تلامذتهم كيف يقرؤون وينتجون، أما أن تقتصر مهمة أستاذ الجامعة على إملاء المحاضرات فهذا عَبَث لا يليق بالجامعة ورجالها[1].

الثلاثاء أول فبراير سنة ١٩٦٦: أخبرني العميد أمس أن وفداً من رئاسة الجمهورية سيحضر إلى بيت العميد لتسليم براءة قِلادة النيل، وذلك في الساعة الحادية عشرة، وطلب مني أن أبكّر بالحضور في هذا اليوم، وذهبتُ قبل الموعد بنحو ربع ساعة، ووجدت العميد يجلس في حجرة الاستقبال، وكانت أول مرة بالنسبة لي أن أدخل هذه الحجرة الفسيحة الجميلة، وأيقنت أن العميد في انتظار وفد رئاسة الجمهورية، ولكن بعد نحو ثلث ساعة، رغب العميد في الصعود إلى الطابق الثاني، ولم أشأ أن أحدّثه عن الوفد القادم من رئاسة الجمهورية إلا بعد أن انتهينا من قراءة الصحف، وقد قال: إنهم قدموا قبل حضوري بقليل، وانصرفوا فوراً دون أن يشربوا القهوة لأنهم كانوا مضطرين للذهاب إلى المطار لمقابلة رئيس وزراء المجر القادم في زيارة للقاهرة.

وفي مساء هذا اليوم وصل العميد برقية من السيد رئيس الجمهورية يشكره فيها على تهنئة العميد للرئيس بعيد ميلاده، وكانت

(١) نشر هذا الحديث في صحيفة الأخبار، يوم الأربعاء الموافق ٢/ ٢/ ١٩٦٦.

البرقية مفتاحاً للحديث عن البراءة فقال العميد: لقد بدئت البراءة بالعبارة التالية:

من السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأستاذ الدكتور طه حسين، ونصَّ في هذه البراءة على أنه تقديراً لما قمتَ به من خدمات جليلة في ميدان الأدب والعلم، وما أسديته للوطن من أيادٍ جليلة، أهدينا إليكم قِلادة النيل وهو أرفع وسام في الدولة.

الأربعاء ١٩٦٦/٢/٢: لم يكن مقرراً أن أذهب إلى العميد في هذا اليوم، فسكرتيره فريد شحاتة كان سيأتي بعد شفائه من مرض ألمَّ به، ومع هذا اتصلت هاتفياً برامَتان فعرفتُ أنَّ الأستاذ شحاتة لم يصل، وأنَّ عليَّ أن أذهب. وفَوْر دخولي حُجْرة المكتبة وجدت الأستاذ فريداً جالساً، فأردت الانصراف لكنه رجاني أن أنتظر قليلاً، ولما علم العميدُ بحضوري طلب أن أنتظر حتى يحضر، وجلست مع الأستاذ فريد نحو ربع ساعة ودار بيني وبينه حديث أدركت منه مبلغ الأسى والقنوط الذي يسيطر على الأستاذ فريد، وكان ممَّا قاله لي: لقد قرأتُ مع الدكتور كل هذه الكتب الموجودة في المكتبة، كنت أحضر في نحو السابعة صباحاً وأنصرف أحياناً بعد منتصف الليل، فقلت له: إن هذا تاريخ يشهد لك بالدور الكبير الذي قمت به مع العميد، فقال: لا أهمية لذلك؛ إنني مريض ومصاب بهبوط شديد، وفي حاجة ماسة إلى الراحة، ولكن مواصلة أداء الواجب يفرض عليَّ أن أتحمل وأعمل.

وحضر العميد ومعه زوجه ووقف الأستاذ فريد دون أن ينبس بِبِنْتِ شَفَة، ونظرتْ إليه زوجة العميد نظرة ملؤها الغَيْظ والحِنْق، وبعد خروجها حيّا السكرتير العميد، ثم شكرني العميد وسمح لي بالانصراف على أن أحضر يوم الجمعة.

الجمعة ١٩٦٦/٢/٤: زار العميد في هذا اليوم الدكتور محمد كامل حسين، وتناول الحديث بينهما مسائل مختلفة منها ما كان في

أزمة سنة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٢، وكيف أنَّ صِدْقي كان يحاول إغراء بعض السياسيين بالمال لتفريج ضائقتهم بشرط أن ينضموا إلى حزبه ويتركوا أحزابهم.

الجمعة ١٩٦٦/٢/١١: عقب وفاة الأستاذ أمين الخولي كتب الأستاذ صلاح عبد الصبور مقالاً في ملحق صحيفة الأهرام الأسبوعي تحدَّث فيه عن أستاذه ومعلِّمه مشيداً بأثره في الحياة الفكرية والعلمية، وبعد أن انتهيت من قراءة المقال طلب مني العميد أن أقرأ بعض فصول في كتاب «المقالات والفرق» قائلاً: علّنا ننسى هذه الأحزان، فقلت: أي أحزان؟ فقال: أحزاننا على هؤلاء الذين يذهبون واحداً إثر آخر، إن الأستاذ أمين الخولي كنت أعزّه وأحبُّه، وقد تألمتُ لموته، وأعلم أني نقلته إلى الجامعة كما نقلت الدكتور عبد الوهاب عزام.

[حزن العميد على وفاة أمين الخولي وامتداحه له]

وكتاب «المقالات والفِرَق» هذا ألفه الإمام أبو خَلَف الأشعري، ويتحدث فيه عن آراء الفرق الإسلامية، ويورد من المقالات ما يبعث على الضحك، وكان العميد يضحك من كل قلبه عندما أقرأ له رأياً غريباً لفرقة من الفرق، ولهذا طلب مني أن أقرأ له في هذا الكتاب علَّه ينسى بآرائه الشاذة ومقالاته العجيبة آلام الحزن على هؤلاء الأحبة الذين يختطفهم الموت واحداً إثر آخر.

[قراءة العميد في كتاب «المقالات والفرق» ليسرِّي عن نفسه بعض آلامه]

الجمعة ١٩٦٦/٢/٢٥: طلب مني العميد في مساء هذا اليوم أن أقرأ له صحيفة الأهرام مرة ثانية لأنه كان ينام في الصباح كثيراً، ثم قال: تصوَّر أن القارئة التي تقرأ لي من الساعة الثالثة حتى الخامسة جاءت وكنت في الفراش، ومع هذا لم أنم دقيقة واحدة، فقلت: يبدو أني مسؤول عن نومك، فصوتي بلا شك غير صوت القارئة الفرنسية، فتبسَّم العميد دون تعقيب.

وفي نحو السادسة والنصف زار العميدَ طبيبٌ إيطالي، وقدَّم له كتاباً أصدرته جامعة مونبيليه عن الدكتور طه حسين، وهو كتاب يقع

في ٣٠٠ صفحة، وهو دراسة شاملة عن أدب العميد وحياته، وطلب مني العميد بعد خروج هذا الطبيب أن أضع له الكتاب بين يديه ليعرف حجمه، ثم قال: لا تضعه في المكتبة، وإنما أعْطِه للسِتّ.

وفي الساعة الثامنة تقريباً دقَّ جرس الهاتف وكان المتحدث ابنة العميد السيدة أمينة، ودار بينها وبين والدها حديث قصير قال فور انتهائه: إن ابن ابنتي وهو طالب في الثانوية يقول: إن التلاميذ في المدرسة يتناقلون فيما بينهم ما جاء على لساني في الندوة وهو أني لم أفهم «عبقرية عمر» للعقاد، فكيف يفهمها هؤلاء التلاميذ.

[انتقاد العميد لكتاب العقاد «عبقرية عمر»]

وكانت ندوة تلفزيونية قد عقدت في بيت العميد منذ أيام، واشترك فيها عدد من الأدباء والكُتّاب منهم الأساتذة: أنيس منصور، ويوسف السباعي، وثَرْوت أباظة، ونجيب محفوظ، ومحمود أمين العالم، ويوسف غراب، وأثار المشتركون في الندوة مع العميد قضايا أدبية مختلفة، بعضها يتصل بأدب الشيوخ والشباب، وكان منها ما أثاره الأستاذ أنيس منصور عن العقاد ومنهجه في الكتابة عن طائفة من الأعلام القُدامى والمُحْدَثين، وبخاصة أعلام الإسلام في الصدر الأول، وقد قال العميد فيما قاله عن العقاد: إنه يُسْرف حين يدرس شخصية من الشخصيات في القضايا النفسية والفلسفية، ومن ثَمَّ يكتنف الغموض ما يكتبه، وأنه ـ أي العميد ـ لم يفهم «عبقرية عمر».

[نقده لتقرير الكتاب السابق على تلاميذ المدارس]

وقال العميد: يبدو أني أخطأت حين قلت بأني لم أفهم «عبقرية عمر»، فهذا عَيْب فيَّ وليس عَيْباً في العقاد، وعلى كل حال فتقرير هذا الكتاب غير سديد، فمستواه فوق مستوى التلاميذ حتى بعض المدرسين.

الجمعة ١٩٦٦/٣/٤: نشر الأستاذ أنيس منصور في أخبار الأدب ـ وهو باب كان يحرره في صحيفة الأخبار ويظهر كل يوم جمعة ـ نشر مقالاً تحت عنوان: «لا هو ولا نحن قلنا كل شيء» وقد صدر هذا المقال بالتنبيه التالي:

[أنيس منصور يكتب مقالاً في جريدة الأخبار يتحدث فيه عن العميد، لا سيما رأيه في عبقريات العقاد والعميد يصف هذا المقال بالسخف]

تنبيه: اتفقت مع الأستاذ فريد شحاتة سكرتير طه حسين ألا يقرأ له هذا المقال. وما كدت أقرأ هذه العبارة حتى قال العميد: الحمد لله، ففريد غير موجود اليوم..

وقرأت للعميد المقال وهو كما يلي:

«لم يكن في الاستطاعة أن يقول طه حسين أكثر، أو غير ما قال، فهو مريض جداً فنحن حملناه على مقعد إلى الدور الأرضي، ليجلس أمام كاميرات التلفزيون، وأنا أعلم أكثر من غيري أنه بين لحظة وأخرى قد ينهار وتعاوده حالة الإغماء التي تصيبه مرة أو مرتين في اليوم الواحد، أو نفاجأ نحن بالسيدة حرم طه حسين فتهدم كل ما في البيت على رؤوس كل من بالبيت من أدباء ومهندسين، ولذلك تواصَيْنا على عدم إرهاق طه حسين، وعلى أن نتركه هو الذي يقول ما يريد، ولا يهم أبداً ما نقوله نحن، فلا يزال أمامنا الكثير من الوقت لنقول في الصحف وفي الإذاعة وفي التلفزيون. وليس هناك كثير من الوقت أمام عميد الأدب العربي، أطال الله حياته، هذه حقيقة.

وقد أثار طه حسين قضايا ما كان يصح السكوت عليها، بل أصدر آراءً وأحكاماً عنيفة خاطفة، وكان لا بدَّ من مناقشتها لولا اتفاقية الصمت التي تم توقيعها بيننا قبيل التسجيل، فرأي طه حسين في كافكا والأدب الأسود يحتاج إلى مناقشة، ورأي طه حسين في الاتجاهات الجديدة في الأدب عند آلان ـ روب جرييه أو عند ألبير كامي، أو حتى فهم طه حسين للفلسفة الوجودية... كل هذا يحتاج إلى مناقشة وتصحيح، وإن لم يكن من الضروري أن يكون طه حسين ملماً بكل الاتجاهات الجديدة في الأدب أو في المسرح أو في السينما... ليس ضرورياً أن يتابع بشباب ويقظة كل هذه الاتجاهات الشابة الجديدة.

وعندما سألت طه حسين عن منهج العقَّاد أو منهج التفسير النفسي في الترجمة لأيٍّ أديب أو فنان أو في الترجمة الذاتية، وضربتُ

مثلاً بالعقاد في سلسلة العبقريات، وأعلن طه حسين أنه لم يفهم العبقريات، كان لا بدَّ أن أسأله: هل لم تفهم منهج العقاد؟ هل لم تفهم تطبيق العقاد لهذا المنهج؟ هل لم تفهم المعطيات التاريخية التي اختارها العقاد؟ هل أنت تختلف معه على معنى العبقرية؟ هل العقاد أسرف في استخدام هذه الكلمة؟

ولم أكن حريصاً على أن أسأله وحدي، فأنا مسؤول عن البرنامج، ولم أشأ أن أجعل المناقشة تدور حول العقاد وطه حسين، وأنا أعرف ما بينهما، وطه حسين يعرف مدى حبِّي للعقاد.

ورضيت بهذه الندوة أو هذه الجلسة العائلية التي التفَّ فيها حول طه حسين عددٌ من الأدباء يمثلون ألواناً واتجاهات مختلفة في الأدب والفن، وابتلعت الزَّلَطْ من أجل نجاحها، ولم يكن من الضروري أن يقولوا كل شيء، ولكن من الضروري أن يقول طه حسين، فمن أجل تصوير طه حسين صوتاً وضوءاً كانت هذه الحفلة التاريخية..

أنيس منصور

وكان تعليق العميد على هذه المقالة كلمة واحدة هي: سخيف، يعني الأستاذ أنيس، وقلت للعميد: هل تصدِّق ما ذكره الأستاذ أنيس في صدر مقالته، قال: لا، ففريد يأخذ يوم الجمعة إجازة، فالاتفاق معه ألا يقرأ لي ما كتبه أنيس غير معقول، وهي كذبة سخيفة من أنيس.

[العميد يثني على ثلاثية نجيب محفوظ وينتقد أعماله الأخرى]

الجمعة ١٩٦٦/٣/١١: كان في صحيفة الأهرام مقال عن قصة الأستاذ نجيب محفوظ «ثرثرة على النيل»، وقال العميد بعد قراءة هذا المقال: بكل صراحة، لقد قرأت هذه القصة ـ وسرد أحداثها ـ ولم أفهم ماذا يقصد منها، وكذلك قصة «اللص والكلاب»، و«السمان والخريف»، ثم قال: إن الثلاثية هي العمل الفني الوحيد الرائع لنجيب محفوظ، ويبدو أن الصحافة هي السبب في ضعف مستوى هذه القصص، لأن الكاتب الذي ينشر قصصه في الصحف مسلسلة ثم

يجمعها في كتاب يكون وقت كتابتها مقيداً بزمن صدور الصحيفة، وهذا يجني على فنية العمل الأدبي.

الجمعة ١٩٦٦/٣/١٨: في مساء هذا اليوم تحدث العميد إلى الأستاذ سامح كريم المحرر بمجلة الإذاعة عن قضايا مختلفة، بدأها بقضية الحضارة الغربية، وما يقال عنها من أنها في طريق التداعي والانهيار لاهتمامها بالمادة دون الاهتمام بالروح، والعميد لا يرى ما يراه بعض الدارسين من أن الحضارة الغربية في طريق الانهيار، ويؤكد أن هذه الحضارة لن تبيدها إلا حرب ذرية وأنها في الماضي انتفعت بالحضارة العربية انتفاعاً كبيراً، وأنه يجب اليوم أن يقوم تبادل ثقافي بين الشرق والغرب، فينتفع الشرق بما لدى الغرب كما انتفع الغرب في الماضي بما لدى الشرق.

[العميد في حديث لمجلة الإذاعة: الحضارة الغربية لا تسير نحو الانهيار وعلى الشرق أن ينتفع بها]

وعن الترجمة وما يجب أن تتسم به قال العميد: إن الترجمة يجب أن تكون دقيقة وأمينة، وليس من الدقة انفراد مترجم واحد بنقل كتاب من لغة إلى أخرى، ولجنة الترجمة في مجلس الفنون تتبع أسلوباً يكفل الإتقان والدقَّة لكل نص مترجم، فهي تقرر أولاً مدى صلاحية النص للترجمة، ثم تكلِّف من يراجع الترجمة، وبعد هذا يتولَّى عضو من أعضاء اللجنة فحص الكتاب ليتأكد من حسن عمل المترجم ومن حسن عمل المراجع، وبهذا كله تكون الترجمة دقيقة ومتقنة ومفيدة.

[الترجمة يجب أن تكون دقيقة وأمينة]

وكان موضوع شيوع التعليم، وعدم ارتباطه بمشكلات المجتمع وبخاصة كليات الجامعة النظرية من القضايا التي تحدّث عنها العميد، وقد أشار إلى أنَّ التعليم شائع في كل البلاد المتحضرة وهو بالمجان في كثير منها، وأكد أنَّ الكليات الجامعية النظرية ليست بعيدة عن الشعب، وأنها لا تهتم فحسب بنظريات وأفكار الماضي، وأنها تؤدِّي واجبها كما تستطيع دون تقصير في أداء هذا الواجب، والذي أرجوه أن تهتم حكومة الثورة بهذه الكليات كما تهتم بالكليات والمعاهد العلمية، وكثيراً ما كنت أقول للسيد رئيس الجمهورية: إنَّ الشعب ليس

[يجب إشاعة التعليم في أفراد المجتمع والكليات النظرية في الجامعة يجب الاهتمام بها لأنها مصدر الثقافة التي يحتاجها المجتمع]

محتاجاً إلى العلم وحده، ولكنه محتاج إلى الثقافة، وهي في الكليات النظرية أكثر من غيرها.

[الصحافة اليوم تقدم للشعب ثقافة هزيلة]

وعن موقف الصحافة من الشعب قال العميد: إنَّ الصحافة اليوم تجنح إلى أن تقدم لقرائها الأحداث السياسية دون نقد لها، كما أنها نتيجة لذيوعها وكثرة الإقبال عليها لا تقدِّم للشعب ثقافة جادَّة، وإنما تقدم له ثقافة هزيلة والشعب لا يريد ذلك، وحتى تكون الصحافة مرآة للشعب وعقليته يجب أن تكون تابعة له بدلاً من أن تكون معلِّمة.

[عدم القراءة الجادة هو سبب تخلفنا الأدبي]

وانتقل الحديث إلى الحياة الأدبية وما تتعرض له من أزمات، ورَأْيُ العميد في هذا واضح وقاله أكثر من مرة، ويتلخّص في أنَّ عدم القراءة هو مصدر ما تعانيه الحياة الأدبية من أزمات ومشكلات، وأن وسائل الترفيه موجودة في جميع بلدان العالم وسبقتنا إليها دولٌ كثيرة، ومع هذا لم تؤثر في مستوى الحياة الفكرية والأدبية، لأن الناس يقرؤون مع حرصهم على أن ينالوا حظهم من الترفيه، ولكن الناس عندنا لا يقرؤون، وهذا سبب تخلُّف حياتنا الأدبية.

[يجب أن يراعي الإبداع الأدبي قوانين الدولة]

وسأل المحرر العميد عن العلاقة بين حرية الإبداع الأدبي والاتجاه العام للدولة، وكانت إجابة العميد أن على الأدب حين ينتج أن يرعى القوانين القائمة ولا يخرج عليها.

ثم سأله عن ميثاق المثقَّفين وهل هناك صورة مشابهة له في الحركات الثورية؟

[العميد يقول: إن ميثاق المثقفين لم يصله ولم يقرأه]

ويجيب العميد: مع الأسف الشديد لم أرَ هذا الميثاق.

ويسأل العميد: في أي مكان نشر هذا الميثاق؟

ويجيب المحرر: في نشرة الاشتراكي.

ويرد العميد: إنَّ هذه النشرة لم تصلني إلى الآن.

وعن منهج العقاد العقلي وموقف العميد منه، وما يتردَّد على ألسنة البعض من وجود خلاف بين العقاد والعميد، يقول العميد: ليس

صحيحاً أنه كان بيني وبين العقاد خلاف، وما قلته عن «عبقرية عمر» للعقاد ليس عيباً له، وإنما عيب لي لأني لم أفهم كتاباً أقرب إلى الفلسفة منه إلى التاريخ، فالعقاد كان أخي وصديقي، واقرأ إن شئت ما رثيته به حين فارق الحياة.

[ليس بيني وبين العقاد خلاف فهو أخي وصديقي وكتابه «عبقرية عمر» أقرب إلى الفلسفة منه إلى التاريخ]

الجمعة ١٩٦٦/٩/٣٠: سألني العميد عن خطاب أرسله إليه الدكتور بدوي طَبَانة يشكره فيه شكراً جزيلاً، غير أنه لا يدري سراً لهذا الشكر الجزيل، فقلت: الذي أعرفه أن هناك صراعاً بين الدكتور طَبَانة والدكتور غُنيمي هلال حول رئاسة قسم النقد الأدبي في دار العلوم، وقد اختارت اللجنة ـ وأنتم ترأسونها ـ الدكتور طبانة لرئاسة هذا القسم، فقال العميد: الآن فهمت سرَّ هذا الخطاب.

وقلت للعميد: ولكن يقال إن مجلس كلية دار العلوم انقسم حول قرار اللجنة، فمن أعضائه من يناصر الدكتور غُنيمي، ومن هؤلاء الأعضاء من يقف مع الدكتور طَبَانة. فقال العميد: ولماذا يناصر بعض أعضاء مجلس الكلية الدكتور غُنيمي هلال؟ قلت: يرى هؤلاء أن الدكتور غُنيمي درَّس الآداب الأجنبية وحصل على الدكتوراه من فرنسا، وله إنتاج في ميدان النقد الأدبي والأدب المقارن لم يُسبق به. على حين حصل الدكتور طبانة على الدكتوراه من مصر، ودراسته للبلاغة والنقد الأدبي تقليدية، وتكاد تنحصر مؤلفاته في مجال البلاغة العربية والنقد القديم. فقال العميد: ليس كل من حصل على الدكتوراه من الخارج أهلاً ليكون أستاذاً، فهناك في البلاد الأجنبية أناس صناعتهم كتابة الرسائل للطلبة الأجانب. وبهذه المناسبة أذكر أن الدكتور أحمد ضيف لم يكتب رسالته بنفسه، وإنما كتبها له أستاذ من هؤلاء الذين يكتبون الرسائل للطلبة الأجانب.

[العميد ينتقد الدكتور غنيمي هلال وبعض الذين حصلوا على الدكتوراه من الخارج]

ثم إن مؤلفات الدكتور غنيمي هلال ليست كما يرى بعض أعضاء مجلس كلية دار العلوم، وهذه المؤلفات نُقُولٌ من مؤلفات فرنسية للمدارس الثانوية، فليست ابتكارات كما أنها ليست في الأدب المقارن

بالمعنى الصحيح، والذي أعرفه أن الدكتور غُنيمي أُوفد في بَعْثة إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في الأدب المقارن، وعندما ذهب إلى أستاذه سأله هذا الأستاذ: هل تعرف اللاتينية، فقال الدكتور غنيمي: لا، فسأله هل تعرف اليونانية، فقال: لا، فسأله هل تعرف الإنكليزية، فقال: لا، ثم سأله ماذا تعرف إذن؟ فقال: أعرف بعض الفرنسية، فقال الأستاذ: عليك بدراسة موضوع آخر غير الأدب المقارن. وأضاف العميد إلى هذا: وجاءني غُنيمي هلال وكنت في فرنسا وطلب مني التوسط لدى الأستاذ أو التوسط في القاهرة لتغيير موضوع البعثة، وحاولت مع الأستاذ غير أنه رفض، فحاولت مع وزير المعارف وكان الأستاذ العشماوي، ولكني لم أصل إلى نتيجة، وكان أن التحق الدكتور غُنيمي بمدرسة اللغات الشرقية، ودرس الفارسية وكتب رسالة عن الأدب الفارسي والعربي، وعاد ليكون مدرساً للأدب المقارن، وهذا غير سليم.

[العميد يعتذر من نقده في شبابه للمنفلوطي]

الجمعة ١٩٦٦/١٠/١٤: كان الأستاذ محمد شوقي أمين رئيس التحرير بالمجمع اللغوي ـ وعضو المجمع بعد ذلك ـ قد أشار في حديث معه إلى أن الدكتور طه حسين نقد المنفلوطي بوحي من القوى المناوئة لاتجاهات المنفلوطي الوطنية، وأن الأستاذ محمد صادق عنبر كان يقرأ كتب المنفلوطي وبخاصة كتاب «النظرات»، ويحصي المآخذ ويقدمها للدكتور طه ليصوغ منها مقالة تنشر في مجلة الهداية التي أنشأها الشيخ عبد العزيز جاويش، فأردت الوقوف على حقيقة هذا الموضوع من العميد، وكان في صحف هذا اليوم كلمة للأستاذ أنيس منصور عن الأستاذ العقاد أومأ فيها إلى البحث الذي أُلّف عنه بعنوان «عباس العقاد ناقداً» وهو للمرحوم الدكتور عبد الحيّ دياب، فقلت للعميد: إن هذا البحث حصل به مؤلفه على درجة الماجستير من كلية دار العلوم، وقد نوقشت في هذه الكلية أخيراً رسالة ماجستير عن المنفلوطي الكاتب، وتعرَّض فيها صاحبها إلى أنك نقدت المنفلوطي.

فقال: أنا أستحي أن أذكر هذا الموضوع لأن هذا النقد لم يكن نقداً بالمعنى الصحيح، وإنما كان بحثاً في صحة المفردات التي يستعملها المنفلوطي من الناحية اللغوية، وكنت أنشر هذا تحت عنوان: «نظرات في النظرات»[1].

قلت للعميد ـ وقد أدركت من نَبْرة حديثه صدق ما قاله الأستاذ شوقي أمين ـ لا عليك يا سيدي، فقد كنت في سن الشباب، وكانت ظروف العصر تهتم بهذا اللون من النقد، فقال: نعم ولقد كانت سني نحو ثمانية عشر عاماً.

الأحد ١٩٦٦/١٢/٤: جاء إلى العميد في مساء هذا اليوم ثلاثة من وكالة الشرق الأوسط وعرضوا عليه الأسئلة التالية، ورغبوا في أن يجيبهم عليها.

١ ـ ما الطريق إلى قصة عربية؟

٢ ـ أثر الأدب في الوحدة العربية؟

٣ ـ مكانة العقاد وأثره في الأدب الحديث؟

٤ ـ محاكمة جونسون ورأي العميد فيها؟

[العميد يجيب على أسئلة وكالة الشرق الأوسط، ويوضح فيها: الطريق إلى قصة عربية غير إقليمية وأثر الأدب في الوحدة العربية]

ويرى العميد أن الطريق إلى قصة عربية لا تعرف الإقليمية أو المحليَّة يكون بالتخلُّص من الحواجز التي تحول بين الأدباء وحرية التنقل في البلاد العربية، فهذا التنقل أمر ضروري لكتابة قصة عربية يقرؤها العرب جميعاً، ومن المسلَّم به أن الكتابة بالفصحى شرط أساسي في هذا الموضوع.

ويؤمن الدكتور طه حسين بأن للأدب أثراً هاماً في الوحدة العربية ما دام هذا الأدب يلتزم اللغة الفصحى، فهو الذي يوحِّد

---

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» للمؤلف ص٦٦. نشر الدار العربية للكتاب (ليبيا ـ تونس).

الأفكار والمشاعر ويؤلف بين القلوب والضمائر وهذا سبيل الوحدة التي لا تنال منها الأحداث، ولا تعصف بها الأخطار.

[ـ منزلة العقاد وعبقريته]

أما منزلة العقاد في الأدب الحديث فهي لدى العميد منزلة ضخمة وآثاره الأدبية والعلمية تشهد له بالعبقرية والنبوغ.

[ضرورة محاكمة الرئيس الأمريكي جونسون لما يرتكبه من جرائم]

وكان الرئيس جونسون قد تعرَّض لحملات صحفية تدعو إلى محاكمته بسبب ما ترتكبه الولايات المتحدة الأمريكية في الهند الصينية من جرائم، وما تثيره من خلافات وصراعات بين دول المنطقة، وكان العميد يذهب إلى محاكمة جونسون فهو المسؤول الأول عن جرائم أمريكا وعليه تقع تبعة ضحايا الحروب الدامية في فيتنام وغيرها.

الجمعة ١٩٦٧/١/٢٠: أدلى العميد في مساء هذا اليوم بحديث طويل تناول العديد من المسائل الأدبية والاجتماعية، وقد أدلى العميد بهذا الحديث إلى الأستاذ «سامح كريم» المحرِّر بمجلة الإذاعة، وكان الأستاذ المحرر قد أعدَّ أكثر من عشرة أسئلة أجاب عنها العميد على النحو التالي:

[العميد يجيب عن عشرة أسئلة لمجلة الإذاعة]

السؤال الأول: لو قُدِّر لسيادتكم القيام بتأليف كتاب آخر عن مستقبل الثقافة في مصر ـ في هذه الأيام ـ فما هي ملامح هذا الكتاب الأساسية؟

[ـ أريد أن أعيد النظر في كتاب مستقبل الثقافة]

وأجاب العميد: فعلاً أريد أن أعيد النظر في كتاب «مستقبل الثقافة في مصر»، فقد ألَّفته قبل قيام هذه المشروعات الثقافية الجديرة بالاهتمام، مثل مجانية التعليم، فإنها لم تكن عامة أيام ألَّفت هذا الكتاب، وبعد أن أصبح التعليم الجامعي مجاناً فإن كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» يجب إعادة النظر فيه. وفضلاً عن هذا يلاحظ أن التعاون الثقافي وثيق بين البلاد العربية الآن، ومن قبل كانت الفرقة تسود هذه البلاد، ولم تكن الجامعة العربية قد قامت، لقد أصبح الشعب العربي أمة واحدة، وكل هذا يستحق التسجيل، ولذا أودُّ أن

يكون كتاب «مستقبل الثقافة» صورة دقيقة لواقعنا الثقافي.

السؤال الثاني: من أقوالكم المأثورة: أنه لا أدب إلا أدب اللغة الفصحى، والذين يستخدمون العامية ليسوا واقعيين وإنما عاجزون، فأيُّ اللغتين يحتاجها الشعب في هذه المرحلة، مرحلة الوضوح الفكري.

ويقول العميد: من الإهانة للشعب أن نقصر الحديث إليه على اللهجة العامية، وأنا لا أحظر على أحد أن يكتب بالعامية كما يتكلم بها، ولكن ما يكتب بالعامية ليس أدباً، وإنما هو كلام، ولن يزيد على ذلك.

[ـ ما يكتب بالعامية ليس أدباً، وإنه لا أدب إلا أدب الفصحى]

إنَّ الشعب الذي تودُّون الحديث إليه بالعامية بحجة الوضوح ومخاطبته بما يفهم، هذا الشعب يسمع القرآن الكريم ويفهمه ويتأثَّر به، وهذا يعني أنَّ الذين ينادون باللغة العامية عاجزون، وحجتهم في مخاطبة الناس بما يفهمون داحضة.

وأشار الأستاذ المحرِّر إلى أنَّ الشعب لم يقبل على مسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم مع أنها بالفصحى، على حين أقبل على مسرحية مذكرات طالب بعثة للويس عوض لأنها بالعامية، وعقَّب العميد على هذا بقوله:

إن الشعب لم يقبل على مسرحية شهرزاد، لأنها لا تفهم ولا تقرأ ولا تشاهد، وأذكر أني سألت الأستاذ الحكيم عن بعض عبارات هذه المسرحية، فكان يلزم الصمت لأنه لا يدري ماذا يقول.

أما مسرحية «مذكرات طالب بعثة» فليست أدباً على الإطلاق.

[ـ الجيل اللاحق تتلمذ على الجيل السابق غير أنه لم يستقم كله على الطريق]

وكان **السؤال الثالث** يدور حول الموازنة بين جيل طه حسين من الأدباء والمفكرين وبين الجيل اللاحق عليه، ويجيب على السؤال مشيراً إلى أن الجيل اللاحق تتلمذ كله على الجيل السابق والذي ينتمي إليه العميد، غير أن ذلك الجيل لم يستقم كله على الطريق، فهناك من

انحرف، وهو انحراف في اللغة والتفكير، وهناك من ظل سائراً في الطريق الصحيح كنجيب محفوظ، فهو وإن تخرَّج في قسم الفلسفة يأخذ نفسه بمنهج الجيل الماضي في القراءة والبحث، ومن ثَمَّ كان ذا خيال خصب وإنتاج أدبي رفيع.

أما **السؤال الرابع** فكان خاصاً بقضية النقد، نقد المجتمع والنقد الأدبي، وقال العميد إجابة عن هذا السؤال: لقد نقدت المجتمع في أيام النظم الفاسدة وكان ذلك في جريدة السياسة، وصحف أخرى، وأخشى ألا يكون لهذا الاتجاه النقدي امتداد فلست أجد فيما أقرأ من صحف أو كتب نُقَّاداً للحياة السياسية والاجتماعية، والذين يهتمون بهذا اللون من النقد في الصحف متفقون كل الاتفاق مع الحياة الاجتماعية التي نحياها، ولا يجدون ما يدعو لنقدها.

[ـ ليس هناك نشاط في نقد المجتمع والنقد الأدبي مصاب بالفتور والجمود]

أما حركة النقد الأدبي فمصابة بالفتور والجمود، كما أن الحياة الأدبية بوجه عام كذلك، فالإنتاج الأدبي على وَفْرته ليس بذي بال، ورحم الله الدكتور مندور فقد كان له نشاط في النقد الأدبي لا بأس به، وأرجو أن يخصص الأستاذ محمود أمين العالم بعض جهده للنقد فهو جادٌّ ومثمر، وله محاولات في هذا المجال طيبة.

وجاء **السؤال الخامس** للحديث عن العلاقة بين الصحافة والأدب ومدى الإفادة المشتركة بينهما وبخاصة حين أتيحت الفرصة لجيل العميد أن يعمل في الصحافة إلى جانب نشاطه الأدبي، ويجيب الدكتور طه حسين قائلاً: لقد أفادت الصحافة الأدب كل الفائدة عندما كانت تلتقي به، وأذكر أني كتبت في جريدة السياسة أحاديث أدبية بعنوان «حديث الأربعاء» لأنها كانت تنشر في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وقد اختفت السياسة منذ وقت طويل، وحديث الأربعاء ما زال ينشر وتتجدَّد طبعاته.

[ـ الصحافة أفادت الأدب حينما كانت تلتقي به]

وقد كتب المرحوم العقاد مقالات في الصحف تحت عنوان

«ساعات بين الكتب» تناول فيها بالدراسة تاريخ الأدب والنقد، وما كتبه العقاد ما زال يُقرأ حتى اليوم على الرغم من أن الصحف التي كانت تنشر هذه المقالات قد اختفت منذ فترة بعيدة.

وبهذه المناسبة أودُّ الإشارة إلى أن الكتابات الأدبية في جريدة السياسة كانت تروِّج هذه الجريدة، وكان سعد زغلول رحمه الله يَنْهَى الناس عن قراءتها لموقفها المعادي منه ومن حزبه، ولكن الناس لم ينتهوا عن قراءتها، وأقبلوا عليها إقبالاً شديداً لأنها كانت تُعْنى بالأدب العربي القديم والحديث على السواء.

[العميد يتمنى للجامعة دوراً فكرياً قيادياً]

وكان **السؤال السادس** عن الجامعة ودَوْرها القيادي الفكري، وأجاب العميد بقوله: أتمنى للجامعة ـ بعد أن نالت الكثير من المكاسب ـ أن يكون لها قيادة فكرية في المجتمع.

ودار **السؤال السابع** حول الاتجاه الرومانتيكي في بعض ما كتب العميد، «كشجرة البؤس»، و«دعاء الكَرَوان»، و«أديب»، وجذور هذا الاتجاه لديه، وقد أجاب العميد بقوله:

[العميد يؤكد أن ما كتبه في قصصه حقائق وقعت ولا أثر للرومانتيكية فيما كتب]

ليس في «شجرة البؤس» أو «دعاء الكَرَوان» أو «أديب» شيء إلا وهو واقعي صِرْف، وأنا في هذه الكتب الثلاثة، وأيضاً كتاب «المعذَّبون في الأرض» إنما أقصُّ حقائق وقعت، وهذا واضح في أن الرومانتيكية لا أثر لها فيما كتبت حتى أحدثك عنها وعن جذورها.

وكان العميد قد نشر في مجلة الكاتب المصري سنة ١٩٤٦ بعض الفصول من رواية تحت عنوان «ما وراء النهر»، غير أنه لم يكمل هذه الرواية، وقد سأله الأستاذ المحرر عن سبب ذلك، وهل يرجع إلى ظروف نفسية خاصة، وقال العميد: لقد كتبت دعاء الكروان، ووقفت قبل آخرها بقليل، وأكملتها بعد ذلك بفترة طويلة، وليس من شك في أن مردَّ هذا إلى ظروف نفسية تحول بين الكاتب وإنجاز ما شرع فيه من أعمال أدبية.

[كل الفلاسفة من القرن السابع عشر حتى العشرين وكل العلماء التجريبيون وكل الفلاسفة الوجوديون على مذهب ديكارت]

وأما **السؤال التاسع** فكان عن منهج ديكارت والذين يأخذون به الآن، وأجاب العميد: إنَّ كل الفلاسفة من القرن السابع عشر حتى العشرين ديكارتيون، والعلماء التجريبيون يأخذون بمنهج ديكارت من حيث هو أصل من أصول البحث العلمي، وكل الفلاسفة الوجوديين عندنا ديكارتيون، فمثلاً الدكتور عبد الرحمن بدوي ديكارتي في كل ما يكتب، والدكاترة زكي نجيب محمود، وعثمان أمين وتوفيق الطويل، ومصطفى حلمي، كلهم ديكارتيون.

وأثار الحديث عن منهج ديكارت وأثره في الأساتذة الذين يدرسون الفلسفة، سؤالاً عن خصائص الفلاسفة المصريين وهل يمثل إنتاجهم العلمي فلسفة ذات سمات تميزنا عن غيرنا، ويسأل العميد قبل أن يجيب عن الاتجاهات الفلسفية السائدة الآن في مصر، ويرد الأستاذ المحرِّر قائلاً: يمكن القول بأن هذه الاتجاهات هي: الوجودية ويمثلها الدكتور عبد الرحمن بدوي، والجوانية ويمثلها الدكتور عثمان أمين، والوضعية المنطقية ويمثلها الدكتور زكي نجيب محمود، والبراجماتية ويمثلها الدكتور فتحي الشنيطي.

[العميد يتحدث عن خصائص الاتجاهات الفلسفية في مصر ويردها كلها إلى أصول غربية]

ويقول العميد، أما الوجودية فهي فلسفة غربية نشأت في ألمانيا ونقلها سارتر إلى فرنسا، ثم نقلها إلينا الصديق عبد الرحمن بدوي حين وضع رسالته للدكتوراه عن الزمان الوجودي، ثم علَّمها لتلاميذه في قسم الفلسفة بجامعة عين شمس، فليست الوجودية مصرية، وإنما هي مأخوذة من وجودية الغرب، على أن الدكتور بدوي يترجم أكثر مما يكتب، ومن ثم لم يُضِف جديداً إلى المذهب في رسالته عن الزمان الوجودي.

وأما الوضعية المنطقية فهي خليط من الوضعية والمنطقية، وما أرى أنها استقرت بعد في مصر.

وأما الفلسفة الجوانيَّة فلا أعتقد أنها تقوم على أساس فلسفي دقيق.

وأما البراجماتية فقد كانت اتجاهاً لبيرس، ثم وليم جيمس، ولهذا فهي ليست مصرية، ولن تكون مصرية في يوم من الأيام.

وتناول **السؤال الحادي عشر** موقف العميد من الفكر السياسي، والفكر الفلسفي، ويجيب قائلاً:

ليس ضرورياً أن تكون السياسة مفلسفة، وغالباً ما يكون السياسيون بعيدين كل البعد عن الفلسفة، وإني أُرجع سبب ربط الفلسفة بالسياسة عند البعض إلى أن أرسطاطاليس الفيلسوف قد كتب كتاباً في السياسة، فاعتقد الناس أنه لا بدَّ من تلازم بين السياسة والفلسفة.

[العميد يرى أنه لا تلازم بين السياسة والفلسفة]

ويبدو أن هذه الإجابة عن السياسة والفلسفة لم تقنع الأستاذ المحرر، فيسأل العميد قائلاً: وما رأيكم في أنَّ كل عمل سياسي لا بدَّ وأن يكون منبثقاً عن تصور خاص يعكس ما يمكن أن يسمّى فلسفة؟

ويجيب العميد: كل شيء يمكن أن يُفلسف، وهناك فلاسفة يكتبون في السياسة والاقتصاد والاجتماع، فالمعرفة تكون علماً في آن، وفلسفة في آن آخر، العلم ظواهر تشاهد وتلاحظ وتختبر، أما الفلسفة فهي تتجاوز هذا إلى الاستخلاص، فهي تستخلص من العلم فلسفة العلم، ومن السياسة فلسفة السياسة، ومن الثورة فلسفة الثورة، وهذا ما فعله السيد الرئيس حين أراد أن يشرح المبادئ التي قامت على أساسها الثورة في كتابه «فلسفة الثورة».

[العميد يقدم رأيه في سارتر وفلسفته ويمتدحه]

وكان الفيلسوف الفرنسي سارتر سيقوم بزيارة إلى مصر بعد أيام، وقد قدَّم الأستاذ المحرر لسؤاله عن آراء سارتر بإشارته إلى كتابه «عارنا في الجزائر» وأنَّ سارتر في هذا الكتاب لا يحارب الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلا لأنه يُثْقل كاهل الخزانة الفرنسية، والدولة تخسر من استعمارها لهذا القطر العربي، وأن سارتر في محاوراته مع رجال السياسة من أجل منح المستعمرات الفرنسية استقلالها لا يريد

الاستقلال الصحيح وإنما يريد الاستقلال الشكلي، ويصرُّ على أن يكون اقتصاد تلك المستعمرات تابعاً للدولة الأم، أي فرنسا، فهل يعني هذا أنَّ فلسفة سارتر فلسفة حرية وتقدُّم أو أنها فلسفة مواقف وجزئيات؟

وهل يعتبر سارتر ثائر قضايا وأفعال أو أنه ثائر أقوال وشعارات؟

سارتر فيلسوف أولاً وأديب ممتاز ثانياً.

وما رأيكم في القول بأن فلسفة سارتر بورجوازية؟

ويسأل العميد: ومن قال هذا؟ ويجيب الأستاذ المحرر:

قال هذا كثير من فلاسفة الغرب، أذكر منهم جورج لوكانسن في كتاب «ماركسية أم وجودية» فقد جاء فيه: إن الحياة الجماعية والعمل الجماعي والنضال المشترك ليس في رأي سارتر إلا مقولات سيكلوجية، إن هذا كله يعبر عنه بلغة واضحة، ويؤدي إلى أفكار شائعة مبتذلة ذات طابع برجوازي».

وينصت العميد إلى هذا النص ويعقب عليه قائلاً:

ورغم هذا فأنا أعتبر سارتر فيلسوفاً تقدُّمياً.

حتى بعد مواقفه العنيفة مع مثقفي اليسار في فرنسا؟

ويرد العميد: إن سارتر لا يريد أن يتحمل تبعات اليسار، لكنه يساري ولا اعتراض على هذا...

[مشاركة العميد في تأبين عدنان المالكي بدمشق في ذكراه الحادية عشرة ومرضه إثر ذلك، وتأثير ذلك على زوجته]

الجمعة ١٩٦٧/٤/١٩: نشرت الصحف في هذا اليوم خبراً يقول: يمر يوم الاثنين القادم أحد عشر عاماً على استشهاد عدنان المالكي - وهو عسكري سوري سقطت به طائرته فمات، ويقال: إنها أُسقطت بقصد اغتياله، وذلك لميوله القومية[1] -.

وعقَّب العميد على هذا الخبر فقال: لقد طلبتْ الحكومة السورية

---

(١) المالكي ليس طياراً، وقد اغتيل في الملعب البلدي بدمشق أثناء حضوره لمشاهدة مباراة بكرة القدم. (الناشر).

من مصر أن أشارك في تأبين عدنان المالكي، ولم أكن راغباً في الذهاب، ولكن الدعوة كانت قد وصلت إلى رئاسة الجمهورية المصرية، فسافرت وشاركت في حفل التأبين الذي أقيم في ميدان الشهداء مساء، وكان الجو بارداً إلى حدٍّ ما فلم أقْوَ على احتماله، ولمَّا عُدْت إلى الفندق أصابني إغماء، وأُسعفت فوراً غير أنَّ الأخبار قد بلغت القاهرة بصورة غير صحيحة، فقد نُشِر أن حالتي سيئة جداً، وكان وزير التربية في ذلك الحين السيد كمال الدين حسين، فحاول إرسال طائرة خاصة لنقلي وأنا كما تعلم لا أحب ركوب الطائرات، وكنت قد شعرت بالراحة التامة في اليوم الثاني بعد التأبين، ولما علمتْ زوجتي بما حدث لي استولى عليها القلق والاضطراب - فهي لم تكن معي - حتى إنها لمَّا جاءت لمقابلتي في الميناء وسمعت دقَّات صنجات بائع العرقسوس في نفس اللحظة التي دنت فيها السفينة من الشاطئ ظنَّتْ أنَّ هذه الدقات إنما هي دقات عربة الإسعاف التي جاءت لنقلي من السفينة، فأصابها إغماء كاد أن يكون سبباً في نقلها إلى المستشفى.

[حديث العميد عن موقف الصحافة في الغرب من العرب إثر هزيمة عام ١٩٦٧]

الجمعة ١٩٦٧/٩/٢٩: كان أول لقاء لي بالعميد بعد عودته من رحلته الصيفية في هذا اليوم، وبعد تبادل التحيات تطرَّق الحديث إلى الكلام عن نكسة يونيو الحربية وأسبابها وآثارها وموقف الدول والصحافة العالمية منها، فقال العميد: إن أموال اليهود تسيطر على الصحافة في أوروبا وأمريكا، وقد وقفت منا هذه الصحافة عقب النكسة موقفاً كريهاً بوجه عام، وإن كان بعضها قد التزم الموضوعية وكان منصفاً، فمثلاً صحيفة لوموند الفرنسية تحدَّثت عن النكسة في حياد وذكرت الحقائق بلا تزييف، ومن عجب أنَّ جريدة الفيغارو الفرنسية تدَّعي أنها صحيفة دينية مسيحية على حين يموِّلها اليهود، ولذلك كان موقفها منا موقفاً سيئاً، أما الصحف الإيطالية فقد أمعنت في إسفافها من القضية الفلسطينية وموقف العرب من اليهود، وهي منحازة دائماً إلى اليهود لأن نفوذهم غالب عليها.

الجمعة ١٩٦٧/١٠/١٣: بعد الانتهاء من قراءة عناوين الصحف، قال العميد: يبدو أنه ليس هناك ما يستحق القراءة، فقلت: قصة الجاسوس البريطاني فيلبي، فقال: إنَّ هذا الجاسوس هو ابن الجاسوس المشهور الذي عاش في السعودية فترة وادَّعى أنه أسلم وتسمى باسم عبد الله فيلبي، وهو في الحقيقة جاسوس خطير، ولما غضب عليه السعوديون ترك السعودية، وأذكر أنه وقف في أحد المؤتمرات ـ وكنت حاضراً ـ وأخد يسبُّ السعودية وحكامها بصورة تدل على حقد أصيل وكراهية عميقة للعرب والمسلمين، وقد التقيت به وقلت له: أتقول هذا عن السعودية لأنهم طردوك وكنت قبل ذلك تسبِّح بحمدهم.

[حديث العميد عن المستشرق فيلبي وابنه وعن مستشرقين آخرين واتهامه لهم بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية]

وكان الحديث عن فيلبي هذا مفتاحاً للحديث عن الذين كانوا يسلمون من المستشرقين من أجل التجسس، فذكر العميد أن منهم مستشرقاً هولندياً اسمه «شرود» تظاهر بالإسلام وذهب إلى مكة والمدينة وكان ذلك في القرن التاسع عشر، وكان جاسوساً يعمل ضد تركيا.

فقلت للعميد: إنني أعد المستشرقين بوجه عام من أعمدة الاستعمار الأساسية، وأنه اعتمد عليهم في تحقيق أغراضه بطريقة علمية. فقال: هذه حقيقة لا شك فيها، إن النشاط العلمي الممتاز للمستشرقين لا يجب أن يُغمض عيوننا عن نشاطهم المريب في مجال السياسة الاستعمارية، وأذكر لك مثلاً أن ماسنيون وهو مستشرق فرنسي مشهور، وكان عضواً في مجمع اللغة العربية، وله أبحاث مختلفة في الدرسات العربية والإسلامية، هذا المستشرق، كان موظفاً في إدارة المخابرات في وزارة الخارجية الفرنسية، وكان إذا قدم إلى مصر فإنه يقابل الملك فؤاد، ثم من بعده فاروق، ولكن بعد قيام ثورة سنة ١٩٥٢ حاول مقابلة عبد الناصر فلم يفلح. وصمت العميد برهة ثم قال: إن مستشرقاً فرنسياً جاء إلى مصر ومعه زوجته وأسلم والتحق

بالأزهر، وادَّعى أنه كفيف، وكانت زوجتي تعطف عليه وتتألم لحاله، وقد زارني كثيراً، وتبين بعد ذلك أن هذا المستشرق ليس كفيفاً، وأنه في سبيل القيام بوظيفة التجسس كاملة وحتى لا ينكشف أمره أجريت له عملية جراحية بدا بعدها وكأنه كفيف لا يبصر، وقد رحل هذا المستشرق من مصر دون أن يحقق ما جاء هو وزوجته من أجله.

الجمعة ٥ يناير سنة ١٩٦٨: كانت صحة العميد في هذا اليوم غير طبيعية، وكان يشعر بنزلة برد شديدة، وقد طلب مني أن أتصل بطبيبه من أجل أن يحضر للكشف عليه ووصف الدواء المناسب لحالته، ثم أخذت أقرأ عناوين الصحف، وكان في الأهرام إعلان عن كتاب «موسوعة تاريخ الأقباط»، وجاء فيه أن الدكتور طه حسين قال عن ذلك الكتاب: إنه عمل عظيم، ولم يعلِّق العميد على هذا الإعلان بشيء غير أني وجدتها فرصة للحديث عن كتاب صدر في سلسلة اقرأ عن دار المعارف في مستهل يناير بعنوان «مع طه حسين» للأستاذ سامي الكيالي، وهو الجزء الثاني بهذا العنوان، وكان الجزء الأول قد صدر في السلسلة نفسها منذ نحو ثمانية عشر عاماً، وقد ذكر الأستاذ الكيالي في الجزء الثاني من كتابه أن الدكتور طه ألَّف الأغاني باللغة العامية لفرقة كامل الخلعي، فلما ذكرت هذا للعميد قال: غير صحيح أني ألَّفت الأغاني باللغة العامية لفرقة الخلعي، وكل ما هنالك أني في فترة الشباب قبل سفري إلى أوروبا كنت أحاول قرض الشعر، وكان بعض المهتمين بالأغاني يأخذون هذا الشعر ويغيرون فيه بما يجعله صالحاً للغناء.

[العميد يردُ على ما جاء في كتاب سامي الكيالي «مع طه حسين» من أنه ألَّف الأغاني باللغة العامية لفرقة غنائية]

الأحد ١٩٦٨/٢/١١: زار العميد في صباح هذا اليوم الدكتور محمد كامل حسين، وقد اعتذر للعميد لأن مؤتمر المجمع ـ وكان منعقداً في هذا الشهر ـ حال بينه وبين زيارته، ولم يكن العميد قد حضر جلسة من جلسات هذا المؤتمر بسبب ظروف صحية طارئة، وتحدَّث الدكتور كامل حسين مع العميد عن البحث الذي ألقاه في المؤتمر، وكان عن

[حديث العميد مع الدكتور محمد كامل حسين عن عيوب المعاجم العربية، ورأيه الغريب والعجيب في الصحابي المشهور عبد الله بن عباس]

المعجم العربي المُصفَّى، فالمعاجم العربية محشوة بتفاهات عجيبة وفي مقدمتها الأضداد، والإفراط في الأمور الجنسية وبعض التراكيب والجمل التي لا يسلِّم بها العقل، ووافق العميد الدكتور كامل على وجهة نظره حول المعاجم العربية القديمة، ثم خاضا بعد ذلك في مسائل مختلفة، بعضها شخصي وبعضها الآخر سياسي وثقافي، وتطرق الحديث إلى الكلام عن ابن عباس، فقال العميد: أنا لا أقبل رواية ابن عباس. فقال الدكتور كامل: لماذا؟ فأجاب العميد: لأنه لم يكن أميناً على أموال المسلمين، فقد ولَّاه الإمام علي على بعض المدن، فما كان منه إلا أن أخذ أموال المسلمين في تلك المدينة، وهرب إلى الحجاز، ولما طلب منه الإمام عليٌّ أن يرد هذه الأموال هدَّده ابن عباس باللحاق بمعاوية إن لم يكفّ عنه، فأنا لذلك لا أقبل رواية ابن عباس نفسه، ولا ما يُروى عنه.

وكان الحديث عن ابن عباس مدخلاً للحديث عن الإمام علي كرم الله وجهه وعن مكانته العلمية وخلقه وشجاعته، وكيف أن الشيعة تزيَّدوا حول شخصيته أشياء غير صحيحة، ومما قاله العميد: عندما ألَّفت كتابي «علي وبنوه» أنصفت علياً وتحدثت عنه حديثاً طيباً فيما أظن. وقد رضيه كثير من شيعة العراق، ومع هذا جاءني من أحدهم رسالة كلها شتم وسب ودعاء عليَّ ومن هذا الدعاء: أعمى الله بصيرتك كما أعمى بصرك، وذلك لأني لم أذكر في الكتاب حديث «غدير خم»[1].

[حديثه عما كتب عن الإمام علي بن أبي طالب وغضب بعض الشيعة عليه بسبب ما كتب]

---

(١) وغدير خم موضع على ثلاثة أميال بالجحفة، ويُروى أنَّ الرسول ﷺ قال للناس بعد عودته من حجة الوداع في ذلك الموضع: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت، ثلاثاً». وهذا الحديث يعد من النصوص الجليَّة التي يعتمد عليها الشيعة في مقالتهم بتعيين علي كرّم الله وجهه للإمامة بعد وفاة رسول الله ﷺ. (وانظر: «مذكرات في التوحيد لأستاذنا الأستاذ علي حسب الله» ص١٠٥).

وقد زار العميد في مساء هذا اليوم أيضاً المستشرق الفرنسي جاك بيرك، وقدم له كتاباً عن الأضداد في الثقافة العربية، اشترك في تأليفه لفيف من المستشرقين الفرنسيين وفي مقدمتهم بيرك، والكتاب متوسط الحجم، ولكنه كما عرضه بيرك في لغة عربية فصيحة يشتمل على مباحث مختلفة في اللغة والفقه والحديث والفلسفة.

[زيارة المستشرق جاك بيرك للعميد وحديث العميد عن موقف الملك فؤاد منه]

هذا والدكتور بيرك من المهتمين بدراسة الحياة الاجتماعية في مصر، وقد ذكر للعميد أنه سيصدر قريباً كتاباً في هذا الموضوع، وسيبعث به إلى العميد فور صدوره، ثم قال: من الملاحظ أن الحياة النيابية في مصر بعد ثورة ١٩١٩ كانت مضطربة غير مستقرة، وقد عزا العميد هذا الاضطراب إلى الملك فؤاد، ثم أشار إلى مواقفه منه، وكيف عطف عليه أولاً، ثم حاربه وغضب منه وكرهه لأنه كتب في الصحف مطالباً بالدستور والديمقراطية، وإعطاء السلطة لممثلي الشعب[1].

الثلاثاء ١٩٦٨/٢/١٣: في أثناء قراءة الصحف في هذا اليوم، قال لي العميد: إن هناك كلمة في آية قرآنية وردت على خاطري الآن لا أعرف معناها الدقيق وهي كلمة قِطَّنا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾ [ص:١٦] وطلب مني أن أراجع بعض كتب اللغة والتفسير ونقل ما جاء فيها تفسيراً لتلك الكلمة.

[سؤال العميد عن معنى كلمة (قِطَّنا) التي وردت في الآية الكريمة]

وفي اليوم التالي قرأت للعميد ما نسخته من بعض المصادر وهو كما يلي:

قال الراغب في «المفردات»: القِطُّ الصحيفة، وهو اسم للمكتوب، والمكتوب فيه، ثم قد يسمَّى المكتوب بذلك كما يسمى الكلام كتاباً، وإن لم يكن مكتوباً، وأصل القط الشيء المقطوع عرضاً

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»، ص٧٢.

كما أنَّ القدَّ هو المقطوع طولاً، والقط النصيب المفروز كأنه قُطَّ، أي أُفرز، وقد فسر ابن عباس ﷺ الآية به.

وقال الزمخشري في تفسيره «الكشاف»: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾، أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، وقيل: ذكر رسول الله ﷺ وعد الله المؤمنين الجنة، فقالوا على سبيل الهزء: عجِّل لنا نصيبنا منها، أو عجِّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها.

وجاء في تفسير القرطبي: قال مجاهد: قِطَّنا، عذابنا، وكذا قال قتادة: نصيبنا من العذاب، الحسن: نصيبنا من الجنة لننعم به في الدنيا، وقاله سعيد بن جبير: وقال إسماعيل بن أبي خالد: المعنى عجِّل لنا أرزاقنا، وقيل: عجِّل لنا ما يكفينا.

وقال الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»: قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية: ربَّنا عجِّل لنا قطنا ونصيبنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب.

[رأي العميد في المستشرق جرمانوس وزيارة مستشرقين له مجريين وقوله لهما عن اللغة الفصحى وعن الإسلام: إنهما من مظاهر قوة ووحدة البلاد العربية]

وبعد قراءة هذه النصوص قال العميد: إني أختار منها ما ذكره الراغب الأصفهاني في كتابه «المفردات في غريب القرآن».

الجمعة ١٩٦٨/٢/٢٣: في مساء هذا اليوم وفي نحو السادسة والنصف قال العميد: إن مستشرقاً مجرياً سيأتي بعد قليل فقلت: هل هو عبد الكريم جرمانوس، فقال: لا؛ إنه شخص آخر، وأما عبد الكريم جرمانوس فأنا أشك في أنه جاسوس.

وبعد نحو ربع ساعة طرق الباب شابان مجريان يعمل أحدهما مدرِّساً في جامعة الرباط، وقد حضر إلى مصر لتسجيل موضوع لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة، وأما الآخر فهو يدرس اللغة العامية المصرية، وقد جاء إلى القاهرة لإعداد بحث عن هذه اللغة لتقديمه في بلاده.

تناول الحديث بين العميد والشابين المجريين مسائل عديدة منها الفصحى والعامية في البلاد العربية، وكان من رأي المستشرق المجري الذي يعمل في جامعة الرباط إحياء اللغة العامية وردَّ عليه العميد موضحاً أن الفصحى هي لغة التخاطب بين جميع البلاد العربية وهي مظهر من مظاهر وحدتهم وقوتهم، كما أن الإسلام أيضاً مظهر من مظاهر قوتهم ووحدتهم، وسأل العميد المستشرق الذي يدرس العامية المصرية عن السبب في اهتمامه بهذه اللغة دون الفصحى، فقال: إنه إذا درس الفصحى لم يستطع التخاطب مع الشعب، وهو يريد أن يكون له أصدقاء من الشعب، ولذلك يدرس لغته، ليفهم نفسيته وعاداته وطبائعه عن طريق أحاديثه اليومية المعتادة، ولكن العميد لم يوافق المستشرق على رأيه مشيراً إلى أنه لا توجد فجوة بين العامية والفصحى كما يظن البعض، وأن عامة الناس تسمع القرآن ـ وهو في قمة الفصاحة والبيان ـ فتفهمه وتتذوقه.

والجدير بالذكر أن المستشرق الذي يعمل في جامعة الرباط قد ترجم الجزء الأول من «الأيام» إلى اللغة المجرية.

[اجتماع لجنة الترجمة في منزل العميد]

الخميس ١٩٦٨/٤/١٠: اجتمعت لجنة الترجمة في نحو الحادية عشرة والنصف من صباح هذا اليوم في منزل العميد، فهو رئيسها، وقد حضر من أعضائها الأستاذ أحمد خاكي، والدكتور محمد عوض، والأستاذ حسن محمود والأستاذ موسى سعد الدين، وأستاذان آخران لا أعرفهما، وقد اعتذر هاتفياً الدكتور عبد الحميد يونس.

وقد استعرضت اللجنة في هذا الاجتماع تقارير بعض الأعضاء عن الكتب المترجمة إلى العربية، أو منها إلى غيرها من اللغات، وكان من بين الكتب التي ناقشتها اللجنة كتاب لمترجمة لبنانية، وهو عبارة عن مجموعة قصص للأستاذ محمود تيمور، ترجمت إلى الفرنسية، وقد اقترح الأستاذ مرسي سعد الدين إحالة الكتاب إلى الدكتور مؤنس نجل العميد، فقد كان موجوداً في مصر في إجازة لمدة

أسبوعين، ووافقت اللجنة على هذا الاقتراح، وطلب الدكتور مؤنس، وعرض عليه والده رأي اللجنة فوافق عليه، ومن ثَمَّ تسلَّم الكتاب المذكور في الحال.

[عتب العميد على ما يحدث من نكران للجميل من بعض الناس]

الأحد ١٣/٤/١٩٦٨: في صباح هذا اليوم قرأت للعميد بعض فصول كتاب «أدب وأدباء» وهو من تأليف المرحوم الأستاذ محمود تيمور، وبعد قراءة الكلمة التي كتبها الأستاذ تيمور عن كتاب للأستاذ عبد المعطي المسيري قال العميد: لقد كتبت عن هذا الأديب، ولكنه لم يرسل لي كتبه، ثم أشار إلى ظاهرة نكران الجميل بين الناس وما كان من الذين أحسن إليهم فقابلوا هذا الإحسان بالعقوق والنكران مثل الدكتور السنهوري والأستاذ توفيق الحكيم، وقد ذكرت هذا بشيء من التفصيل في كتاب «طه حسين يتحدّث عن أعلام عصره».

[حديث العميد عن كتابه (شجرة البؤس) ومتى ألفها، ووصفه لقصصه بأنها واقعية ليس فيها خيال]

وفي مساء هذا اليوم طرق الباب أحد المحامين وطلب مقابلة العميد، وكان لا يعرفه، ولكن كان من عادته أنه إذا قدم إليه شخص وطلب لقاءه، وكان العميد في مكتبه فإنه لا يرفض هذا الطلب سواء أكان يعرف هذا الشخص أم لا، وكانت المشكلة التي جاء من أجلها هذا المحامي تتعلَّق بإعداد قصة شجرة البؤس للإذاعة المسموعة، وقال المحامي: إنه عرض الفكرة على المسؤولين، وطلب منه عمل تلخيص للقصة، ولما أعدَّه قالوا له: إنَّ هناك شخصاً آخر يعد هذه القصة للإذاعة، ولهذا أرجو الموافقة على أن أقوم بإعداد القصة، ووافق العميد على ما طلبه المحامي، وقال هذا بعد ذلك: لقد قرأتُ القصة أكثر من مرة، ويبدو لي أنها واقعية، فالحديث عن شخصياتها وأحداثها يدل على أنَّ مؤلف القصة قد عاش هذه الأحداث، وعرف تلك الشخصيات، وهنا قال العميد: إن كل ما كتبتُ من قصص حقيقة ليس فيه خيال، اللهمَّ إلا بعض الأحداث القليلة لربط أجزاء القصة ربطاً فنياً، ثم قال: لقد كتبت هذه القصة في إجازة بلبنان، كنت في هذه الإجازة أقرأ صباحاً في صحيح البخاري، ومساءً أقرأ لكارل

[العميد يقرأ صباحاً صحيح البخاري ومساءً لكارل ماركس]

ماركس، وبين الصباح والمساء أملي كل يوم بعض هذه القصة.

الجمعة ١٩٦٨/١٠/٤: كان لقائي بالعميد في هذا اليوم أول لقاء بعد عودته من رحلته الصيفية، وقد قال لي بعد تبادل التحيات: إنني حين نزلت الإسكندرية كان الشيء الذي كنت أشتاق إليه أكثر من غيره هو سماع القرآن المرتَّل، فقد حُرمت من سماعه في هذه المدة الطويلة، وما كدنا نصل البيت حتى كان أول طلب لي هو فتح المذياع على إذاعة القرآن المرتل، وكان القارئ هو الشيخ عبد الباسط، ولكني في الواقع أحب صوت الشيخ الحصري في القرآن المرتل.

[حب العميد لسماعه القرآن المرتل لا سيما قراءة الشيخ محمود الحصري]

وكانت الأهرام قد نشرت في هذا اليوم مقالة للدكتور حسين فوزي عن الاحتفال بنقل معبد أبو سنبل، وساق الدكتور فوزي وصفاً لبعض مشاهد الحفل، وأشار إلى بدايته بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، وهنا قال العميد: لقد ناقشتني زوجتي في أن قراءة القرآن في معبد وثني أمر ما كان يجب أن يحدث، غير أني أفهمتها أنَّ ذلك دليل على ارتفاع صوت القرآن الكريم على الوثنية ومظاهرها، فضلاً عن أن العادة جرت بفتح الاحتفالات بوجه عام بآيات الذكر الحكيم.

[ودفاعه عن افتتاح الاحتفالات بآيات من القرآن الكريم]

الاثنين ١٩٦٨/١٠/١٣: زار العميد في مساء هذا اليوم الأستاذ ثروت أباظة، وعرض عليه رغبة رئيس تحرير الجمهورية الأستاذ فتحي غانم في أن يكتب الدكتور للجمهورية، ولكن العميد قال: إن صحتي الآن لا تساعدني على الكتابة وحين أقدر عليها سأفكر في هذا الأمر.

وقبل خروج الأستاذ ثروت حضر ثلاثة من الآباء الدومينكان، ولما كانت الحجرة التي نجلس فيها ضيقة، فهي حجرة نوم العميد، فقد تركت مقعدي لأحد هؤلاء الآباء، وجلست في حجرة قريبة ومن ثم لم أعرف شيئاً عما دار من حوار مع هؤلاء الآباء.

الأربعاء ١٩٦٨/١٠/١٥: في نحو السادسة والنصف من مساء هذا اليوم حضر الأستاذ كمال الملاخ المحرِّر بالأهرام ومعه بعض

[حديث لصحيفة الأهرام مع العميد بمناسبة عيد ميلاده الثمانين]

المصوِّرين لتسجيل حديث مع العميد ينشر في يوم عيد ميلاده الثمانين، والذي يوافق الرابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٦٨، وكان العميد لظروفه الصحية لم يتمكن من النزول إلى مكتبه، وإنما كان يجلس في حجرة نومه، وما كان يسمح لأحد بلقائه في هذه الحجرة إلا إذا كانت بينهما مودَّة خاصة، أو تلجئه إلى هذا ضرورة طارئة، ولما كان هناك موعد سابق لتسجيل هذا الحديث، فقد سمح العميد للأستاذ الملاخ بلقائه في حجرة نومه وإن كان قد أصرّ على عدم تصويره في هذه الحجرة.

ويستهل الأستاذ الملاخ حديثه مع العميد بتقديم أطيب الأمنيات بعمر مديد بالسعادة بإذن الله، ويشكره العميد ثم يتلو قول الشاعر:

إن الثمانين وبُلِّغتَها قَد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ويستطرد العميد قائلاً: إن بعض الناس في روسيا يعيشون مئة وخمسين عاماً، ومن العرب من عاش مئة وعشرين مثل لبيد، فقد عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ويصمت العميد برهة ثم يردد قول زهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يَعِشْ ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

ويسأل الأستاذ الملاخ العميد عن الزواج، وهل كان يفضل أن يظل عزباً، ويجيب العميد: إن الزواج نعمة كبرى، وأنا مدين لزوجي بكل شيء، وعن الأمنية التي يرجو أن يحققها العميد في حياته يقول: إني أرجو الله أن يعينني على إتمام كتاب «الفتنة الكبرى»، وكتاب «الأيام».

[أمنية العميد أن يوفق لإتمام كتابيه الفتنة الكبرى والأيام]

ويسأل الأستاذ الملاخ: هل تتصور أن يكون للأدب وجود عام ٢٠٠٠؟ ويرد العميد: سيظل الأدب دائماً توأماً للعلم المتحضِّر، وكل ما أتمناه إذا جاء هذا العام الذي ذكرته أن يكون الأدب المصري قد بلغ الامتياز.

[وحديثه عن النساء اللاتي أعجب بهن وعن أشياء ندم عليها وعن نصوص أدبية أعجب بها ومنها حديث شريف]

وعن النساء اللائي يعجب بهن العميد ولا ينساهن يقول: مُعْجب بوالدتي كل الإعجاب ولا أستطيع أن أنساها، كما أني معجب بزوجي، ومن نساء النبي معجب بخديجة وزينب وأم سَلَمة.

ويسأل الأستاذ الملاخ: ألم تندم يوماً؟ ويجيب العميد:

لقد ندمت على أشياء كثيرة، فالإنسان يخطئ ويندم على خطئه، والحمد لله الذي وهب لنا الندم فهو سبيل المغفرة.

ندمت على خصام بيني وبين عزيز صديق، خصامي مع العقاد كان شكلياً، فهو خصام في الجرائد والمجلات، ومع هذا كنا أصدقاء وزارني كثيراً.

وعن النص الأدبي الذي يعجب به العميد ولا ينساه يقول:

هناك بيتان أبّنَتْ بهما بثينةُ جميلاً الشاعر العربي، كان في مصر يمدح أميرها، وتوفي فيها، ولما بلغتْ وفاتُه حبيبته بثينة قالت:

وإن سُلوِّي عن جميلٍ لساعة   من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مَعْمر   إذا مت بأساءُ الحياة ولينها

وأيضاً أعجب جداً بحديث نبوي شريف وهو: قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطّئون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المُتَفيهقون».

[حديث العميد عن ذكريات باريس وعن صديقيه الزناتي والزيات وعن فصله من الأزهر]

وعن ذكريات باريس يقول العميد: إنني أذكر أولاً الجامعة، وأيام الدراسة فيها، وثانياً التمثيل ومسرح الكوميدي فرانسيز، ثم سكت العميد برهة وقال: مسكينة السوربون، فقد أصابها هذا العام على أيدي الطلاب ما لا يعقل.

ويسأل الأستاذ الملاخ العميد عن أصدقائه الذين آثرهم بمودته فيجيب: كان لي أيام الشباب صديقان عزيزان هما محمود حسن زناتي، وقد توفي منذ سنين عليه رحمة الله، وأحمد حسن الزيات صاحب الرسالة وعضو المجمع اللغوي، وقد توفي في صيف هذا

العام، وكان إلى أن توفي رئيساً لتحرير مجلة الأزهر.

ثم قصَّ العميد ما جرى له ولصاحبيه في الأزهر حين منعهما الشيخ الأكبر الشيخ حسونة النواوي من الدراسة، وأمر الشيخ سيد المرصفي بترك تدريس كتاب «الكامل» للمبرد، وتدريس كتاب آخر في النحو، وذلك لأن الطالب طه حسين انتقد الفقهاء الذين كفَّروا الحجاج بسبب قوله حين رأى المسلمين يطوفون بقبر رسول الله ﷺ: إنما يطوفون برمة وأعواد، فقد كان رأي العميد أن الحجاج بما قاله قد أساء الأدب ولكنه لا يُعدُّ كافراً. وقد نقل هذه العبارة مشوهة الناقمون من الطلاب على الزملاء الثلاثة إلى شيخ الأزهر، فأمر بطردهم[1].

وقد انتهى الأستاذ الملاخ من تسجيل حديثه في نحو الثامنة، وبعد خروجه جاء الدكتور محمد حسن الزيات وزوجته لتحية العميد قبل سفر الدكتور الزيات في رحلة طويلة، يزور فيها إحدى عشرة دولة إفريقية يحمل إلى رؤسائها خطابات من الرئيس جمال عبد الناصر.

وتمنى الدكتور الزيات للعميد وهو يصافحه قبل خروجه الصحة والعافية، فردَّ عليه: يمكن تعود من رحلتك ولا تجدني، فقال الدكتور الزيات: أنت بخير، وسأحضر لك الأدوية التي ليست موجودة في مصر.

[العميد يرى أن ترتيب آيات المصحف توفيقي لكن ترتيب السور اجتهادي]

الجمعة ١٩٦٨/١٠/١٧: نشرت الصحف في هذا اليوم قرارات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، ومنها عدم المساس بترتيب سور المصحف وآياته، وعلَّق العميد على هذا بأنه يعتقد أن ترتيب الآيات توقيفي ولكن ترتيب السور اجتهادي.

وفي مساء هذا اليوم ساءت صحة العميد جداً، ولاحظت وأنا

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»، ص٩١.

[سوء صحة العميد جداً وإغماؤه]

أقرأ له أنه شبه نائم، فناديته فأبطأ في الردّ، ثم قال: إني أشعر بتعب شديد وفي حاجة إلى النوم، وطلب مني مساعدته في الانتقال إلى السرير، وما كدت أحضر العصا التي يتوكأ عليها حتى أُغمي عليه، وعاونني بعض العاملين في البيت على حمل العميد إلى فراشه، وبعد قليل ذهب عنه الإغماء، وقد طلب مني أن أعطيه بعض الأدوية المنبِّهة، ومع هذا كان يرفع ذراعيه ويلقي بهما في عنف مردِّداً أنّ الإغماء سيعاوده مرة أخرى، ومكث على هذه الحالة ـ وأنا في حَيْرة لا أدري كيف أتصرف ـ نحو نصف ساعة، ولم تكن زوجة العميد في البيت، فقد خرجت لزيارة صديقة لها، وبعد عودتها قدَّمت لزوجها بعض الأدوية واتصلت هاتفياً بطبيبه.

[تلقِّي العميد التهاني بعيد ميلاده الثمانين وكان أبرز ما جاء قصيدة عامر محمد بحيري وانتقاد العميد للدكتورة (بنت الشاطئ)]

الجمعة ١٩٦٨/١١/١٥: كان هذا اليوم هو اليوم الثاني لبداية العام الثمانين في حياة عميد الأدب العربي، وقد زُيِّنت رامتان بباقات الورود التي بعث بها المهنئون، وكان العميد يجلس في شرفة بالطابق الثاني تظلله أغصان شجرة عالية، وبعد تحيته وتهنئته بعيد ميلاده، تحدَّثنا حول الكلمة التي نشرها الأستاذ الملاخ في صحيفة الأهرام أمس، فأبدى العميد عدم ارتياحه لها، وأشار إلى أنّ فيها أخطاء وكلمات غير لائقة مثل كلمة يرنو.

وقبل قراءة الصحف قرأت للعميد برقيات التهاني، ومنها برقية شعرية بعث بها الأستاذ علي الجندي، هذا نصها:

إنَّ الثمانين وبُلِّغْتَها ... عيدُ بشير بالمُنَى للأنام
متَّعك الله بأمثالها ... في بَهْجة في غِبْطة في سلام

وعَقَّب العميد عليها بقوله: كثَّر خيره.

وأرسل سفير السودان بالقاهرة الرسالة التالية إلى العميد بمناسبة عيد ميلاده الثمانين.

سيدي الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين.

تحية طيبة وبعد: فأهنئك أولاً على بلوغك الثمانين عاماً، ولتسمح لي ثانياً أن أبعث إليك كلمة قصيرة بهذه المناسبة كتبها الأستاذ حسين نخيلة أحد الكتاب السودانيين النابهين في صحيفة الرأي العام السودانية، ومعلّقاً على القصيدة التي نظمها الأديب عامر محمد بحيري ونشرتها له الأديب البيروتية.

لم أقصد بهذا أن أُبيّن لك مشاعر السودانيين كما عبر عنها أديب سوداني، ولكن لأؤكد لك أنَّ ما تنعم به الأمة العربية اليوم من عزة وكرامة، وما تتفيؤه من ظلال إنما أنت أحد غارسي ذلك النبت الطيب.

وصدق ما قاله الشاعر:

اليوم يحتفل الشعب بالذي كان فخره.

واليوم يعترف الشعب بالذي هزَّ نصره.

أكرر تهنئتي وتمنياتي لكم بالمزيد من العمر المديد السعيد.

محمد سليمان

سفير السودان

ولم أتمكن من نقل كلمة الأستاذ حسين نخيلة التي أشار إليها السفير في رسالته، ولكنّي استطعت الحصول على قصيدة الأستاذ عامر محمد بحيري التي جاءت تلك الكلمة تعليقاً عليها وفيما يلي هذه القصيدة:

عِشْتَ الثمانين حُرَّة	عشها ثمانين مرةْ
واسعدْ بكل صباحٍ	كالورد يهديك عِطْرَهْ
في صحَّة وهناءٍ	ونعمة وَمَسَرَّه
تضفي عليك مدى الد	هر في أصيلٍ وبُكْرَهْ
وتغمر الشمسُ رَوْض الحيا	ة ليناً وخضرهْ
فيزدهر الكون حسناً	وينشر الروض سِحْرَهْ
أنت الحياة لجيلٍ	شقَّ المسالك وَعْرَهْ
أنت الضياء لليلٍ	ما زال يرقبُ فَجْرَهْ

أنت الهُدَى لشبابٍ … أفاق مِنْ بعد سَكْرَهْ
ما زلتَ تحدوه حتى … غدا محرَّر مِصْرَهْ
طه حسين سماءٌ … وقمَّةٌ مِشْمِخرَّهْ
وشمسُ هُدًى على الأُ … فْقِ تغمر الكونَ غَمْرَهْ
وبحرُ علمٍ خِضَمٌّ … وسائرُ الناسِ قَطْرَهْ
في الشرق والغرب ذكرٌ … له ومجدٌ وشُهْرَهْ
سما لذلِكَ قَدْراً … فالكل يعرف قَدْرَهْ
لقد بلغتَ المعالي … وزدتَ عزماً وقُدْرَهْ
وكم سقيتَ بغَيْثٍ … تهمي غواديه ثَرَّهْ
أنت الذي جدَّد العصر … حين جدَّد فِكْرَهْ
أطلقتَ رأياً جريئاً … يُلقَى على الناس جَهْرَهْ
اليوم يحتفل الدهر … بالذي كان فَخْرَهْ
واليوم يعترف الشعبُ … بِالذي هزَّ نَضْرَهْ
يُلْقي بعيدِ الثمانين … نَثْرَه ثم شِعْرَهْ
فعاش طه سعيداً … وطوّل الله عُمْرَهْ
أَتيتُ في العِيد أُهدي … إلى معاليك زَهْرَهْ
فاقبل هديةَ نفسٍ … بالفضل منك مُقِرَّهْ
فما نسيتُ شبابي … وقد تولَّيت أمْرَهْ
في معهد جامعيٍّ … وحيث للدهر ذِكْرَهْ
وأنت تهدي من الجيل … زُمْرة بعدَ زُمْرَهْ

* * *

هم قادةُ الفكر بَعْدَ … العميدِ يَقْفون إِثْرَهْ
فهم بَنوك جميعاً … وهم حواليك كَثْرَهْ
وهم لعهدك راعون … يا أباً ما أبرّهْ
كعصبةِ النحل تبقى … جهوده مستمرة

❋ ❋ ❋

والجدير بالذكر أن الأستاذ عامر بحيري مصري ولكنه سوداني المولد، وكان من تلامذة العميد في الجامعة.

وفي مساء ذلك اليوم قرأتُ للعميد بعض فصول كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، وفي نحو السابعة زاره الدكتور يحيى الخشاب وزوجه الدكتورة سهير القلماوي، وهما من تلامذة العميد، وجرى الحديث بينهم حول بعض المسائل الثقافية وانتخابات المجمع اللغوي، وإصرار المجمع على عدم السماح للمرأة باقتحام محرابه، وتطرّق الكلام إلى كتاب الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ) «التفسير البياني للقرآن الكريم»، وما ذَكَرَتْه في مقدمة الكتاب من أنها عرضت بعض هذا التفسير على مؤتمر المستشرقين في الهند، وعقَّب العميد على هذا بقوله: إن عائشة كاذبة وما كان يمكن لها ذلك، واستطرد ليشير إلى أنه ألقى بحثاً عن القرآن الكريم في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد تناول فيه ضمير الغائب في الكتاب العزيز، وقد استعرض في هذا البحث الآيات التي ورد فيها ضمير الغائب، وتبين له أنه يقوم مقام اسم الإشارة.

[حديث العميد عن تأليفه لكتاب الأيام والظرف الذي أحاط بذلك]

الجمعة ١٩٦٨/١١/٢٩: زار العميد في مساء هذا اليوم الأستاذ ثَرْوَت أباظة، ودار الحديث بينهما فيما دار حول كتاب «الأيام»، وقال الأستاذ ثروت: يبدو أن كتاب الأيام أول ترجمة ذاتية في الأدب العربي، فقال العميد: ليس أول كتاب، فهناك ابن خلدون كتب عن نفسه في رحلته، وبهذه المناسبة أذكر أني ألَّفت الجزء الأول والثاني من «الأيام» في أوروبا، وأني أمليت الجزئين في ظروف متشابهة، فالجزء الأول أمليته بعد تأليف كتاب الشعر الجاهلي وما أثاره من مشكلات وخصومات، وكنت في أوروبا أتابع ما يدور حول هذا الكتاب، وأشعر بضيق شديد لما يجري من أحداث، وحاولت الهروب من هذا الضيق أو التغلب عليه بإملاء الجزء الأول من الأيام.

أما الجزء الثاني ففي سنة ١٩٣٨ حرَّض محمد محمود رئيس

الأحرار الدستوريين طلبة الحقوق عليَّ، فهجموا على مكتبي في كلية الآداب وحطَّموا بعض أثاثه، وقد تألمت لهذا أبلغ الألم، ولجأت وأنا في أوروبا إلى إملاء الجزء الثاني من «الأيام» علَّني أنسى تلك الآلام.

وضحك العميد ثم قال: كان اسمي في شهادة الميلاد طاهر، غير أنَّ أحداً لم ينادني بهذا الاسم، وقد غيَّرت اسمي رسمياً حين أصبحت موظفاً حكومياً.

[العميد يتحدث مع ضيفه الدكتور محمد كامل حسين عن معجزات الأنبياء والقرآن الكريم، والكتب السماوية، وينتقد بعض ما جاء في توراة اليهود، ثم يتحدث مع ضيفه عن هبوط المستوى العلمي لأساتذة الجامعات]

الخميس ١٩٦٨/١٢/١٢: في نحو الساعة الثانية عشرة ظهر هذا اليوم زار العميد الدكتور محمد كامل حسين ـ وهو من الذين كانوا يزورون العميد في أي وقت أرادوا، لما بينه وبينهم من مودَّة خاصة ـ وقد كانت معجزات الأنبياء والقرآن الكريم والكتب السماوية من الموضوعات التي تحدَّث فيها العميد والدكتور كامل حسين، وكان مما قاله الدكتور طه: إن هناك اختلافاً واضحاً في كثير من المسائل، وإن التوراة تحتوي على أشياء لا يقبلها العقل، ولا يصح أن تكون منزلة من عند الله كنسبة الفاحشة إلى بعض الأنبياء، وأشار العميد إلى قصة سيدنا داود، وما يُروى من أنه أرسل زوج امرأة أعجبته إلى ميدان القتال ليُقْتَل حتى يتزوجها وعقَّب عليها بأن القرآن الكريم جاء في سورة «ص» ما يشير إلى ذلك[1].

وانتقل الحديث إلى جامعة الأزهر، فالدكتور كامل حسين عضو

---

(١) إن ما جاء في القرآن الكريم في صورة «صّ» لا يدل على ما نسبته التوراة لداود ﷺ، والآية صريحة في أنه دخل عليه خصمان وعرضا عليه قضية فحكم فيها دون أن يسمع قول المتهم، فكان عتابه واختباره وكانت إنابته وتوبته.
وأما ما ذكره بعض المفسرين فهو لون من الإسرائيليات، ولا يعقل أن يحاول نبي قتل إنسان من أجل امرأة، فهذا خلق الطغاة والسفهاء لا خلق الأنبياء، ولكن اليهود هم الذين روَّجوا هذه الفرية وأخذها بعض المفسرين المسلمين عن أحبارهم. (وانظر: «تفسير محاسن التأويل للقاسمي» ٢/ ١٤٠).

في مجلس هذه الجامعة، وقد قال: إن اجتماع المجلس الأخير أقرَّ ترقيات بعض الأساتذة، ولكني لم أكن موافقاً على هذه الترقيات، فالأبحاث التي قُدِّمت لا ترقى إلى المستوى المطلوب، وهذا يعني أن أساتذة الجامعات في بلادنا قد هبط مستواهم العلمي، ولا يتلاءم مع الرسالة التي يقومون بها.

ووافق العميد على ما قاله الدكتور كامل.

[كلمة في الأهرام للدكتور لويس عوض بعنوان العميد وثناء العميد على من رفض إقالته من عمادة كلية الآداب]

الجمعة ١٩٦٨/١٢/١٣: نشرت جريدة الأهرام في هذا اليوم كلمة إضافية للدكتور لويس عوض تحت عنوان «العميد» تحدث فيها عن أمجاد الدكتور طه العلمية والسياسية، وكيف خاض معارك كثيرة وخرج منها أصلب ما يكون عوداً، وكان من بين الأحداث التي جاءت في هذه الكلمة خروج الدكتور طه من الجامعة بسبب عدم موافقته منح الدكتوراه الفخرية لبعض رجال السياسة الذين رغبت وزارة المعارف في منحهم هذه الدرجة، وعقَّب العميد على هذا بقوله: لقد نسي الدكتور لويس أن يذكر أنَّ لطفي السيد استقال من الجامعة وكان مديراً لها بسبب إحالتي على المعاش وخروجي من الجامعة.

وكان الدكتور لويس قد ختم مقالته بأنه أرسل من كمبردج - حيث كان يَدْرس - برقية للعميد يؤيد عمادته لكلية الآداب وتمسكه بمبادئه، وذلك لأن وزارة محمد محمود لم توافق على تجديد عمادة الدكتور طه للكلية، وهنا قال العميد: إن هذا صحيح كما أرسل إلي أيضاً الدكتور سليمان حزين برقية بالمعنى نفسه، وكذلك تلميذي وخَتَني بعد ذلك الدكتور محمد حسن الزيات، فقد بعث ببرقية نصها: لا عميدَ إلا أنت.

[العميد يشكر لويس عوض على كلمته السابقة في الأهرام]

السبت ١٩٦٨/١٢/١٤: اتصل العميد هاتفياً في مساء هذا اليوم بالدكتور لويس عوض في الأهرام وشكره على مقالته، ودعاه إلى زيارته.

[آراء غريبة وعجيبة للعميد وتابعه أبي رية حول معراج النبي ﷺ]

وفي مساء هذا اليوم أيضاً زار العميد الشيخ محمود أبو رية وتحدَّث معه حول الحديث النبوي الشريف وما أثاره الأزهر حول كتاب الشيخ أبو رية «أضواء حول السنة المحمدية»، فقد حملوا عليه حملة شديدة واتهموا الشيخ بأنه يسعى للتشكيك في السنة النبوية، وهنا قال العميد: أعتقد أن قصة المعراج موضوعة، أما الإسراء فقد جاءت في القرآن الكريم، وأيد الشيخ أبو رية العميد في رأيه، وأضاف إليه: إن من دلائل وضع قصة المعراج اختلاف الروايات في ذكر أسماء الأنبياء في كل سماء، وحكاية عودة الرسول إلى ربه أكثر من مرة ليسأله التخفيف عن أمته في الصلاة.

[زيارة وفد من إذاعة الشرق الأوسط للعميد، وقول العميد لا خوف على العربية ما دام القرآن موجوداً]

وفي نحو السابعة مساء جاء وفد من إذاعة الشرق الأوسط لتسجيل حديث مع العميد، وكان أهم ما قاله العميد في هذا الحديث: إن اللغة العربية لا خوفَ على مستقبلها ما دام القرآن الكريم موجوداً، وقد حفظه الله تعالى من التغيير والتبديل والضياع: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

[حديث العميد عن جيل الشوامخ]

ثم تحدث العميد عن جيل الشوامخ فقال: إن جيل الشوامخ أمثال لطفي السيد، والزيات، وأحمد أمين، والعقاد، والمازني، هذا الجيل شقيَ كثيراً فأصبح جديراً بالريادة والقيادة الفكرية، أما الجيل المعاصر فإنه لا يريد أن يُتعب نفسه ولا يَشْقَى في التعلُّم والقراءة، ولذلك لن يصل هذا الجيل إلى مستوى جيل الشوامخ.

[رفض العميد لرأي الدكتور مراد كامل حول انتخاب الكلمات العربية المستعملة وقصر الكتابة والتعلّم بها]

وقال العميد: إن رأي الدكتور مراد كامل عضو المجمع اللغوي حول انتخاب الكلمات العربية المستعملة، وقصر الكتابة والتعلم بها يفيد في تيسير اللغة، وأن هذا قد حصل بالنسبة للغة الإنجليزية. هذا الرأي لا أرتضيه، لأن اللغة العربية تختلف عن سائر اللغات وليس فيها ما يشق فهمه على عامة المثقفين فضلاً عن غيرهم، وهذا القرآن الكريم ـ وهو في القمة من حيث البلاغة ـ لا يشق على العامة فهم آياته بصورة عامة.

[إخبار العميد عن أدائه الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد قباء]

الأربعاء ١٩٦٨/١٢/٢٥: . . . وفي مساء هذا اليوم زار العميد خَتَنَه الدكتور محمد حسن الزيات، وتحدث معه في بعض المسائل العائلية، ثم أشار إلى إذاعة صلاة عيد الفطر من المسجد الحرام، وعقَّب العميد على هذا بقوله: لقد صلَّيت الظهر في المسجد الحرام، وصليت العصر في مسجد قباء، وصليت المغرب في مسجد الرسول. . .

الجمعة ١٩٦٩/١/٣: قال العميد بعد أن انتهينا من قراءة الصحف: أما تعلم أن فريداً لا يريد أن يعمل معي، وأنه أعطاني مهلة لكي أتصرَّف، وحدَّد يوماً لانتهاء عمله معي؟

فقلت: هذا شيء غريب من فريد، ولماذا لا يريد أن يستمر في العمل معكم، فردَّ العميد: يقول: إنه قد بلغ الستين ويريد أن يستريح، وعلى كل حال يجب البحث عن شخص آخر تتوافر فيه إجادة العربية والفرنسية، وأرجو أن تكلِّم الأستاذ محمد حامد ـ وكان يعمل مديراً للإدارة بالمجمع اللغوي ـ ليبحث عن شخص مناسب يتقن العربية والفرنسية.

وحين تحدَّثت مع الأستاذ حامد في موضوع البحث عن شخص مناسب يحل محل الأستاذ فريد، قال: إنه سيحاول إثناء فريدٍ عن عَزْمه في ترك الدكتور طه.

[العميد يشكو من قارئه الأستاذ فريد]

الجمعة ١٩٦٩/١/١٠: أخبرت العميد بما دار بيني وبين الأستاذ حامد بخصوص الأستاذ فريد، فقال: إن فريداً أصبح لا يُطاق وأخلاقه مع زوجتي سيئة للغاية، وعليه لكي يبقى معي أن يحسن معاملتها، تصور أنه لا يحيِّيها ولا يتحدَّث معها، وإذا دخل الحُجْرة وهي معي لا يحييني حتى لا تكون تحيته لي تحية لها أيضاً، فإذا خرجت حياني وسلَّم علي. فقلت: إن البحث عن شخص آخر أمر هيِّن، ولكن المشكلة أن الأستاذ فريد بحكم الفترة الطويلة التي عمل فيها معكم أصبح بالنسبة لكم أكثر من سكرتير، ويمكن التجاوز عن

بعض الأخطاء والهفوات حتى تستمر الأمور، فقال: غير ممكن التسامح فيما يفعله مع الست.

الجمعة ١٩٦٩/١/١٧: ما كدتُ أحيِّي العميد وأتهيأ لقراءة الصحف حتى قال لي: هل تعلم أنَّ فريداً سلَّم لي مفاتيح المكتب ولن يحضر غداً.

فقلت: لم أكن أتوقع من فريد هذا، كان عليه أن يستمر في العمل حتى يحل غيره محله.

فقال العميد: إن فريداً يظن أنه بهذا يعاقبني.

[العميد يتحدث عن قارئه فريد وعن تركه للعمل معه]

فقلت: معاذ الله يا سيدي، فأنت لم تقدِّم إليه إلا كل خير فقال: فريد يظن عكس هذا.

وبعد الانتهاء من قراءة الصحف اتصلت هاتفياً بالأستاذ حامد في المجمع، وأخبرته بما فعله الأستاذ فريد، فقال بأنه سيزور العميد مساء ليبحث معه هذا الموضوع.

وفي السابعة مساء جاء الأستاذ حامد وتحدث مع العميد حول تصرفات الأستاذ فريد، فقال: إن زوجة فريد غير موظفة، وهو قد بلغ الستين فلا يستطيع أن يعمل في الحكومة، فماذا إذن سيعمل؟ فقال العميد: يبدو أن لدى فريد مالاً وفيراً، هل تعرف ماذا كان يأخذ من راتب مع أنه لا يحمل من المؤهلات سوى الشهادة الابتدائية.

إن فريداً بدأ معي بسبعة جنيهات في الشهر وذلك منذ نحو أربعين عاماً، وانتهى بثمانين جنيهاً، وكنت في مطلع كل صيف أعطيه راتب شهور الصيف كلها ليتركها في مصر، ثم يسافر معي إلى أوروبا ولا ينفق مليماً واحداً، لقد زار معي بلاداً كثيرة في أوروبا وآسيا.

واستطرد العميد: إن المرحوم نجيب الهلالي عيَّن فريداً في وزارة المعارف ـ حين كان وزيراً لها ـ في الدرجة الرابعة مع أن مؤهله معروف، ولذلك لم يستمر في الوظيفة بعد أن ترك الهلالي الوزارة، فالوزير الذي خلفه طرد فريداً من وظيفته.

[ذكريات للعميد عن فترة عمله وزيراً للمعارف]

وكان الحديث عن وزارة المعارف وعمل فريد بها مناسبة للحديث عن ذكريات العميد وهو وزير فقال: حين عُيِّنتُ وزيراً للمعارف، وذهبت إلى مكتبي في الوزارة جاءني الموظفون للتهنئة، وكان من بينهم السيد يوسف ـ وقد تولَّى الأستاذ السيد يوسف وزارة التربية والتعليم في عهد الرئيس عبد الناصر ـ وبعد أن هنأني همس في أذني: إن قرارات الوزير السابق ـ وكان الأستاذ محمد العشماوي ـ منذ أسبوع قد أوقفتها لترى رأيك فيها، وكان ردِّي عليه: ومعنى هذا أنك ستفعل معي كما فعلت مع غيري، وزير أمضَى قرارات لماذا تُعَطَّل ولا تنفذ؟ ثم أمرت بعد ذلك بنقله من الوزارة إلى منطقة الجيزة، ومنها إلى منطقة شبين الكوم، ووقع بينه وبين بعض المسؤولين في هذه المنطقة خلافات ومشكلات، وطلبوا نقله ولكني رفضت، فتدخل رئيس الوزراء مصطفى النحاس وطلب مني أن أنقله، غير أنني لم أستجب لطلب رئيس الوزراء، وقلت له: ما دمتُ وزيراً فلن أنقله، وإن شئت نَقْله فعين وزيراً آخر ينقله.

[حديث العميد عن أنه أول من أدخل الفتاة إلى الجامعة في كلية الآداب]

وتطرَّق الحديث إلى الجامعة ودخول الفتاة فيها، وأن العميد هو أول من أدخل الفتاة الجامعة في كلية الآداب، وكان عدد من دَخَلْنَ هذه الكلية لأول مرة تسع طالبات، وكان تعليم الفتيات في الجامعة مجاناً ولهنَّ بيت خاص يقمن فيه وتشرف عليهم موظفة مسؤولة، وقد حذت الكليات الأخرى حذو كلية الآداب، فأخذت الطالبات يلتحقن بسائر كليات الجامعة، وقد ثار الأزهريون لهذا، وفوجئت يوماً وأنا خارج من منزلي بالزمالك بوجود بعض رجال الشرطة أمام المنزل، وسألتهم عن سبب وجودهم فأخبروني بأن في الأزهر ثورة ضدي، وقد كُلِّفوا بالحضور إلى هنا خوفاً علي، ويصمت العميد برهة ثم يقول: وتوجهت نحو الجامعة وما كدت أدنو منها حتى كان خبر ثورة الأزهريين قد بلغها، فتجمع طلبة الجامعة استعداداً لملاقاة طلبة الأزهر، ولكن هؤلاء لم يحضروا، وحملني الطلبة على أعناقهم حتى أدخلوني مكتبي.

السبت ١٩٦٩/١/١٨: زار العميد في مساء هذا اليوم شاب فرنسي، وكان الحديث بينهما باللغة الفرنسية ـ ولا أجيدها ـ ولهذا لم أعرف تماماً ما دار بينهما، وإن كان غالباً في نطاق الأدب، فقد تكرر ذكر الأستاذ توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهما من أعلام الأدب، كما تكرر ذكر أسماء بعض المستشرقين.

وجاء الشيخ محمود أبو رية لزيارة العميد، غير أنه حين عرف أن هناك بعض الضيوف الأجانب لم يطرق باب المكتب وجلس في الردهة، فخرجت للقائه، واعتذرت له لأن العميد لا يستطيع مقابلته فطلب مني أن أبلغه بأن كتاب «قصة الحديث النبوي» لا أمل في نشره لدى مؤسسة الكتاب العربي، وهو يرجو أن يأذن العميد له في استرداده، فقد قرأه وكتب للدكتورة سهير القلماوي رئيسة المؤسسة بأن الكتاب صالح للنشر، ولكن الدكتور شكري عيَّاد ـ وهو المسؤول عن المكتبة الثقافية التي أعدَّ الكتاب لها ـ قال للدكتورة سهير: أنه لا يتحمَّل مسؤولية نشر هذا الكتاب.

وجاء أيضاً مندوب من الإذاعة يحمل معه خطاباً من مدير البرنامج الثاني يطلب فيه من العميد موافقته على إذاعة مسرحية «فلوكيتيتس» التي ترجمها العميد، نظير أجر قدره مئة جنيه، ولم يستطع كذلك مقابلة العميد فتسلَّمت منه الرسالة، وبعد أن انصرف الشاب الفرنسي أخبرت العميد بموضوع كتاب الشيخ أبو رية فقال: إن تسلم الكتاب غير ممكن، فقد كانت عندي الدكتورة سهير يوم الخميس الماضي وقالت لي إنها ستنشر الكتاب. ثم قرأت عليه رسالة مدير البرنامج الثاني، فقال: لا أعرف أني ترجمت مسرحية بهذا العنوان، ثم سأل زوجته عن ذلك فأحضرت الأصل الفرنسي وقرأت عليه بعض الفقرات منه، فتذكر العميد أنه قد ترجم تلك المسرحية، وتقول ابنته ـ وكانت موجودة ـ إن أبي ترجم المسرحية ثم نسيها.

الأحد ١٩٦٩/١/١٩: كنت قد تحدَّثت مع الأستاذ حامد عن موضوع

[العميد ينتقد قارئه فريد ويرفض قارئاً يجيد العربية والفرنسية لأن اسمه «فيكتور صهيون»]

الأستاذ فريد، وعرفتُ منه أنه سيكلم الدكتور محمد كامل حسين ـ وله دالَّة على فريد ـ ليحاول حمله على تغيير رأيه، وأخبرت العميد بهذا فقال: سيظن فريد أنني أسعى إليه، وأوسِّط له من يؤثر عليه، فقلت: على الرغم من عيوب فريد فهو خير من سواه، وكما يقول المثل: نار فريد ولا جنة غيره، فقال: لا، نار غيره ولا جنته إن فريداً هانت عليه عشرة طويلة لأسباب تافهة.

وفي مساء هذا اليوم زار العميد الأستاذ طارق محمد حامد، وكان يعمل في مصلحة الاستعلامات ـ وكان العميد قد طلب لقاءه ليبحث معه موضوع اختيار شخص من هذه المصلحة يتقن العربية والفرنسية ـ وسرد الأستاذ طارق بعض أسماء الذين تتوافر فيهم الشروط المطلوبة، وكان من بينها اسم: فيكتور صهيون، فقال العميد حين سمع هذا الاسم: صهيون، أعوذ بالله، لا يا سيدي، الله الغني، وسكت العميد لحظة ثم قال: الله يعكنن عليه فريد.

ولم يكد يخرج الأستاذ طارق حتى حضر مندوب الإذاعة من أجل موافقة العميد على إذاعة المسرحية المترجمة، ورفض العميد الموافقة إلا إذا كان المبلغ مئة وعشرين جنيهاً، واتصل المندوب هاتفياً من منزل العميد بمدير البرنامج الثاني فوافق على ما طلب العميد.

الاثنين ١٩٦٩/١/٢٠: قبل ذهابي إلى العميد في صباح هذا اليوم التقيت بالدكتور كامل حسين في المجمع اللغوي وحدَّثته في موضوع الأستاذ فريد، فسألني عن سبب ما حدث فأجبته، أنَّ هناك خلافاً بين زوجة العميد وفريد، فقال: لن أتصل بفريد مباشرة كي لا يظن أن الدكتور طه أرسلني إليه، ولكني سأبذل محاولات أخرى لعلاج هذا الموضوع.

وحدَّثتُ أيضاً الأستاذ عبد الكريم العزباوي مدير المجمع فقال:

لقد اتصلت هاتفياً بفريد، وأدركت أنه يود الرجوع إلى العميد. غير أنه يحب أن يطلبه ولو هاتفياً، كما قال لي: إن فريداً ذكر له أنَّ الدكتور طه هو الذي استغنى عنه، وقلت للأستاذ العزباوي: الصحيح أن العميد لم يستغن عن فريد، وهو بحجة بلوغه الستين ولخلافه مع زوجة الدكتور قال له: إنه لا يريد الاستمرار معه في العمل.

وعرضت على المدير العام للمجمع أن يذهب إلى فريد ويحمله على أن يحضر معه إلى بيت العميد، وهو لن يرفض لقاءه، وأعتقد أنه يمكن تصفية الأمور بعد هذا، لأن العميد لن يتصل هاتفياً بفريد، وطلب مني الأستاذ المدير معرفة رأي الدكتور في هذا، ولما حدثته قال: على فريد أن يحسن علاقته بالست قبل كل شيء.

الثلاثاء ١٩٦٩/١/٢١: أخبرني العميد في صباح هذا اليوم بأن زوجه ستخرج في المساء، وقد لا ترجع إلى البيت إلا في العاشرة، ولما قلتُ لها بأنك ستخرج في الثامنة والنصف، رفضت أن يجلس معي بعد خروجك أحد العمال، وأصرَّت أن تظل أنت حتى تعود، فمعذرة لأني سأحرمك من أبنائك، وقلت للعميد: يسعدني كل السعادة أن أجلس معك دائماً.

وكان الكتاب الذي نقرؤه هو «عيون الأخبار»، وفي الفصل الخاص بالطلاق من الجزء الذي عقده المؤلف للنساء وأخبارهن ورد البيت التالي:

فأنت الطلاق وأنت الطلاق وأنت الطلاق ثلاثاً تماماً

[حديث العميد عن أول درس سمعه من الأزهر وفيه إيحاء بنفوره منه]

وعقَّب العميد بعد سماعه هذا البيت بقوله: أذكر أن أول درس سمعته في الأزهر كان موضوعه الطلاق، وكان الذي يلقيه هو الشيخ بخيت، وكانت أول كلمة قالها: لو قال لزوجته أنت طلاق أو أنت طلام أو أنت طلال وقع الطلاق ولا عبرة باختلاف اللفظ، فقلت له: يبدو أنك منذ دخلت الأزهر وأنت تشعر نحوه بالازورار والنفور. فقال العميد: نعم.

ولما بلغت الساعة الثامنة والنصف قال العميد: سحقاً لفريد، قال هذه العبارة في غيظ، ولم أشأ أن أعقِّب عليها حتى لا أفتح مجالاً للقول في موضوع الأستاذ فريد.

الأربعاء ١٩٦٩/١/٢٢: جاء إلى العميد في نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً الدكتور كامل حسين، وكان موضوع فريد محور الحديث بينهما، وقال العميد: إنه يوافق على عودة فريد بشرط أن توافق الست على ذلك، ثم أردف: لقد تحملتُ كثيراً من المتاعب بسبب فريد، واتهمتني زوجتي بأني دلَّلته وأسرفت في التغاضي عن أخطائه، وقال الدكتور كامل: إن شخصاً يثق به أخبره أن فريداً ذهب إلى الأستاذ عبد الرحمٰن أبو العينين وكيل وزارة الخزانة وقال له: أبعدَ هذا العمر الطويل يستغني عني الدكتور طه؟ فقال العميد: أنا لم أستغن عنه، هو الذي تركني بحجة بلوغه الستين، وكان عليه أن يستمر معي؛ حتى أجد غيره.

الخميس ١٩٦٩/١/٢٣: تحدَّثتُ في صباح هذا اليوم قبل ذهابي إلى العميد مع الأستاذ المدير العام للمجمع حول ما دار بين العميد والدكتور كامل حسين بالنسبة لمشكلة الأستاذ فريد، فقال الأستاذ المدير العام: إن فريداً أخبره أنه لم يترك الدكتور طه ولكنه طرده وقال له: اذهب وابحث لك عن شغل، فقلت: لقد أخبرني العميد غير ذلك، وأضاف الأستاذ المدير: وأخبرني أيضاً أن زوجةَ الدكتور كانت تعامله معاملة الخَدَم، وتسيء إليه في وجود الزوَّار، وأنها اتهمته يوماً بسرقة مبلغ عشرين جنيهاً من حافظة الدكتور.

زارت العميد في مساء هذا اليوم السيدة سعاد أبيض لتقدم للعميد تلخيصاً لكتاب أعدته بالفرنسية عن والدها الممثل جورج أبيض حتى يقرأه ويكتب مقدمة لكتابها.

وكذلك زار العميد خَتَنه الدكتور الزيات وزوجه وتحدثا معه عن

الشخص الذي سيحل محل الأستاذ فريد، ووعدا بأنه سيبدأ العمل في مستهل الشهر القادم، فقلت للدكتور الزيات: أعتقد أنَّ الأولى عودة فريد، فهو أدرى بما يريده العميد، والسكرتير الجديد سيحتاج إلى فترة قد تطول ليفهم كل الأمور، فقال: إن فريداً يعتقد أن الأمور بدونه لن تسير، فهو من ثَمَّ يجب أن نخضع لإرادته، وقد أخبرني الأستاذ أبو العينين بأن فريداً لن يرجع إلى الدكتور طه إلا إذا ذهبت أنا إليه واعتذرت الست له، وهنا قال العميد: إن الدكتور كامل أخبره أن فريداً ذهب إلى الأستاذ أبو العينين وبكى لأني استغنيت عنه بعد هذا العمر الطويل، فقال الدكتور الزيات: لم يخبرني بهذا الأستاذ أبو العينين.

السبت ١٩٦٩/١/٢٥: في مساء هذا اليوم زار العميدَ الأستاذُ أحمد علي عقبات عضو المجمع عن الجمهورية اليمنية، وكان يحمل إليه رسالة من القاضي عبد الرحمٰن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري في اليمن، وحين تلوت هذه الرسالة اتضح أنها موجهة إلى الدكتور طه وأعضاء المؤتمر بمناسبة انعقاد مؤتمر المجمع اللغوي في دورته الخامسة والثلاثين، وفيها ثناء طيِّب على عميد الأدب العربي، وأعضاء المجمع جميعاً، ورغبة اليمن في أن يسهم المجمع في خدمة التراث العربي الموجود باليمن، وأكد القاضي الإرياني في رسالته أن التراث العربي في اليمن تحت تصرف المجمع اللغوي.

ولما كانت الرسالة بهذه الصورة غير شخصية طلب مني العميد أن أحملها إلى مدير المجمع لتقرأ على أعضاء المؤتمر.

[العميد يفتتح جلسات المؤتمر اللغوي في مبنى الجامعة العربية في ١٩٦٩/١/٢٧]

الاثنين ١٩٦٩/١/٢٧: طلب مني العميد أن أبكِّر في الذهاب إليه في صباح هذا اليوم لأنه سيذهب إلى مبنى الجامعة العربية ليرأس جلسة افتتاح المؤتمر اللغوي، والذي يستمر نحو أسبوعين، وفي الطريق إلى مبنى الجامعة قال لي العميد: والله لا أدري ماذا سأقول اليوم؟ وحين تكلم، استهل حديثه بتحية أعضاء المجمع العرب الذين

جاءوا من كل البلاد العربية للاشتراك في المؤتمر، ثم حيا القاضي عبد الرحمٰن الإرياني وشكره على رسالته، وتمنى للمؤتمرين التوفيق في مهمتهم العلمية المقدسة.

وفي المساء زار العميد اثنان من الرهبان الدومينكان وتناول الحديث معهما بعض قضايا الأدب والسياسة، وبعد خروجهما قلت له: إن محرر جلسة افتتاح المؤتمر قد ترك نص كلمتكم ويرجو منكم مراجعتها وتصحيحها، حتى تقدَّم للطبع بعد ذلك، فقال: لا أحب أن أقرأ ما أمليته أو ألَّفته، ومن عادتي أنَّ كل ما أكتبه أرسله إلى المطبعة دون النظر فيه مرة أخرى.

[العميد لا يراجع ما يؤلفه أو يمليه، بل يدفعه للمطبعة دون النظر فيه مرة أخرى]

ولم يتمكن العميد من حضور جلسات المؤتمر في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، وذلك لمرض ألمّ به، وفي يوم الجمعة ٣١/ ١/ ١٩٦٩ قال لي: إن لم أحضر جلسة غدٍ سأقدِّم استقالتي من رئاسة المجمع.

السبت ١٩٦٩/٢/١: في مساء هذا اليوم جاءت ابنة العميد السيدة أمينة، وكان معها شاب في نحو الثلاثين من عمره اسمه محمد شفيق وقد رُشِّح للعمل مع العميد سكرتيراً، وبعد حديث قصير بينه وبين العميد اتفق على أن يبدأ الأستاذ محمد شفيق العمل يوم الاثنين القادم.

[محمد شفيق يبدأ العمل مع العميد سكرتيراً بدلاً من فريد]

وفي نحو السابعة مساء زار العميد مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وفي أثناء حضوره جاء الشيخ أبو رية، ولكنه لوجود المدير الفرنسي لم يتمكن من لقاء العميد، وحين خرج مدير معهد الآثار، قال العميد: لقد حضر الشيخ أبو رية مرتين ولكنه لم يستطع مقابلتي، فقلت: لقد ذكر لي الشيخ بأنه يعرفكم منذ سنة ١٩١٠ من كتاباتكم «نظرات في النظرات» فقال العميد: إني أستحي مما كتبت ضد المنفلوطي، والحقيقة أن الشيخ عبد العزيز جاويش كان يكره المنفلوطي، وقد شجعني على الكتابة ضده، كذلك فإني أستحي من مقال كتبته عن السيد رشيد رضا فقد استعملت فيه ألفاظاً قاسية

[العميد يأسف على ما كتبه في نقد كتاب النظرات للمنفلوطي وعلى مقال كتبه عن رشيد رضا، ويصرح بأن ذلك كان بتشجيع من الشيخ عبد العزيز جاويش]

وسخرية لاذعة، وهذا المقال كتبته أيضاً بتشجيع من الشيخ جاويش، وقد نشر في مجلة الهداية.

[العميد يكتب مقدمة لكتاب الشيخ أحمد حسن الباقوري عن أثر القرآن في اللغة العربية]

الأحد ١٩٦٩/٢/٢: بعد قراءة الصحف شرعنا نقرأ في كتاب «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية» من تأليف الشيخ أحمد حسن الباقوري، وكان العميد يقرأ هذا الكتاب من أجل كتابة مقدِّمة له، وقد اتصل الشيخ الباقوري بالعميد هاتفياً في هذا اليوم يسأل عن المقدمة، فقال له: إنني أقرأ الآن الكتاب لثالث مرة وإن شاء الله سأملي المقدمة في الأسبوع القادم.

وفي أثناء قراءتنا للفصل الذي أشار فيه الشيخ الباقوري إلى أسباب عدم وجود شعر قصصي وتمثيلي في الأدب العربي في العصور الأولى، قال العميد: هناك قضية يخطئ في فهمها مؤرخو الأدب، وهي أنَّ عدم وجود شعر تمثيلي عربي يرجع إلى أنَّ العرب لم يترجموا أدب اليونان واكتفوا بالفلسفة والعلوم، والحقيقة أنَّ الكنيسة كانت قد منعت ترجمة هذا الأدب، وظل حبيس الأدْيِرة في لغة يونانية قديمة لم يكن المترجمون يعرفونها، وسبب منع الكنيسة ما في هذا الأدب من وثنية، فالعرب لو وجدوا الأدب اليوناني في لغة كالتي وجدوا عليها العلوم والفلسفة لترجموه.

[العميد يصرِّح بأنه كان قد عزم على الأخذ برأي أبي العلاء المعري في أن لا يتزوج، لكنه حين سافر إلى باريس انتصر الحب على مذهب المعري]

الاثنين ١٩٦٩/٢/٣: بدأ الأستاذ محمد شفيق عمله سكرتيراً للعميد في هذا اليوم، وكان عليَّ أن أرافقه لأرشده إلى ما يجب عليه، وإلى ما يحتاج العميد أحياناً، وفي المساء قال العميد: إنني والحمد لله أشعر بصحة طيبة، ولكن زوجتي تجبرني على الأكل. ثم وجَّه حديثه للأستاذ شفيق: وأعتقد أن زوجتك وهي فرنسية، تجبرك على أشياء معينة في حياتك. ثم صمت برهة وقال: لقد ظللت نحو عشر سنوات وأنا أؤمن برأي أبي العلاء في الحياة، فعزمت على ألَّا أتزوج، ولكني حين سافرت إلى باريس والتقيت مع زوجتي انتصر الحب على مذهب أبي العلاء.

الأحد ١٩٦٩/٣/٩: اتصل هاتفياً بالعميد في صباح هذا اليوم الأستاذ رشاد عبد المطلب خبير المخطوطات بالجامعة العربية يريد تحديد موعد للقاء العميد، ولمرض العميد وملازمته الفراش لم يستطع أن يحدِّث الأستاذ رشاد هاتفياً، وطلب مني أن أعرفه بأن يتصل بعد غدٍ لتحديد الموعد، كما أعرفه بأن يخبر الدكتور مختار الوكيل بأن العميد كلَّم الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية في موضوع الدكتور مختار، ولكن الأمين العام لم يوافق.

وكان موضوع الدكتور مختار يتلخص في رغبته في أن يُنقل من أمانة معهد المخطوطات إلى أحد مكاتب الجامعة بالخارج ليلحق بزوجته وابنته.

الأحد ١٩٦٩/٣/١٨: أخبرني العميد في مساء هذا اليوم بأن الأستاذ محمد شفيق الذي حلَّ محلَّ الأستاذ فريد يطلب إعفاءه من العمل، لأن صحته لا تساعده على الاستمرار فيه، فقلت له: هل تسمح ببذل محاولات جديدة لعودة الأستاذ فريد، فقال: إن فريداً أصبح لا يُطاق، وأيَّد الدكتور الزيات العميد في رأيه حول عودة الأستاذ فريد، وقال: إنني سأبحث عن شخص آخر يحل محل الأستاذ شفيق.

الأحد ١٩٦٩/٣/٣٠: زارت العميد في مساء هذا اليوم ابنة أستاذه المستشرق الإيطالي نللينو، فقد جاءت إلى القاهرة للاشتراك في ندوتها العالمية بمناسبة عيدها الألفي، وكان معها في هذه الزيارة مدير المعهد الإيطالي بالقاهرة، ومحرِّر بمجلة المصور، وامتدت الزيارة نحو ساعة جرى فيها حوار عن القاهرة وعيدها وعصورها ومما قاله العميد: إن مرضي حال بيني وبين المشاركة في هذه الندوة، ولو كان قد تيسر لي حضور جلساتها لأسهمت فيها ببحث عن عصر المماليك، ولم اقتصر على أن أكون عضواً ضمن بعثة الشرف كما أرادت وزارة الثقافة، وسجلت هذا في الدليل الذي طبعته عن الندوة.

[ابنة المستشرق الإيطالي نللينو تزور العميد]

[العميد يدافع عن عصر المماليك في مصر والبلاد العربية ويعتبره من أزهر العصور الإسلامية]

ويسأل محرر مجلة المصور: هل هناك سبب خاص يدفعك إلى اختيار عصر المماليك بالذات مع أن بعض المؤرخين يصفونه بأنه من أظلم عصور التاريخ الإسلامي في مصر؟

ويجيب العميد: إنه من السخف أن يقال عن عصر المماليك إنه كان عصراً مظلماً، فهو من أزهر العصور الإسلامية للقاهرة والبلاد العربية، وفي هذا العصر ظهر كتاب «نهاية الأرب» للنويري، وكتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، وَكَتَبَ القلقشندي «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، وألَّف ابن منظور معجمه اللغوي الشهير «لسان العرب»، كذلك اختصر في هذا العصر كتاب «الأغاني» للأصفهاني، فظهر لابن منظور كتاب مختصر الأغاني، وكل هذه الكتب وغيرها موسوعات علمية ضخمة يبلغ بعضها نحو عشرين جزءاً. فعصر المماليك لم يكن مظلماً بحال من الأحوال، إنه عصر الموسوعات العربية، وكان من الناحية الفنية والمعمارية من أزهى العصور الإسلامية، ويكفي أن تزور الآثار التي خلفها مثل جامع السلطان برقوق وقلاوون فتجد فيها دقة الفن وروعته.

[في عصر المماليك ظهرت مجموعة ممتازة من جوامع الكتب العربية]

[العميد يقول: عصر المماليك عصر الموسوعات وعصر النهضة الفنية والمعمارية]

[العميد ينتقص عصر الترك العثمانيين ويصفه بالعصر المظلم]

وأما العصر المظلم فهو عصر الترك العثمانيين في مصر، والسبب واضح، وهو أن الترك لم يصنعوا شيئاً، ومما أذكره أني ذهبت إلى أثينا، وأُهديت إليَّ درجة الدكتوراه الفخرية، قلت في كلمتي التي ألقيتها بهذه المناسبة: إن عصر الاستغلال في مصر واليونان يوشك أن يكون في القرن السابع عشر، فكلا البلدين احتلته دولة هدمت حضارتين البيزنطية في القسطنطينية والإسلامية في مصر، ولم تنشئ شيئاً مكانهما[1].

ماذا صنع الترك العثمانيون بالمَهَرة من العمال في مصر، لقد

(١) في هذا الكلام تجنٍّ كبير على العثمانيين، وفن العمارة العثماني يضارع الفن الأوروبي في أزهى عصوره، والمعمار الشهير سنان لا يكاد يجهله أحد (الناشر).

أخذوهم، وماذا صنعوا بما في المساجد من كتب، أخذوها، وماذا فعلوا بها وضعوها في المكتبات وأغلقوا عليها الأبواب، فإذا أردنا الحصول على بعضها وجدنا صعوبة بالغة، ولذلك اقترحت في مؤتمر للتاريخ عقد ببروكسل وكنت مشتركاً فيه أن تطلب الدول من تركيا أن ترد إلى مصر ما أخذته من كتب.

وعن فكرة الاحتفال بعيد القاهرة الألفي يقول العميد:

[العميد يثني على فكرة الاحتفال بعيد القاهرة الألفي]

إنها فكرة قيّمة، وإن كانت قديمة، فالتفكير في هذا العيد نشأ من سنين طويلة، ولكن الذي لم يخطر ببال أحد هو الاحتفال بعيد الإسكندرية، فقد ظلمت هذه المدينة على الرغم من أمجادها التاريخية الرائعة.

ويتوقف العميد عن الحديث حول القاهرة وندوتها العالمية وعيدها الألفي ليرحب بابنة أستاذه ويقول:

[العميد يثني على أستاذه المستشرق الإيطالي نللينو ويرحب بابنته]

نللينو هو الذي علَّمني، وأنا مدين له بحياتي العلمية، فقد علمني تاريخ الأدب، وكانت دروسه بلغة عربية فصيحة لا تجدها في معهد آخر كالأزهر وغيره، ولا أنسى يوماً قرَّر فيه الطلاب الإضراب عن دروس الأستاذ نللينو، لأن إيطاليا أعلنت الحرب على تركيا وأرسلت سفنها غازية لطرابلس الغرب، فاجتمع الطلاب في حجرة الدرس حتى إذا أقبل الأستاذ وتهيأ لإلقاء درسه خرج الطلاب جميعاً، وتركوه في الحجرة وحيداً، ولبث في الغرفة دقائق، ثم خرج فأقبل على الطلاب، وقال لهم في لهجة عربية صحيحة فصيحة: مثلكم مثل الرجل الذي أراد أن يغيظ امرأته فخَصَى نفسه.

وكان المثل لاذعاً والسهم مصيباً، فرجعنا جميعاً إلى حجرة الدرس، وكان السؤال الأخير في هذا اللقاء عن الموضوع الذي كان يود العميد الكتابة فيه لو لم يمنعه المرض من ذلك فقال: «الحياة العلمية والفنية في عصر المماليك».

وبعد خروج ابنة نللينو ومن رافقها في زيارة العميد طرق الباب مدير مكتب الدكتور الزيات ومعه الأستاذ أحمد أبو زيد الذي رشحه الدكتور الزيات ليحل محل الأستاذ شفيق في العمل مع العميد، ومكثا نحو نصف ساعة سأل فيها العميد الأستاذ أحمد عن ثقافته ومدى قدرته على العمل معه صباحاً ومساءً، وبعد انصرافهما لم يتحدَّث العميد بشيء عن المرشح الجديد.

[قراءة في كتاب (الكامل) للمبرد أمام العميد]

وكانت الساعة قد دنت من الثامنة والنصف، ومع هذا طلب مني العميد أن أمكث بعض الوقت، فقد انقضت الفترة المسائية كلها تقريباً دون أن نقرأ شيئاً، ومن ثم أخذنا نقرأ في كتاب «الكامل» نحو ثلث ساعة.

[العميد يرأس جلسة المجمع اللغوي وقد حضر هذه الجلسة المستشرق الفرنسي جاك بيرك]

الاثنين ١٩٦٩/٤/٧: رأس العميد جلسة المجمع اللغوي في صباح هذا اليوم، وقبلها أرسل إليَّ، وعرفت منه أن الأستاذ شفيق مريض، وأنه لم يحضر بسبب هذا، فرافقت العميد في قاعة الجلسة أحمل معي بعض الأدوية التي قد يحتاج إليها إذا فاجأه المرض أو الإغماء.

وقد حضر هذه الجلسة الأستاذ جاك بيرك المستشرق الفرنسي الذي كان في القاهرة للاشتراك في ندوتها العالمية بمناسبة عيدها الألفي.

[مستشرق روسي يزور العميد ويحدثه عن حب الناس له في روسيا]

وفي المساء زار العميد مستشرق روسي في نحو الخامسة والأربعين من عمره اسمه غريغوري شرباتوف، وهو يدرِّس الأدب العربي في جامعة موسكو، وقد ترجم كتاب «الأيام» إلى الروسية كما ترجم فصولاً من كتاب «المعذَّبون في الأرض»، وقد تحدَّث إلى العميد عن حب الناس في روسيا للدكتور طه حسين، وعن دعوة العميد للإسهام بكلمة تنشر في مهرجان الاحتفالات الضخمة التي ستقام في عام سبعين بمناسبة العيد المئوي لمولد لينين، وقد وعد العميد بكتابة هذه الكلمة، ثم قال: إن لينين أهم لديه من ماركس،

[العميد يقول: إن لينين أهم لديه من ماركس وأن قراءة ماركس من أصعب الأشياء في حين أن قراءة لينين من ألطف الأشياء]

فقد حوَّل لينين روسيا إلى دولة شيوعية، فهو عملي أكثر من ماركس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن قراءة ماركس من أصعب الأشياء، على حين أن قراءة لينين من ألطف الأشياء.

الخميس ١٩٦٩/٤/١٠: زارت العميد في مساء هذا اليوم الفنانة روحية خالد وكان معها الأستاذ فتوح نشاطي والفنانة روحية تلميذة للعميد في أول معهد أنشئ للتمثيل، وقد جاءت إليه تشكو له ما تلاقيه من غُبْن في وزارة الثقافة، فهي تحصل على راتب ضئيل لا يكفل لها حياة كريمة، وقد كتب العميد رسالة إلى الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة يطلب فيها إنصاف الفنانة المظلومة، كما كتب رسالة أخرى بالمعنى نفسه إلى الدكتور عبد العزيز الأهواني رئيس مؤسسة المسرح.

أما الأستاذ فتوح نشاطي فقد أهدى للعميد مؤلفه الجديد «فنان في باريس» وهو مذكرات كتبها الأستاذ نشاطي حين كان في باريس، وقد تناول الحديث بينه والعميد الوعي المسرحي لدى الشعب الفرنسي، وعن اهتمام المسارح في فرنسا بتقديم أعمال الكتاب الكبار، وأن المسرح العربي قد انحدر، وأهمل الأعمال الممتازة لكبار الكتاب العرب وغيرهم.

وبعد خروج الفنانة روحية والأستاذ نشاطي حضر شقيق العميد المهندس عبد المجيد حسين، وكان محور الحديث بينهما عودة الأستاذ فريد، وقال العميد: إن فريداً قد تنكر لي ولم يَرْعَ حق هذا العمر الطويل معي، وقال شقيقه: سأحدث الست في هذا الموضوع وأرجو أن أنجح في إقناعها بعودة فريد، وسأذهب إليه يوم الأحد القادم لتهنئته بالعيد، وسأعرف منه مدى استعداده للعودة.

الجمعة ١٩٦٩/٤/١١: نشرت الأهرام مقالاً للدكتور حسين فوزي بعنوان «من يركب الصعب وهو عالم بركوبه» وقد تحدّث فيه عن الرواية الغنائية، ومع حرص العميد على قراءة ما كان يكتبه الدكتور

فوزي في صحيفة الأهرام طلب مني ألا أتابع القراءة بعد أن قرأت نحو ثلث المقال، فالموضوع ليس جديراً بالقراءة، ثم أخذ يحدثني عن ذكرياته حين حضر مسرحية كليوباترا لشوقي، وكيف كان عبد الوهاب يمثلها.

السبت ١٩٦٩/٤/١٢: أخبرني العميد صباحاً أن زوجته طلبت منه أن يتصل بالأستاذ إبراهيم خليل من أجل البحث عن سكرتير، فإذا جاءت وسألت عن هذا الموضوع سأخبرها أني اتصلت به وأنه سيحضر غداً، ولكن حين دخلت الحجرة زوجة العميد وسألته لزم الصمت، ولم يقل شيئاً، فثارت، وتفوَّهت بعبارات لا أدري معناها، وتركت الحجرة، وهنا طلب مني العميد إحضار الهاتف ليتصل بالأستاذ إبراهيم، وقد وعده هذا بالحضور مساء ومعه شخص يرشحه للعمل.

وفي السابعة مساء جاء الأستاذ إبراهيم ومعه الأستاذ جمال حَبُّ الرمان، وهو في نحو الخامسة والستين من عمره، ومكثا مع العميد نحو ساعة، وبعد خروجهما قال العميد: هل تعتقد أن الأستاذ حَبُّ الرمان يصلح مع كبر سنه وطريقة نطقه، فكلامه العربي أشبه ما يكون بكلام الخواجات.

على أنه كان قد حضر قبل الأستاذ إبراهيم شاب في نحو الخامسة والعشرين من عمره، وهو نجل المرحوم الأستاذ علي بدوي المحامي وعضو المجمع اللغوي، وكان من الذين رُشِّحوا للعمل مع العميد، وكان يعمل بصحيفة الأهرام، وبعد خروجه قال العميد: يبدو أن هذا الشاب أفضل من غيره.

الأحد ١٩٦٩/٤/١٣: زار العميد مساء الأستاذ عبد العزيز أحمد ـ وهو من الذين كانت تربطهم بالعميد صلة وثيقة منذ أيام الشباب ـ وقد طلب منه العميد أن يحضر مساء غدٍ ليتيح لي فرصة قضاء جزء من

يوم شم النسيم مع أولادي، وقلت: إنني على استعداد للحضور، وذلك لأن العميد كان قد قال لي: إن الأستاذ عبد العزيز أحمد لا يقدر على متابعة القراءة، وكان يتحدَّث مع العميد طول الوقت تقريباً، وما كان العميد يودُّ هذا، لقد كان يحرص على الوقت جداً، ولهذا كان يقول بعد خروج أي زائر يطيل المكث: لقد ضاع الوقت، ولكن العميد أصرَّ على أن يحضر الأستاذ عبد العزيز وقال لي: في قريتنا مثل يقول: إن كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله، وشكرت للعميد مشاعره الكريمة وإنسانيته العظيمة.

[حرص العميد على الوقت وأسفه على ضياع شيء من وقته بدون فائدة]

الثلاثاء ١٩٦٩/٤/١٥: كان الأستاذ ثروت أباظة قد دُعي للاشتراك في المؤتمر الأدبي ببغداد، والذي عقد في التاسع عشر من هذا الشهر، وقد جاء ليودِّع العميد قبل سفره، ومكث معه نحو ساعة وجرى الحديث بينهما في مسائل مختلفة، وكان منها ما أشار إليه الأستاذ ثروت من أنَّ الدكتور منصور فهمي لم يكن من الناحية العلمية في مستوى ما أذيع عنه، قال العميد: هذا الصحيح، ثم روى طرفاً من ذكرياته عن الدكتور منصور[1].

[العميد يرى أن الدكتور منصور فهمي لم يكن على مستوى ما أذيع عنه]

الخميس ١٩٦٩/٤/١٧: ما كدت أصل إلى منزل العميد حتى وجدت هناك وزير الإسكان ومحافظ الجيزة وعدداً من المهندسين، والموظفين للنظر على الطبيعة في الشكوى التي كان العميد قد تقدم بها بخصوص رشح مجاري المنازل المجاورة وأثر ذلك على رامتان.

وفي نحو الساعة الحادية عشرة والنصف رأس العميد جلسة للجنة الترجمة التي عقدت في بيته.

الاثنين ١٩٦٩/٤/٢١: كان الأستاذ محمد التابعي الصحفي المعروف قد اتصل هاتفياً بالعميد بالأمس يطلب تحديد موعد للزيارة،

---

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»، ص٩١.

وردَّ عليه العميد بأنه يمكنه أن يحضر مساء الاثنين، ثم قال لي: ماذا يريد الأستاذ التابعي مني، إنني لا أذكر أني التقيت به مرة قبل الآن، وليست بيني وبينه صلة ما.

[الصحفي محمد التابعي يزور العميد ويحدّثه على انفراد والعميد يقول بعد انصرافه: «أعوذ بالله»]

وفي الموعد المضروب جاء الأستاذ التابعي، وكنت أراه لأول مرة، لقد دَلَف إلى حُجْرة المكتب بادي الإعياء زائغ النظرات، ولما جلس بجوار العميد قال: لست أدري كيف أبدأ قصتي، وتقدَّمت منه أقدم إليه سيجارة، فاعتذر لمرضه، ولأن الطبيب منعه من الإكثار من التدخين، وهمس الأستاذ التابعي في أذن العميد بكلمات مفادها أنه يريد أن يحدِّث العميد على انفراد، فتركت حجرة المكتب وجلست في الردهة نحو نصف ساعة، ووجدت العميد بعد انصراف الأستاذ التابعي يردِّد هذه العبارة «أعوذ بالله» وآثرت الصمت ولم أسأل العميد عن الأمر الذي ألجأ الأستاذ التابعي إلى الحضور.

الثلاثاء ١٩٦٩/٤/٢٢: اتصل العميد هاتفياً في صباح هذا اليوم بالأستاذ محمود أمين العالم رئيس مجلس إدارة الأخبار، وقال له: هناك مسألة إنسانية تتعلَّق بالأستاذ التابعي، فقد حضر أمس عندي، وحالته بؤس، ويرجو تقسيط ما عليه من ديون للأخبار، ولم أعرف ردَّ الأستاذ العالم، غير أن العميد ختم حديثه معه بقوله: أرجو أن تفعل ما تقدر عليه، وأحب أن أراك قبل سفري.

وما كاد العميد ينتهي من حديثه مع الأستاذ العالم حتى اتصل به هاتفياً الأستاذ التابعي، وقد طمأنه العميد بأن الأستاذ العالم وعد خيراً، وأن العميد سيحاول الاتصال بالأستاذ محمد حسنين هيكل في الأهرام.

الأربعاء ١٩٦٩/٤/٢٣: قال العميد للأستاذ هيكل في حديثه الهاتفي صباح اليوم: إن الأستاذ التابعي جاءني، وهو يشكو من آلام صحية كثيرة، وعليه ديون للأخبار، ويرجو أن تعمل له شيئاً. واستغرق ردُّ

[العميد يشفع لمحمد التابعي عند محمد حسنين هيكل]

الأستاذ هيكل على ما قاله العميد نحو عشر دقائق، كان العميد يردِّد في أثنائها: مش معقول، هذا غلط، يا سلام، ومع هذا طلب في النهاية من الأستاذ هيكل أن يعمل ما يقدر عليه.

[وهيكل يخبر العميد عن إسراف التابعي في صرف المال]

وبعد انتهاء الحديث قال العميد: تصوَّر أن الأستاذ التابعي ينفق على ابن له يبلغ الرابعة عشرة من عمره مبلغ ٦٥٠ جنيهاً في شهر واحد، فظننت أنه أنفقها في العلاج مثلاً، فقال: لا، أنفقها في العبث، إنه بهذا يقضي على ابنه، ثم إن الأستاذ هيكل قال لي: إنه كلَّم الرئيس جمال بخصوص الأستاذ التابعي فأعطاه الرئيس مرة خمسة آلاف جنيه ومرة أخرى ألفين، وأن الأستاذ التابعي يأخذ من الأهرام ٢٠٠ جنيه ومن رئاسة الجمهورية ٢٠٠ جنيه، ثم يشكو الآن من الأقساط والديون.

الثلاثاء ١٩٦٩/٤/٢٩: سعى إلى العميد في مساء هذا اليوم تلميذ من تلاميذه هو الدكتور فوزي البشبيشي الذي كان مدرساً بكلية آداب الإسكندرية ثم أُخرج منها سنة ١٩٥٤، وسافر إلى السعودية وعمل في جامعتها، ولكنها استغنت عنه أخيراً، وهو الآن دون عمل، وقد جاء إلى العميد ليحدِّث من يثق فيهم ليعود إلى الجامعة مرة أخرى وقد وعده الدكتور خيراً...

[صحفي من جزيرة موريس يزور العميد]

وفي نحو السابعة مساء جاء موظف بالجامعة العربية ومعه مواطن من جزيرة موريسن هو الأستاذ كازيناللي، وهو يزور القاهرة ضيفاً على الجامعة، وقد تحدَّث مع العميد بالفرنسية وقال لي العميد بعد انتهاء اللقاء: إن الأستاذ كازيناللي صحفي ويرأس تحرير جريدة في بلاده، ويبلغ سكان جزيرة موريسن نحو ثمانمئة ألف نسمة، منهم مئة وثلاثون ألفاً من المسلمين، ولهذا فهو يطلب من الجمهورية العربية المتحدة مدرِّسين ليعلموا المسلمين اللغة العربية والدين.

[الشيخ محمود أبو رية يزور العميد]

كذلك زار العميد الشيخ محمود أبو رية وقد تحدَّث معه حول كتابه «قصة الحديث النبوي» وذكر له أن الكتاب سيصدر بعد أيام،

وأنه طلب من الدكتورة سهير القلماوي أن تنشر كلمة العميد التي قالها عن الكتاب على غلافه الثاني.

الأربعاء ١٩٦٩/٤/٣٠: زار العميدَ مساءَ الأستاذُ طه النمر، وتحدَّث معه عن اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ونشاطها، ثم أشار الأستاذ النمر إلى ما نشر في الصحف عن ثورة ١٩١٩، وكيف أن هذا النشر يعدُّ تعبيراً عن التقدير لهؤلاء الرجال الذين كافحوا في سبيل الاستقلال، لقد كاد الناس يَنْسَون مصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، وعبد العزيز فهمي، وعبد الخالق ثَرْوَتْ، وقد علَّق العميد على هذا بقوله: إن عبد الخالق ثروت كان له ولد اسمه أحمد عمل سفيراً لمصر في باريس، وأذكر يوماً أني كنت في السفارة فعرض عليَّ السفير أحمد عبد الخالق أن يحملني بسيارته إلى بيتي، ولكني طلبت منه أن تبقى السيارة معي بعض الوقت لأني متوجِّه الآن إلى بعض الفنادق لتناول طعام الغداء مع أندريه جيد الذي دعوته للغداء معي، فقال السفير: السيارة تحت أمرك، ثم ضحك العميد وقال: إن أندريه جيد على الرغم من ثرائه لم يشتر لنفسه سيارة إلا بعد أن نال جائزة نوبل، لقد كان بخيلاً على نفسه ثرياً على غيره، فهو يرتاد المطاعم العادية، ويأكل أرخص الأطعمة، ولكني أعرف أنه كان ينفق على بعض المحتاجين، وأذكر مرة أنه دعا ابني مؤنس للغداء في أحد المطاعم، وبعد الانتهاء من تناول الطعام جاء عامل المطعم ليجمع الأطباق والصحون، فلما هم بجمع ما تبقى من العيش قال له جيد: ماذا تعمل، لا تأخذ العيش، ثم أخرج من جيبه منديلاً، ووضع فيه العيش وأخذه معه.

[العميد يتحدث عن «أندريه جيد»]

وأثار الأستاذ النمر موضوع الأدب الشعبي وأقاصيصه التاريخية، ويقول العميد حول هذا الموضوع: إن الفاطميين حين استقرُّوا بمصر بعد أن تركوا وراءهم عمالاً في تونس، تمرَّد هؤلاء على الفاطميين وأعلنوا استقلالهم عنهم، وفي ذلك الوقت نزحت قبيلة بني هلال من

[العميد يتحدث عن هجرة بني هلال إلى مصر ثم إلى تونس وينتقد ابن خلدون]

الجزيرة العربية إلى مصر، وقد شجَّع الفاطميون هذه القبيلة على الرحيل إلى تونس والإقامة بها والانتقام من الخارجين والمتمردين، ومدوهم بالمال والسلاح، وانطلق أبناء بني هلال نحو تونس، فدمَّروا وخرَّبوا، وكان من نتيجة هذا وقوع ابن خلدون في خطأ فاحش، إذ حكم على العرب بأنهم ما دخلوا بلداً إلا وأسرع الخراب إليه، فقد تأثر بما شاهد، ومع هذا أخطأ خطأً فاحشاً، وليس أدل على هذا من أن العرب الذين فتحوا بلاداً كثيرةً قد عمَّروا وأنشأوا حضارة رائعة.

وبعد هجوم بني هلال على تونس وضعت قصة أبي زيد الهلالي، وتفنن القصاص والشعراء في خلق أحداثها وأبطالها.

[العميد يتحدث عن استقالة الجنرال ديغول من رئاسه فرنسا، ودور اليهود في ذلك]

الخميس ١٩٦٩/٥/١: زارت العميد مساءً السيدة دَوْلَتْ أبيض وابنتها وزوجها، وكانت استقالة الجنرال ديجول الموضوع الأول في الحديث بين العميد وزواره، ومما قاله العميد: إذا تولى بومبيدو رئاسة الجمهورية فلن تتغير سياسة فرنسا نحو العرب، والذي لا شك فيه أن اليهود أنفقوا أموالاً طائلة لإقصاء ديجول من رئاسة فرنسا.

[السيدة دَوْلَت أبيض تشتكي للعميد محاولة إحسان عبد القدوس منع نشر مذكراتها]

ثم أخذت السيدة دَوْلَتْ تتحدث عن ذكرياتها في المسرح، ومنها أنها مثلت رواية للعميد على مسرح الأوبرا لاقت من الجميع تشجيعاً واستحساناً، وأردفت هذا بقولها: إنها أعَدَّت مذكراتها وقدَّمتها إلى دار الهلال لنشرها، ولكن سَعَى مَنْ سَعى للحيلولة دون ذلك، فقدمتها إلى آخر ساعة، فلم تنشر لأن من وقف ضدَّها في دار الهلال وقف ضدها في آخر ساعة، فقال العميد: من الذي وقف ضد نشر مذكراتك؟

وأجابت السيدة دَوْلَتْ: بصراحة، إنه إحسان عبد القدوس، فهو لا يريد أن تكون هناك ممثلة مرموقة أدت دوراً يستحق الخلود سوى روز اليوسف، ولهذا يقف ضد نشر مذكراتي، فقال العميد: أحضري هذه المذكرات وسأعمل على نشرها دون أن يكلفك ذلك شيئاً.

وشكرت السيدة دولت للعميد أريحيته متمنية له ولزوجه الصحة وطول العمر.

الأحد ١٩٦٩/٦/١: أخبرني العميد في صباح هذا اليوم أن فريداً يريد أن يعمل في صحيفة الأهرام، لقد ذهب إلى الأستاذ هيكل وطلب منه أن ييسِّر له عملاً، فما كان من الأستاذ هيكل إلا أن اتصل بالدكتور إبراهيم مَذكور، ورجاه أن يتصل بي ليعرف رأيي في هذا الموضوع، وقد أخبرت الدكتور مدكور بأني لن أقف في طريق فريد بحالٍ من الأحوال، وأن الأستاذ هيكل يمكنه أن يعيِّن فريداً في الأهرام.

وصمت العميد برهة ثم قال: ولكني لست أدري ماذا سيعمل فريد في الأهرام، إنه لا يعرف كيف يترجم لأنه لا يتقن الفرنسية ولا يجيد العربية.

[العميد يطلب أجزاء من تاريخ الطبري وشرح نهج البلاغة]

الثلاثاء ١٩٦٩/٦/٣: طلب منِّي العميد في صباح هذا اليوم أن أبحث له في المكتبة عن أجزاء من «تاريخ الطبري» تَعْرض للفترة التي بدأت بخلافة عثمان بن عفان إلى آخر الدولة الأموية ليقرأها في رحلته بإيطاليا، وذلك من أجل الإعداد للجزء الثالث من «الفتنة الكبرى»، وبعد أن أحضرت له الأجزاء المطلوبة قال لي: أريد كذلك «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ولما أخبرت العميد أن هذا الكتاب عشرون جزءاً في خمسة مجلدات قال: ضَعْ هذه الأجزاء على المكتب لتقرأها معي إن شاء الله بعد عودتي من إيطاليا.

الأحد ١٩٦٩/١٠/٢٦: كان لقائي بالعميد في هذا اليوم أول لقاء بعد أوبته من رحلته الصيفية، وقد تأخَّر نحو شهر لتأخر السفينة التي ركبها العميد في عودته.

وكانت حالة العميد الصحيَّة في هذا اليوم غير طيبة، وشكا لي من تعب شديد، وقال: إنه شعر بهذا التعب في إيطاليا، وقد زاره

طبيب إيطالي، مقابل عشرة آلاف ليرة إيطالية، وهذا المبلغ يعادل عشرة جنيهات مصرية، وهذا الطبيب ليس من الأطباء الممتازين، فالواحد من هؤلاء يأخذ أضعاف ذلك المبلغ.

وسألتُ العميدَ عما قرأ في رحلته من «تاريخ الطبري»، فقال: لم أقرأ شيئاً لأن ميخائيل ـ وهو السكرتير الذي رافق العميد في رحلته ـ لا يعرف كيف يقرأ العربية مع أنه متخرج في كلية التجارة كما يقول.

وكانت الصحف مهتمة بمشكلة الصراع بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية، وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين قد كتب كلمة في الأهرام عن هذا الصراع خلاصتها أننا نتلهَّى عن المشكلة حتى تقع، ثم نتصارع بوجوب حلِّها، وبعد قراءتها كان تعقيب العميد عليها: «لم يقل شيئاً».

[وصف تُفاح جمهورية قازاخستان ووجوه الفتيات هناك التي تشبه التفاح في مجلس العميد]

وكتب الأستاذ يوسف السباعي في ملحق الأخبار الأدبي كلمة عن رحلته في جمهورية قازاخستان السوفييتية تحت عنوان غريب هو «يا جابر في ألماآتا» وقد وصف في هذه الكلمة مدينة التفاح في هذه الجمهورية، فأشجار التفاح كثيرة تتناثر هنا وهناك، وثمرة التفاح تبلغ حجم البطيخة الصغيرة أو الرمانة الكبيرة، ووجوه الفتيات هناك كالتفاح مستديرة وجميلة، وهنا قال العميد: ـ وكان في فراشه، ويبدو من شدة ألم المرض كأنه في شبه غيبوبة ـ قال أبياتاً للشاعر العربي ابن ميَّادة فيما أشار إليه الأستاذ السباعي عن التفاح ومدينته الجميلة، ولم أتمكن من تسجيل هذه الأبيات، ولكن العميد كان وهو يعاني من آلام المرض ينشد أبياتاً حفظها في أيامه الباكرة لطلب العلم ولم يستطع الألم أو مرور السنين أن ينسي العميد ما وعته ذاكرته من نصوص وأخبار.

الأحد ١٩٦٩/١١/٢: قبل ذهابي إلى العميد تسلَّمت من الأستاذ محمد حامد مبلغ عشرة جنيهات لأنه لم يَهْتدِ إلى أحد في منظمة

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لدفعها إليه، وذلك أن المنظمة كانت قد أقامت حفلاً لصالحها، وكانت قد أرسلت للعميد رسالة وبطاقة دعوة لحضور هذه الحفلة وثمن البطاقة عشرة جنيهات، ووصلت الرسالة والبطاقة إلى بيت العميد في أثناء رحلته، فلما عاد ووجد البطاقة طلب من الأستاذ حامد توصيل هذا المبلغ إلى المنظمة على عنوانها المذكور في رسالتها، ولكن الأستاذ حامد لم يهتدِ إلى أحدٍ يدفع إليه المبلغ، فأعطاه لي لتوصيله إلى العميد غير أنه رجاني أن أحاول مرة أخرى دفع المبلغ إلى المنظمة.

[العميد يتحدث عن كتابه الأيام]

وقبل قراءة الصحف قرأت للعميد البريد، وكان منه رسالة من تلميذات إحدى المدارس يطلبنَ فيها شرحاً لبعض ما غمض عليهن في كتاب «الأيام» (الجزء الأول)، فقد كان مقرراً على طلبة الشهادة الإعدادية لهذا العام، واغتنمت هذه الفرصة وسألت العميد عن اليوم الذي يقصده في أول عبارة في كتابه، فقد اختلف المدرسون في تفسيره، فقال: هو اليوم الذي بدأت أخطو فيه من البيت إلى الشارع.

كذلك كان من بين البريد رسالة من موظف على المعاش يشكو من متاعبه المالية، ويشكو من أن أولاده لا يساعدونه بشيء، ويذكر بالشكر ما قدَّمه العميد له، وفحوى الرسالة أنه يريد من العميد مزيداً من المال، وقد قال بعد قراءتها: هذا الرجل قد أعطيته كثيراً ومع هذا لم أره، كل ما أعطيته له كان عن طريق البريد، كان يرسل إليَّ فأرد عليه بما أقدر.

وتلقَّى العميدُ في هذا اليوم برقية شكر من الرئيس عبد الناصر ردّاً على البرقية التي بعث بها العميد إليه يتمنى له فيها الشفاء وطول العمر.

وأخذنا بعد تلاوة الرسائل والبرقيات نقرأ صحف اليوم، وفي أثناء القراءة دقَّ جرس الهاتف، وكان المتحدث مذيعاً يطلب موعداً

[العميد يقول لبعض المذيعين هاتفياً: لم أرضَ عن عملٍ لي قط!!]

للقاء العميد، واعتذر إليه لأن ظروفه الصحية لا تساعده على تسجيل أي شيء، غير أن المذيع سأل العميد هاتفياً عن أفضل أعماله التي يرضى عنها، فأجابه: لم أرض عن عمل لي قط..

وما كاد ينتهي من هذه المحادثة الهاتفية حتى قال لي: إني أشعر بتعبٍ شديدٍ، فقلت: أهناك ما يؤلمك سوى الأمعاء؟، وذلك أن العميد كان يشكو دائماً من أمعائه والغازات التي تؤلمه كثيراً، وتمنعه من تناول طعامه بانتظام، قال: نعم أشعر بتعب في مجرى البول، وعندي ما يمكن أنْ يسمَّى سلس البول، فأنا أرغب في الذهاب إلى قضاء الحاجة كل فترة قصيرة، ثم صمت قليلاً، وقال: إن لمسألة سلس البول هذه قصة طريفة، وأخذ يروي ما يذكره علماء التاريخ والفقهاء من أنَّ الإمام أبا يوسف صاحب أبي حنيفة، كان في زمن الرشيد قاضياً للقضاة وكان يتمتع بحظوة لدى الخليفة، ويروى أنَّ الرشيد سمع عن الإمام محمد بن الحسن الشَّيْباني تلميذ أبي حنيفة وأبي يوسف وصاحبه أيضاً، وكان الإمام محمد صورة وضيئة للعالم الذي أخلص أشد الإخلاص في طلب العلم والتفرغ له والتأليف فيه، ولذلك يعد أول من دَوَّن الفقه الإسلامي على منهج علمي، كما يعد أول من كتب في العلاقات الدَّوْلية كتابة دقيقة وافية، ولذا يعد مؤسس القانون الدولي في العالم كله، المهم أن الرشيد طلب من قاضي قضاته رؤية الإمام الشَيْباني، فيروى أن أبا يوسف خاف من أن يميل الرشيد إلى صاحبه فيقرِّبه إليه، فأخبر الخليفة أن محمداً مريض بسلس البول، وأنه لا يستطيع الجلوس طويلاً، ثم أخبر أبو يوسف صاحبه بأن الرشيد رجل ملول، ولا يحب أن يمكث زائره كثيراً، وأنه إذا أشار إليه إشارة خاصة فعليه أن يستأذن ويخرج حتى لا يضيق الخليفة به.

[العميد يذكر قصته عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني لا تصح تاريخياً]

ويتم اللقاء بين الرشيد والإمام الشيباني كما يروي الرواة ويذكر هؤلاء أن الخليفة قال بعد أن استأذن الإمام محمد وخرج: «لولا ما به

لتجملنا به في مجلسنا»[1].

[العميد يشك في خطب منسوبة للإمام علي، موجودة في نهج البلاغة]

وشرعنا بعد ذلك نقرأ في كتاب «شرح نهج البلاغة» وعلَّق العميد على ما جاء في هذا الكتاب في خطب منسوبة للإمام علي بقوله: إن النصوص المنسوبة للإمام علي يغلب عليها طابع الصنعة، وما كان هذا الإمام يخطب إلا مرتجلاً كعادة العرب جميعاً، ولهذا أشك في أن تكون هذه الخطب كلها للإمام علي.

إنَّ في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطباً للإمام علي وهذه يمكن قبولها، أمَّا ما جاء في «شرح نهج البلاغة» من خطب منمَّقة فأشك في صحة نسبتها للإمام علي، ثم أليس من الغريب أن تكون الأحاديث النبوية قد رُويت بالمعنى، والمسلمون أحرص عليها من أي كلام آخر، ويقال بعد ذلك: إن هذه الخطب للإمام عليّ!!

[العميد يتحدث عن بعض كتبه الأثيرة عنده]

وفي مساء هذا اليوم سجل العميد للإذاعة المرئية بالقاهرة حلقة في برنامج كاتب وقصة، واشتملت على إجابة العميد عن بعض الأسئلة المختلفة، ومنه حديثه عن أدب الشباب وضعفه لأنهم لا يقرؤون، وإشارته إلى أنه لا يعدُّ نفسه عميد الأدب العربي الحديث، وأنه أُعجب بكاتب فرنسي عاش في القرن الماضي، ألف كتاباً تحت عنوان «على هامش الكتب القديمة»، فأراد أن يكتب كتاباً على غرار ما فعل الكاتب الفرنسي، فاختار السيرة النبوية مادة ليكتب على هامشها كتاباً يعد من أحب الكتب إلى نفسه، كما أن كتاب الوعد الحق حبيب إلى نفسه أيضاً، فقد كتبه عن هؤلاء الذين كافحوا مع الرسول ﷺ، والعميد يحب الصحابة جداً، وكذلك يحب العميد من

---

(١) هذه القصة التي ذكرها العميد عن الإمام أبي يوسف وصاحبه والتي رواها بعض المؤرخين عَرَضْتُ لها بالمناقشة والتحليل في رسالتي للدكتوراه عن الإمام الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي، وأثبت أنها غير صحيحة، وأن الإمام أبا يوسف كان أكبر من أن يكيد لصاحبه أو يحقد عليه.

كتبه «الشيخان» و«مرآة الإسلام». و«تجديد ذكرى أبي العلاء» باعتباره أول كتاب تحدث عن رهين المَحْبِسَين. . .

[العميد يرفض أن تذاع قصته «الحب الضائع» في شهر رمضان ويقول: إن هذه القصة لا أرضى عنها]

الثلاثاء ١٩٦٩/١١/٤: جاء إلى العميد بعض المذيعين الذين يعملون في إذاعة الشرق الأوسط للاتفاق معه حول إذاعة قصته «الحب الضائع» في شهر رمضان، وقال العميد لهم: ألم تجدوا غير هذه القصة لإذاعتها في شهر الصيام، أمامكم «مرآة الإسلام» أو «الوعد الحق» مثلاً، ثم إن هذه القصة لا أرضى عنها، أو بمعنى أصح لا أميل إليها، وقد كتبتها مسلسلة في مجلة «الراديو» قبل أن يصبح حكومياً.

وقد رغب المذيعون في أن يسجل العميد كلمة تكون مقدمة يومية لإذاعة الحلقات فرفض ذلك بشدَّة.

الأربعاء ١٩٦٩/١١/٥:: زار العميدَ مساءً شقيقُه المهندس عبد المجيد حسين وجرى الحديث بينهما في بعض المسائل العائلية، ومنها ابن شقيق العميد طه أحمد حسين يهدِّده بتقديم بلاغ للنيابة إذا لم يقم بتسليم كتب والده التي كان العميد قد أخذها، أو يدفع ثمنها، وقال العميد: إن أخاه الشيخ أحمد توفي وهو مدين له بأكثر من ١٥٠ جنيهاً، وأنه ـ أي العميد ـ دفع لشقيقه ثمن بعض الكتب التي أخذها منه، وقال المهندس عبد المجيد: سأتولَّى منع هذا الابن المُسْرِف من هذا التصرف السخيف، ثم عن فريد شحاتة وهل زار العميد أو اتصل به فقال العميد: لم يتصل بي فريد منذ تركني، فقال شقيقه: لقد ترككم فريد منذ أكثر من عام وأرجو أن أوفق في عودة الأمور بينكما إلى مجراها الطبيعي، وقال العميد: لا مانع لدي من رجوع فريد، ولكني أعتقد أنَّ الست لن توافق على عودته، إنها مسرورة من ميخائيل وهو مؤدَّب معها مع أنه لا يجيد القراءة بالعربية، وصمت العميد برهة ثم قال:

ومن المصادفات أن كل الذين عملوا معي كانوا مسيحيين:

أوّلهم الأستاذ صليب، ثم الأستاذ ألْبرت، ثم الدكتور توفيق شحاتة، وبعده فريد، وأخيراً ميخائيل الزيات (لم يستمر ميخائيل إلا نحو ستة أشهر)، ثم حلَّ محلَّه شقيقه روفائيل الزيات، ولم يستمر هو الآخر إلا بضعة أشهر، فعمل مع العميد الأستاذ أنطوان غزال، الذي كان موظفاً بالمجمع، وانتقل إلى وزارة التربية، ولكنه لم يستمر أيضاً، وجاء بعد ذلك الأستاذ بشري الذي بقي مع العميد إلى أن توفاه الله وتبلغ المدة التي عمل فيها نحو عام.

[العميد يذكر أن جميع الذين عملوا معه كانوا مسيحيين]

السبت ١٩٦٩/١١/٨: زار العميدَ صباحاً الدكتور محمد كامل حسين وقد تحدَّثا معاً عن مقالة الدكتور كامل عن الشعر العربي التي نشرها في مجلة المجلة، وقد أبدى العميد استحسانه للمقالة، وإن كان قد قال لي وأنا أقرؤها له: ما للدكتور كامل والحديث عن موسيقى الشعر العربي.

وقد امتد الحديث بين العميد وضيفه إلى شعراء العصر الجاهلي وصَدْر الإسلام، وأخذ العميد ينشد ما يحفظه لبعض هؤلاء الشعراء من قصائد.

وبعد أن خرج الدكتور كامل طلب مني العميد إحضار الجزء الأول من «الأيام» وقرأت له الصفحة الأولى منه، ثم أملَى كلمة قصيرة بعنوان «إجابة» ردّاً على الرسائل الكثيرة التي أرسلت إليه من تلاميذ الشهادة الإعدادية، وكلها تطلب تحديد المقصود باليوم الذي تحدث عنه العميد في أول الكتاب، وذلك لاختلاف الأساتذة في تفسيره، وقد نشرت هذه الكلمة في الأهرام يوم الاثنين الموافق ١٠/ ١٩٦٩/١١ وهي: تلقيت رسائل عديدة من بعض شبابنا الذين يدرسون في المدارس الإعدادية يسألونني فيها عن أول جملة من كتاب الأيام، ذكرت فيها يوماً لا أعرف اسمه، ووقتاً من هذا اليوم لم أحدِّدْه، وإنما تردَّدت في أمره أكان وقت الفجر أم وقت العشاء، وكثير من هؤلاء الشبان يقولون إن أساتذتهم لم يفسروا لهم هذا اليوم وأغرَوْهم بالكتابة

[العميد يجيب تلاميذ الشهادة الإعدادية عن سؤال أرسلوه له في أمر يتعلق بكتابه الأيام، وينتقد قصور الأساتذة]

إليَّ لأبينَ لهم أكان هذا اليوم يوم مولدي، أو يوماً آخر، مع أني بينت هذا اليوم في السطور الأولى من هذا الكتاب، وهو أول يوم خرجت فيه من الدار، ولم يكن هؤلاء الشبان في حاجة إلى أن يفسر لهم هذا اليوم، لأنه مذكور واضح كل الوضوح، والغريب أن بعض أساتذتهم أغروهم بسؤالي مع أنهم يستطيعون أن يبيِّنوا هذا اليوم إلا أن يمنعهم من ذلك كسل أو تقصير أو قصور، فليقرأ التلاميذ هذه الصفحة من هذا الكتاب، فسيجدون فيها جواب سؤالهم واضحاً جلياً، والله المستعان على استقامة التعليم في مدارسنا على اختلافها.

[العميد يوافق على إذاعة الجزء الأول من الأيام في مسلسلة إذاعية تقدم في شهر رمضان]

وفي مساء هذا اليوم جاء إلى العميد وَفْد من إذاعة الشعب للاتفاق معه حول إذاعة الجزء الأولى من الأيام في مسلسلة إذاعية تقدم في رمضان، ووافق العميد على هذا مقابل مكافأة مقدارها ٢٠٠ جنيه، ثم قال: لقد طبعت وزارة التربية من هذا الجزء ٢٨٥ ألف نسخة ودفعت لدار المعارف مئتي جنيه فقط، والغريب أن الوزراة كانت قد عَرَضَتْ عليَّ ثلاثمئة جنيه فرفضت وطلبت منها الاتصال بدار المعارف للاتفاق معها فهي المسؤولة عن نشر الكتاب، فكان أن دفعت أقلَّ مما عرض عليّ، ولو كنت أعرف الوزير ـ وكان الدكتور حافظ غانم ـ لكلمته في أن تحترم الوزارة حقوق المؤلفين، واستطرد العميد قائلاً: لقد كتبت الجزء الأول من الأيام وكذلك الجزء الثاني في ظروف متشابهة، واستغرقت كتابة الجزء الأول ستة أيام والثاني تسعة، وقد نشر الجزء الأول في مجلة الهلال، ثم جمعته بعد ذلك في كتاب، وكان من رأي صديقي المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي ألَّا أجمع ما كتبته في الهلال، لأنه لا يستحق أن يكون كتاباً، وقد طبع «الأيام» حتى الآن نحو أربعين طبعة عربية وترجم تقريباً إلى جميع لغات العالم.

[العميد ينتقد وزارة المعارف لأنها لا تحترم حقوق المؤلفين ويتحدث عن تأليفه لكتاب الأيام]

الأحد ١٩٦٩/١١/٩: كان الدكتور إبراهيم مَدْكور أمين المجمع ـ والرئيس الحالي له ـ قد سافر إلى دمشق للاشتراك في

[العميد يتحدث عن مجمع اللغة العربية بدمشق وعن الخصومة التي كانت بين محمد كرد علي وأحمد أمين]

احتفال مجمع دمشق اللغوي بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائه، وقد اتصل هاتفياً في صباح هذا اليوم بالعميد ليبلغه تحيات أعضاء مجمع دمشق وبخاصة الشاعر بدوي الجبل، وكان الأستاذ محمد رفعت عضو المجمع في زيارة العميد وقت اتصال الدكتور مذكور به، فقال: معنى هذا أن مجمع دمشق أقدم من مجمع القاهرة، فرد العميد: طبعاً، وكان أول رئيس لمجمع دمشق الأستاذ محمد كرد علي. فسألت العميد: هل صحيح أن محمد كرد علي كان له في أخريات أيامه رأي غير سليم في أدباء مصر؟ فقال لقد كانت بينه وبين المرحوم أحمد أمين خصومة عنيفة جداً، على أنه قد جاء إلى مصر وعمل محرراً في بعض مجلاتها، كما جاء أيضاً الشيخ عبد القادر المغربي، وعمل محرراً أيضاً، وقد اتصلت به وأنا طالب في الأزهر، وقدَّمني إلى الشيخ علي يوسف على أنني عالم من علماء الأزهر، ورحب بي الشيخ علي، فلما عرف أنني ما زلت طالباً لم يعد يهتم بي..

[العميد يقول للشيخ محمود أبو رية: أنا لا أملّ القراءة]

وفي مساء هذا اليوم زار العميد الشيخ محمود أبو رية، وقد سأل العميدُ الشيخَ عن الكتاب الذي يكتبه الآن فقال الشيخ: إن الصحة يا سيدي الدكتور لا تساعد على الكتابة وقد أصبحت لا أجد لدي رغبة في القراءة. وقال العميد: أنا لا أمل القراءة ولكن صحتي لا تساعدني على الكتابة.

الأحد ١٩٦٩/١١/١٦: شكا إليَّ العميد من ألم مفاجئ في رجله اليمنى وفي ظهره، فقلت له: ربما كان مصدره البرد، قال: يجوز، ثم طلب مني أن أتصل هاتفياً بالدكتور محمد كامل حسين - وهو طبيب عظام - ليعرف رأيه في سبب هذا الألم المفاجئ.

وكان في بريد العميد اليوم رسالة من عامل يقطن في المنصورة يطلب من العميد معاونته في بناء مسكن خاص حتى يستريح من دفع الإيجار في أول كل شهر، وضحك العميد وقال: يريد أن أعاونه في

بناء بيت، إن الناس يظنون أنني غني والحقيقة غير ذلك.

وكانت صحيفة الجمهورية الصادرة يوم السبت الموافق ١٥/١١/١٩٦٩، قد نشرت مقالاً بعنوان «ثمانون شمعة إلى جدنا طه حسين» للأستاذ أمير إسكندر، غير أن العميد لم يقرأ هذا المقال إلا في يوم الأحد، لتأخر وصول الصحيفة إليه، وأعجب العميد بهذه المقالة وطلب مني أن أخبر زوجه عنها، ومعنى هذا أن تحتفظ بها ضمن ما تحتفظ به من صور وأخبار ودراسات عن العميد.

ونشر ملحق الأخبار الأدبي مقالة اليوم تحت عنوان «أستاذي طه حسين، كل سنة وأنت طيب» للدكتورة سُهير القلماوي، وبعد قراءتها لم يعلّق العميد عليها، وهذا يعني أنها لم تقع من نفسه موقعاً حسناً، ولهذا لم يطلب مني أن أخبر زوجه عنها.

الأحد ١٩٦٩/١١/٢٣: قال لي العميد: معذرة فالألم الشديد يضطرني إلى مدِّ رجلي قليلاً، فقلت: لا عليك يا سيدي، وخذ راحتك، وكل ما أرجوه أن تُشفَى من هذا المرض لتحضر جلسة المجمع غداً حيث تجري الانتخابات المجمعية، فقال: غير معقول أن أستطيع الذهاب غداً إلى المجمع.

وكتب الأستاذ عبد الفتاح البارودي في الملحق الأدبي للأخبار مقالاً بعنوان «لماذا ننسى أن طه حسين هو رائد التفكير المسرحي» وبعد قراءة هذا المقال قال العميد: لو كنت أعرف عنوان هذا الكاتب لشكرته، إنه يكتب في ملحق الأخبار كل أسبوع، فقلت: يبدو أنه يعمل في الأخبار، قال: يجوز.

الأحد ١٩٦٩/١١/٣٠: اتصل بالعميد مساءً مُخرِج حلقات الأيام ورَجا العميدَ أن يسمع حَلْقة الليلة، فهي مصدَّرة بقصيدة للشاعر محمود حسن إسماعيل، ولما دنا موعد إذاعة الحلقة أحضرت زوجة العميد مذياعاً صغيراً، وسمع الدكتور قصيدة الأستاذ محمود، وعقَّب

عليها بأن هذه القصيدة قديمة وليست جيدة وقد قيلت حين كنت وزيراً، ولم تَرُقْ مقدمة الحلقة العميد لأنها كانت بأصوات جماعية تردد كلمة الأيام مصحوبة بموسيقى حزينة.

ثم قال العميد: لقد سرني أن تبعث إلي تلميذتان بمدرسة العباسية باقة ورد في عيد مولدي، كما أن الأستاذ عامر بحيري أرسل إلي قصيدة واستأذن في نشرها بالأهرام، وأنا لا أعرف عنوانه حتى أشكره، فقلت: إنه يعمل بوزارة الثقافة في المؤسسة التي تشرف عليها الدكتورة سهير القلماوي، فقال العميد: إني أعرف عامر بحيري منذ كان طالباً في كلية الآداب، كان يقول الشعر وهو طالب، فأرجو أن تعرف عنوانه بالضبط حتى أشكره، كما أرجو أن تعرف لي عنوان الدكتور عبد الحميد حسن لأنه أرسل إليَّ باسم اتحاد طلاب جامعة القاهرة باقة ورد رائعة.

[العميد يرأس جلسة مجمع اللغة العربية]

الاثنين أول ديسمبر سنة ١٩٦٩: رأس العميد جلسة المجمع في هذا اليوم وقد استهلها بقوله: أيها السادة: معذرة إليكم لتخلُّفي شهرين كاملين عن جلساتكم، وأؤكد لكم أني حزنت حزناً عميقاً على هذا التخلُّف، ولم أفعله إلا مضطراً إليه، وأؤكد لكم أيضاً أني اليوم قد احتجت إلى جهد غير قليل لأحضر هذه الجلسة، فمعذرة ومعذرة ومعذرة، وأسأل الله أن يبارك لنا في هذه الدورة كما بارك لنا في سابقاتها إن شاء الله.

ثم طلب العميد بعد ذلك من الأعضاء إبداء ملاحظاتهم على محضر الجلسة السابقة للتصديق عليه، وقد جرى حوار بين الشيخ عبد الرحمٰن تاج والدكتور أحمد عمار، واشترك في هذا الحوار الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور كامل حسين والدكتور طه، وكان حول تفسير بعض المفردات اللغوية ومدى صحتها، وقد ثار الدكتور أحمد عمار لأنه رأى أن الشيخ تاج يُجَهِّله، وهنا قال العميد موجهاً الكلام إلى الدكتور عمار: يا دكتور لم أرك غاضباً مثل الآن.

الثلاثاء ١٩٦٩/١٢/٢: نشرت مجلة الطليعة في عددها لهذا الشهر مقالاً بعنوان «طه حسين، ثمانون عاماً على الطريق» وقد أعجب العميد به وقال: يجب أن أشكر الأستاذ لطفي الخولي رئيس التحرير الذي كتب هذا المقال.

وفي المساء زار العميد وفد من الأدباء مكون من الأساتذة: يوسف السباعي، وعبد الرحمٰن الشرقاوي، وأنيس منصور، وثروت أباظة، وعبد العزيز الدسوقي...

وقال العميد في مستهل هذا اللقاء: أشكر الأستاذ أنيس منصور على هذه الزيارة، وإن كنت لا أرضى على ما كتبه في الأخبار عني، فقال الأستاذ أنيس: لم أكتب شيئاً، وقد تحدثت عنك مرتين في الإذاعة بمناسبة ذكرى ميلادك، وردَّ العميد قائلاً: كنت أعتقد أنك خاصمتني منذ هاجمتُ العقاد، مع أن الذي قلته سأقوله مرة أخرى، لقد كنت أفهم عمر وعبقريته قبل أن يؤلف العقاد كتابه، ولكني لم أفهم ما كتبه العقاد، وقال الأستاذ أنيس: أنا معترف بأني تلميذك، وأنت أستاذ الجميع والخلاف بيني وبينكم في أمر لا يجعلني أتنكر لكم أو أسيء إليكم.

[العميد في جلسة مع وفد من الأدباء: لم أفهم ما كتبه العقاد في عبقرية عمر]

وصمت الجميع، وأومأ إلي الأستاذ أنيس، فقمت إليه وهمست في أذنه: أتذكر ما قلته بعد الندوة الإذاعية المرئية تحت عنوان: «لا هو ولا نحن قلنا كل شيء» في أخبار الأدب في صحيفة الأخبار، إن ما كتبته آلم العميد جداً.

ويسأل الأستاذ عبد العزيز الدسوقي: ما رأي العميد فيما نشر عن الأستاذ نجيب محفوظ، وأنه اقتبس بعض قصصه ميرامار من أدباء آخرين؟ ويجيب العميد: إن نجيب محفوظ كاتب جيد وبخاصة في الثلاثية، ولكن لم تعجبني «ميرامار» ولا «اللص والكلاب» وغير هذا من القصص التي نشرت له مسلسلة، ثم سكت لحظة وقال: أما أنا

[نجيب محفوظ كاتب جيد لا سيما في الثلاثية]

[اعتمدت على الخيال في كتاب على هامش السيرة، إلا فيما يتعلق بالرسول ﷺ]

فقد اخترت عنوان على «هامش السيرة» من كاتب فرنسي اسمه «جيل لوميتر» فهو قد أصدر كتاباً بعنوان «على هامش الكتب القديمة» وقد أعجبتني طريقته، وقد اعترض كثيرون على هذه التسمية، ولكني أصدرت على «هامش السيرة» في ثلاثة أجزاء، وكنت أظن في أول الأمر أنها سوف تصدر في جزء واحد، وقد اعتمدت على الخيال في هذا الكتاب إلا فيما يتعلق بالرسول عليه السلام.

[يوجه نقداً ليوسف السباعي لأنه يكتب بالعامية]

ووجه العميد الحديث إلى الأستاذ يوسف السباعي: أنا أقرأ في هذه الأيام قصتك «نحن لا نزرع الشوك» وهي قصة طيبة، ولكني أعتب عليك لأنك تكتب بالعامية كثيراً.

ورد الأستاذ يوسف: إن جو القصة وأبطالها تفرض أن يكون الحوار بالعامية.

[يصرح باسم الشخصية التي تحدث عنها في كتابه: أديب]

وسأل الأستاذ عبد العزيز عن الشخصية التي يتحدث عنها العميد في كتابه أديب، فقال العميد: إن هذه الشخصية هي شخصية الأستاذ جلال شعيب، وكان مبعوثاً في باريس غير أنه أصيب بمرض عقلي فكان يسيء التصرف، مما حملني على الاتصال بسعد زغلول، وكان مراقباً للجامعة الأهلية، وشرحت له حالته ورجوته في استدعائه، وتم نقله إلى مصر، ثم توفي بعد ذلك.

[يتحدث عن الجامعة الأهلية ويخطِّئ نفسه في الهجوم على المنفلوطي]

وكان الحديث عن الجامعة الأهلية وذكريات طلب العلم فيها مدخلاً للحديث عن الصراع الفكري الذي خاضه العميد وهو ما زال في مرحلة الدراسة، وقد قال عن نقده للمنفلوطي: لم أخجل من شيء في كل ما كتبتُ قَدْر خجلي من هجومي على المرحوم المنفلوطي، فالذي كتبته عنه كلام فارغ، فقد كان همي أن أعثر بين ما يكتبه المنفلوطي على كلمة خطأ سواء أكان هذا الخطأ نحوياً أم لغوياً، وكنت أعتمد في هذا على قاموس واحد، وكان هذا خطأ مني، ولذلك فأنا أخجل مما كتبته عن المنفلوطي.

[ينتقد مسرح الجيب ويقول عنه إنه كلام فارغ]

وسئل العميد عن «مسرح الجيب» فقال: إنه كلام فارغ، وإنَّ ما يكتبه الأستاذ الحكيم لهذا المسرح لا يعجبني، لأنه لا يقدم فرضاً فلسفياً كما يفعل يونسكو أو بيكت الفائز بجائزة نوبل هذا العام.

[يتحدث عن سبب حبه لأبي العلاء]

وعن سبب حبِّ العميد لأبي العلاء المعرِّي يقول: إنه اكتشف حبه الشديد لأبي العلاء عندما أقام فترة طويلة بإيطاليا، ولو كان أبو العلاء يعرف مزايا السفر لتغيَّرت نظرته إلى الحياة، ولما كان متشائماً، وقال عن نفسه: إنه سجين ثلاث مرات، فهو أعمى سجين الظلام، وهو سجين البيت، ثم إن روحه سجينة في جسمه، وأذكر أني قرأت للمعرِّي أنه يعتقد أن الله قادر على أن يخلق أناساً يمشون على رؤوسهم ويجرون بأيديهم ويسمعون بعيونهم، وهي صورة مدهشة، وقد رأيت هذه الصورة في أدب رابليه، ورابليه قد أخذها من الطبيب جالينوس، ولا بدَّ أن المعري قد نقلها أيضاً عن جالينوس.

[ينتقد المتنبي بشدة]

وسئل العميد عن المتنبي فقال: إنه شاعر نصَّاب وقد مات ضحية غروره، فقد زعم أنه شجاع وبطل، وقد قتل دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه.

[لا يعجبه أحمد شوقي]

وكان السؤال الأخير عن موقف العميد من الشاعر أحمد شوقي فقال: لا يعجبني شوقي، ومن المضحك أن يتزوج ابني مؤنس حفيدته، ولو كان شوقي حياً لرفض هذا الزواج.

الخميس ١٩٦٩/١٢/٤: كانت صحةُ العميد في هذا اليوم طيِّبة، وكان يكثر من التعقيب على ما جاء في كتاب «شرح نهج البلاغة»،

[العميد يثني على الصحابي ابن مسعود]

ومما قاله عن عبد الله بن مسعود: إن ابن مسعود صحابي جليل وفقيه عظيم، وله قراءة خاصة عُرف بها، ومن قراءته التي أخذ بها الإمام أبو حنيفة ﴿فصيام ثلاثة أيام متتابعات﴾ بزيادة متتابعات على القراءة

المشهورة، ولهذا يرى الأحناف وجوب تتابع الصيام في كفارة اليمين؛ أخذاً بهذه القراءة.

ثم قال العميد: إني كنت أميل إلى قراءة لا أدري أهي صحيحة أم لا وهي ﴿سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ بسكون الميم بدلاً من ضمِّها، فقلت: ولماذا تميل إلى هذه القراءة؟ فأجاب العميد: لأن فيها تأكيداً لما رآه ابن نوح من أن الجبل سينقذه من الغرق حسب ظنه، على أنَّ هذا الابن لم يكن ابناً حقيقياً لنوح، فالله يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، وقال عن امرأة نوح ولوط بأنهما ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم: ١٠] فامرأة نوح قد خانت زوجها فلم يكن هذا الابن من صلب نوح، فقلت: إن بعض المفسرين يذهبون إلى أن في هذا ما يؤكد أن صلة العقيدة فوق صلة القُرْبى والنسب، لأن هذا الابن لما لم يؤمن بدعوة أبيه فكأنه ليس ابناً له، فقال العميد: هذا غير صحيح، وأذكر أني كنت أقول لأخي المرحوم الشيخ أحمد حسين في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، إنه عمَل غير صالح، وكان والدي رحمه الله يصلِّي وأنا أقول لأخي هذا، فلما انتهى من صلاته قال لي: يا كلب يابن الكلب ما عَدْشِ إلا القرآن تقول فيه هذا الكلام الفارغ.

[العميد يتحدث عن ابن نوح عليه السلام، ويرى أنه ليس ابناً له]

[والد العميد يشتمه ويتهمه بأنه يقول في القرآن كلاماً فارغاً]

وجاءت إشارة في «شرح نهج البلاغة» إلى مقتل الخليفة عمر بن الخطاب، فعلَّق عليها العميد قائلاً: أعتقد أن اليهود قتلوا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وأن كعب الأحبار وابن سبأ كانا على رأس المؤامرة التي سَعَت لقتل الخليفتين.

[العميد يتهم اليهود بقتل عمر وعثمان ويذكر اسمي: كعب الأحبار وابن سبأ]

السبت ١٩٦٩/١٢/٦: تلقَّى العميد برقية من الأدباء الشبَّان بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الأول فيما يلي نصها:

السيد الدكتور طه حسين. . . .

الأدباء الشبَّان في ليلة افتتاح مؤتمرهم الأول بمدينة الزقازيق يسعدهم أن يتوجهوا بقلوبهم إعزازاً وحباً ووفاء إلى رائدهم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، قائد حركة التجديد لأكثر من ربع قرن بمناسبة بلوغه الثمانين.

وتمنياتنا بالصحة والسعادة والتوفيق.

أمين مساعد المؤتمر

دكتور علي الراعي

وقد ردَّ عليهم العميد بالبرقية التالية:

مؤتمر الأدباء الشبان ـ الزقازيق.

أزكى التحية وأعمق الشكر مع تمني النجاح والتوفيق لمؤتمركم.

طه حسين

وفي مساء هذا اليوم زار العميد الأستاذ فتحي نوفل وكيل دار الآداب البيروتية بالقاهرة، وكان يحمل معه نسخة من كتاب «مذكرات طه حسين» الذي نشرته دار الآداب، وكان العميد قد طلب هذه النسخة لتقديمها إلى إذاعة الشعب لإذاعتها في شهر رمضان، وقد حضر مخرج حلقات الأيام وتسلَّم هذه النسخة لإعدادها للإذاعة، ولكن العميد قال له: أرجو أن تحذف عنوانات الفصول، فهي ليست من وضعي، وإنما وضعها الدكتور سهيل إدريس، وسوف أنشر هذه المذكرات على أنها الجزء الثالث من الأيام بنفس الصورة التي نشر بها الجزء الأول والثاني.

١٩٦٩/١٢/٩: كتب الأستاذ أنيس منصور في زاوية «مواقف» بصحيفة الأخبار الكلمة التالية:

شاركت في الاحتفال بعيد ميلاد طه حسين الثمانين في إذاعة الشعب، وقال لي المذيع: إنَّ الدكتور طه حسين سأل عنك وقال: إنه يتوقع أن تشتمه.

[أنيس منصور يكتب بمناسبة الاحتفال بميلاد العميد الثمانين، ويتعرض لخلافه مع العميد بشأن العقاد]

وتضايقتُ جداً من هذا التوقُّع المؤلم من أستاذنا العظيم طه حسين.

وجاءني مذيع آخر يطلب مني أن أذيع كلمة عن الأيام التي تذاع كل أيام رمضان، وقلت كلمة حق في هذا العمل الفني الجميل، وفاجأني المذيع ـ هو أيضاً ـ بقوله: ولكنك قلت عبارات منصفة، إنه لم يكن يتوقع ذلك.

وعندما اقترح يوسف السباعي أن نذهب معاً لتهنئة طه حسين بعيد ميلاده، وافقت واتجهنا إليه معاً، وكان طه حسين جالساً في مقعده، هادئاً، ومددنا أيدَينا وصافحَنا وهنأنا، وبصوته الجميل ردَّ التهنئة، ولم ألحظ شيئاً على وجهه أو على صوته، ولم أجد في يده تردداً أو رفضاً، وقد بدأنا الحديث معاً، وكان الحديث خيطاً مقطوعاً، أو كالمقطوع، وحاول كل منا أن يربط طرفي الحديث أو يبعده، وأحسستُ أنني «مِقَصُّ» الجلسة، وأنني الذي قطعت الحديث بمجرد دخولي، ولكن طه حسين كان أسبق مني فقال: لم أكن أتوقع أن أراك، وما دمتَ قد جئت فأنا أشكرك وسعيد بك، أنت خاصمتني منذ قلت عن «عبقرية عمر» للعقاد إنها غير مفهومة.

وأنقذني طه حسين من الصَّمْت والحَرَج، وأحسستُ أنَّ خَيْط الحديث قد اتصلت أطرافه، وأن هذا الخيط من الاتساع ومن المتانة بحيث أستطيع أن أقف عليه وأقطع المسافة التي بيني وبينه، فقلت في ثقة من يقف على كوبري مثل كوبري الجامعة: يا سيدي العزيز، إنني اختلفت معك في رأي، اختلفت معك ولم أختلف عليك، إنه مجرد رأي.

ولكن طه حسين العميد العتيد قد واجه هذا الإصرار من جانبي بإصرار شديد من جانبه هو، فقال: إنني أصرُّ على أنني كنت أفهم عمر قبل أن أقرأ ما كتب العقاد، فلما قرأت العقاد لم أفهم عمر.

وطه حسين أستاذنا قديماً وحديثاً، وهذا هو درس من دروس التمسك بالرأي والإصرار عليه، وانتهزت هذه الفرصة لأؤكد له أيضاً أنني تلميذه، بل تلميذ تلامذته، وتمسكت برأيي ولم أضحِّ بهذا الرأي أو هذا الموقف من أجل المناسبة السعيدة عيد ميلاده الثمانين.

وفي آخر لحظة من الجلسة الممتعة مع طه حسين مددتُ يدي إلى الرجل أبحث فيها عن كلمة وداع واعتذار في نفس الوقت، وكان طه حسين أسرع وأبرع قلت له: سأراك إن شاء الله في العام القادم في صحة وراحة بال، وقال طه حسين: بل يسعدني أن أراك قبل ذلك بكثير.

وأحسست أنَّ خَيْط الكلام قد تحوَّل إلى شريان تجري فيه دماء جديدة وروح جديدة، إن طه حسين إذا كان يتمسك برأيه فهو لا يتخلى عن صاحب الرأي الذي يخالفه، أو كما قال شوقي ـ الذي لا يحبه طه حسين ـ اختلاف الرأي لا يفسدُ للودِّ قضيَّة.

انيس منصور

ولم يعلق العميد على هذه الكلمة بشيء.

الجمعة ١٩٦٩/١٢/١١: جاء إلى العميد في مساء هذا اليوم الأستاذ محمود عوض لسؤاله عن قضية كتابه «في الشعر الجاهلي»، وما أثارته من مشكلات شغلت الرأي العام والحكومة والبرلمان والملك والسفير البريطاني. فقد تعرَّض العميد في هذا الكتاب للشعر الجاهلي، ومدى صحته، وهل ما بأيدينا منه جاهلي فعلاً أو أنه منحول، فهو يمثل العصر الإسلامي أكثر مما يعكس حياة المجتمع الجاهلي، ومن ثَمَّ يجب علينا ألَّا نسلِّم بكل ما قاله القدماء عن هذا الشعر، وأن نفتح باب الاجتهاد في الأدب كما نفتحه في الفقه وعلم الكلام.

ومع أنَّ هذه القضية، قضية انتحال الشعر الجاهلي قد أومأ إليها بعض القدماء، وليست خطيرة إلى درجة أن يُتَّهم العميد بسببها بالكفر

[العميد يتحدث إلى الأستاذ محمود عوض عن قصة كتاب مع الشعر الجاهلي ومحاكمته على أنه أنكر وجود إبراهيم وإسماعيل ﷺ]

والزندقة، ووجوب طرده من الجامعة، ولكن النقطة الخطيرة التي جاءت في ذلك الكتاب كانت عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل، فقد قال العميد: إن القرآن والتوراة تحدَّثا عن إبراهيم وإسماعيل ولكن العلم لم يثبت وجودهما، وسألت العميد: ماذا تعني بأن العلم لم يثبت وجودهما؟ قال: أقصد أنه ليست هناك آثار ولا حفريات تدل على وجودهما.

هذه النقطة هي التي أثارت الرأي العام وبخاصة رجال الأزهر، إذ ظنوا أن العميد ينكر وجود إبراهيم وإسماعيل، وأنَّ ما جاء عنهما في التوراة والقرآن أسطورة، ولكن العميد ـ على حدِّ قوله ـ يعرض قضية ولا ينكر وجودهما، ولذلك تقدَّم عدد من المواطنين ببلاغات للنيابة العامة تطلب محاكمة الدكتور طه حسين، وتطور الأمر إلى نقاش في البرلمان، وتهديد للحكومة بالسقوط، وكان العميد في أثناء ذلك غير موجود بالقاهرة، إذ كان في رحلته الصيفية، فأبرق إليه بعض أصدقائه بما يجري، وعاد ليصدر بياناً يعلن فيه أنه لم يقصد بما كتبه إهانة القرآن الكريم، وأنه مسلم مؤمن.

ومع هذا كثر اللَّغَط، وتعددت الاتهامات، ونظرت النيابة في القضية، وخلصت من تحقيقها إلى براءة العميد مما نسب إليه، فقد قال لي: إنَّ السبب في حفظ قضية الشعر الجاهلي أن ما اتهمتُ به من أني أنكر أخبار القرآن، إن قاضي المحكمة لم يجد فيما كتبت ما يدل على إنكاري لأخبار القرآن، وكل ما هناك أني أعرض قضية من وجهة نظر النصوص المقدَّسة والعلم.

وطلب من العميد أن يحذف بعض ما جاء في كتابه عن القرآن، وحذف العميد بعض أجزاء من كتابه، وطبعه طبعة جديدة تحت عنوان جديد هو «في الأدب الجاهلي».

ولكن الأزمة لم تنته، والملك فؤاد لم يكن راضياً عن نتيجة

التحقيق، وهو الذي كان من وراء تحريك بعض الطوائف وبخاصة رجال الأزهر، وقد حانت الفرصة بعد طلب الحكومة من كلية الآداب[1] وكان عميدها الدكتور طه حسين منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية، ورفض العميد هذا الطلب، ثم كانت زيارة الملك فؤاد لهذه الكلية، وعدم هتاف الطلبة له، ونقل العميد من الجامعة إلى وزارة المعارف ورفضه هذا النقل، فقد قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٣٢ فصل الأستاذ طه حسين أفندي الموظف بوزارة المعارف العمومية من خدمة الحكومة.

عن هذه القضية دار حوار بين العميد والأستاذ محمود عوض. وقد نشر هذا الحوار تحت عنوان «أيام سقطتْ من الأيام» وذلك في «مجلة آخر ساعة» وضحك العميد حين قرأت له ذلك العنوان وقال: إن كتاب الأيام لم يصل إلى هذه المرحلة من حياتي حتى يمكن أن يقال: إن هناك أياماً سقطت من الأيام.

الأحد ١٩٦٩/١٢/٢١: لم يكن العميد في صباح هذا اليوم يشعر بمرض أو ألم، وكنا نجلس في شرفة حجرة نومه نقرأ الصحف، ولكنّي لاحظتُ بعد فترة أنه يُهَمْهِمُ بكلمات، فأدركت أنَّه على وشك أن يُغْمى عليه، فطلبت بعض الخدم وعاونني في نقل العميد إلى فراشه، وأُسعف ببعض الأدوية، وجاءت زوجه، فطلبت منِّي أن أنزل إلى المكتب لبضع دقائق، وما كدتُ أجلس في حجرة المكتب حتى دقَّ الجرس الخاص بي فأسرعتُ بالصعود، والواقع أن زوجة العميد كانت تطلب بعض الخدم، فأخطأتْ ودقَّتْ الجرس ثلاث مرات وهو علامة على طلب السكرتير، وذلك لأني حين طرقت باب الحجرة مستأذناً في الدخول، سُمح لي، غير أني فوجئت بالعميد بملابسه الداخلية فقط، جالساً على أرضية الحجرة مادّاً رجليه أمامه ومستنداً

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»، ص٧٢.

إلى السرير، وزوجه تحاول أن تحمله إلى السرير وهو لا يقوَى على مساعدتها في الوقوف على قدميه، ولما فوجئتْ بي الزوجةُ لم تتردَّدْ في أن أعاونها في حمل العميد إلى فراشه، ثم تركتُ الحجرة بعض الوقت، وبعد عودتي اعتذر لي العميد مما حدث، وطلب مني أن أتصل بطبيبه الدكتور المحلاوي.

وفي المساء كان العميد ما زال يعاني ممّا به، وكان نائماً في فراشه، وقد قال لي: ليس لي بَخْت، لقد كنت عازماً على الحضور إلى المجمع غداً، ولكن لا حيلة فقد وقعتُ بعد انصرافك على أحد الكراسي في الحجرة، وسبّب لي هذا ألماً شديداً في ضلوعي، وتمنيت للعميد الشفاء العاجل والصحة التامة، ثم أخذت أقرأ في كتاب «شرح نهج البلاغة».

الاثنين ١٩٧٠/١/٥: رأس العميد في هذا اليوم جلسة المجمع اللغوي، ولم يستطع أن يصعدَ سُلَّم المجمع، فحُمل على كرسي من أمام الباب الخارجي إلى حجرة الاجتماعات، وكان العميد لا يستطيع كذلك صعود سلم بيته إلى الطابق الثاني، فكان يحمل إلى حجرة نومه، وقد فكر في شراء مصعد ولكنه عدل عن هذا لارتفاع ثمنه.

وفي المساء زاره شخصان هما: الأستاذ وحيد جبوري من سوريا، والأستاذ إسكندر شحاتة شقيق فريد شحاتة وهو مهاجر في كندا، وبعد خروجهما بقليل أُغمي على العميد، وعاونني أحد الخدم في حمله إلى السرير، ثم قال لي: إن الذين أتوا الليلة قد أكثروا من الكلام بصورة سببت لي تعباً.

الثلاثاء ١٩٧٠/١/٦: طلب مني العميد ونحن نجلس في شرفة حجرة نومه نقرأ الصحف أن أُخرج له من حافظة نقوده الصغيرة مبلغ ٢٥ جنيهاً، وكان العميد يحمل حافظتين: إحداهما كبيرة، والأخرى صغيرة، ونبّه عليَّ ألا تراني زوجه وأنا أضع يدي في جيبه وأخرج

النقود، وما كدت أعيد حافظة العميد إلى جيبه، والنقود ما زالت في يدي حتى قدمتْ علينا زوجة العميد فهمس إلي: خلِّ الفلوس معاك، وبعد قليل ذهبت الزوجة وحين تأكدت أنها هبطت إلى الطابق الأول قال العميد: هاتِ الفلوس التي معك، فأعطيتها له فدسَّها في جيب سرواله، ولم أسأله عن الجهة التي ستذهب إليه هذه النقود، كما أنه لم يقل شيئاً.

[العميد يرى أن أصحاب الأخدود هم القرشيون الذين عذَّبوا أصحاب رسول الله]

الأربعاء ١٩٧٠/١/٧: جاء خبر في كتاب «شرح نهج البلاغة» يتصل بالمؤمنين الذين عُذِّبوا في صدر الإسلام فقال العميد: هناك آية وهي ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ هذه الآية يجمع المفسرون على أنها خاصة باليهود الذين اضطهدوا السيد المسيح، وأنا أخالفهم في هذا وأرى أنَّ أصحاب الأخدود هم القرشيون الذين عذَّبوا المؤمنين وأكرهوهم على ذم الرسول، كما حدث مع عمار فقد أكره وعُذِّب حتى ذم الرسول استجابة لرغبة المشركين، وحين ذهب إلى الرسول كان بادي الحزن لما حدث منه، وقصَّ على الرسول ما كان منه فطمأنه إلى أن هذا الذي قاله لا شيء فيه، لأنه مُكْرَه وأنزل الله في هذا: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

الاثنين ١٩٧٠/١/٢٦: كان الدكتور سهيل إدريس صاحب دار الآداب قد نشر للعميد كتاب «مذكرات طه حسين»، كما نشر له في مجلد واحد ما كتبه العميد عن الإسلام والمسلمين تحت عنوان «إسلاميات طه حسين»، ولكن نسي أن ينشر كتاب «الشيخين»، وقد تبقَّى لدى الدكتور سهيل للعميد مبلغ ٥٠٠ جنيه، وحمل هذا المبلغ إليه مساء الأستاذ فتحي نوفل، ولما طلب هذا إيصالاً بتسلم المبلغ أملى عليَّ العميد العبارات التالية:

تسلَّمت المبلغ الأخير من حسابي عند الدكتور سهيل إدريس مع الشكر». ولما رغب الأستاذ نوفل في أن ينص على المبلغ رفض

العميد بسبب الضرائب قائلاً: إنَّ الضرائب في العام الماضي أخذت مني ١٨٠٠ جنيه.

الأحد أول فبراير سنة ١٩٧٠: كان العميد قد طلب معرفة رصيد حسابه في المصرف، وحين أخبرته أنَّ هذا الرصيد يبلغ ٥٢٥٩ جنيهاً لم يعقِّب بشيء، غير أنه طلب مني الاتصال بالأستاذ عادل الغضبان في دار المعارف للحديث معه حول رغبة الدكتورة سهير القلماوي ـ وكانت تتولى إدارة المؤسسة العامة للنشر ـ في نشر ما ترجمه العميد من مسرحيات سوفكليس، وذلك لأن حقوق إعادة الطبع لدار المعارف.

وزار العميد مساءً الدكتور مختار الوكيل مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية والأستاذ رشاد عبد المطلب، ودار الحديث حول انفصال المعهد من حيث إدارته وميزانيته عن الأمانة العامة، وأن يُمكَّن من أداء رسالته على الوجه الأكمل في حفظ التراث العربي وجمعه من المكتبات في الداخل والخارج، وقد عرضا على العميد مذكرة بذلك، عدَّل فيها بعض النقاط، ثم وعد بالاتصال بالأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة للحديث معه في هذا الموضوع.

الأحد ١٩٧٠/٢/٨: زار العميد في صباح هذا اليوم الأستاذ عبد العزيز أحمد، وتناول الحديث بينهما الأستاذ ميخائيل السكرتير الخاص للعميد، فقال: إني لم أوفق في اختيار سكرتير لي، وقال الأستاذ عبد العزيز: لماذا؟ وأجاب العميد: إن ميخائيل لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع أن يقرأ الصحف بصورة سليمة، فقال الأستاذ عبد العزيز: ما دامت الست موافقة عليه فلا شك أنَّ رضاها سينعكس عليك، ورد العميد في انفعال: ما قيمة الحياة بالنسبة لي إذن!! إنني لا أكتب هذه الأيام، فإذا لم أقرأ فلا معنى لحياتي، إنني أحياناً أقضي اليوم كلَّه صباحاً ومساءً دون أن أنتهي من قراءة الصحف، فميخائيل لا يحسن القراءة ويضيع الوقت فيما لا يجدي من الكلام والأسئلة.

[العميد يتحدث عن أهمية القراءة والكتابة في حياته]

وفي المساء قال لي العميد: لا داعي لحضورك صباح الغد فسآتي لحضور جلسة المجمع ويمكن أن تنتظرني أمام باب المجمع، فقلت: لقد جرت العادة أن المجمع لا يجتمع أول اثنين بعد انتهاء المؤتمر السنوي، فردَّ العميد: لقد عرضت على الأعضاء في جلسة من جلسات المؤتمر عدم الأخذ بهذه السُّنَّة فوافق الأعضاء.

[العميد يعتب على تلامذته لتقصيرهم في زيارته]

الثلاثاء ١٩٧٠/٢/١٠: رأس العميد في بيته صباح اليوم لجنة الجوائز الأدبية، وكان أول الحاضرين الدكتور عبد العزيز الأهواني، ثم تلاه الأستاذ زكي المهندس، وقد سأل العميد الأستاذ عبد العزيز عن سبب غيابه عنه مدة طويلة، فاعتذر الدكتور الأهواني بكثرة أعماله من جهة وبحرصه على راحة أستاذه من جهة أخرى، ولكن العميد عقَّب بقوله: إن كل تلامذتي من أمثال الدكتور الأهواني عققَة لا أراهم.

الثلاثاء ١٩٧٠/٣/٣: كان العميد صباحاً يشعر بآلام شديدة، وأغمي عليه بعد لقائي به بفترة وجيزة، وحاولت زوجه إسعافه، وكان عليَّ أن أساعد في هذا بحمل رأسه بين يدي، وحين حملت رأس العميد كانت في يدي خفيفة جداً، وعجبت كيف تحمل هذه الرأس الصغيرة عقلاً مفكراً وذهناً وقاداً وحافظة واعية.

وحمل العميد إلى فراشه فحالته لا تمكنه من الجلوس، وبعد هذا حضر الدكتور محمد كامل حسين وجلس بجوار سرير العميد، وتطرَّق الحديث بينهما إلى اليهود فقال الدكتور كامل: إن اليهودي شخص غير طبيعي، فهو إذا حقق نصراً انقلب إلى شخص متهوِّر مفتون بما حققه لا يعرف الاعتدال فيما يأتي ويذر، وإذا هُزم خنع وذلَّ بصورة ممعنة في الذلة والمهانة، ولعل هذا الإحساس بالهوان هو مصدر ما يعتريه من التهوُّر إذا شعر بالقوة، وعلى كل حال هم يعلمون. فقال العميد: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] فهذا النصر لن يجلب عليه إلا الشقاء.

[العميد يستشهد بآية كريمة تتوعد اليهود على الدوام]

الخميس ١٩٧٠/٣/١٢: أخبرني العميد أن سكرتيره ميخائيل الزيات ترك العمل معه، وطلب مني أن أتصل بوالده ليتحدث في هذا الأمر، وقد وعد الوالد بالحضور مساء ومعه ابنه روفائيل ليعمل بدل أخيه.

وفي ظهر هذا اليوم تلقى العميد هدية من وزير الصحة الدكتور عبده سلام عبارة عن زجاجتين من الأدوية، كما اتصلت به سفارة كوريا تطلب تحديد موعد للقنصل الكوري الذي يرغب في زيارة العميد.

وحضر في المساء والد ميخائيل ومعه ابنه روفائيل، وأشار العميد فيما تحدَّث به إلى بعض تصرفات ميخائيل ككثرة الكلام، وشعوره الدائم بالجوع، ونزوله إلى المكتب ليأكل ما يحمله في حقيبته من طعام، وانتهى هذا اللقاء باتفاق على أن يحل روفائيل محل أخيه وأن يبدأ العمل يوم الثلاثاء الموافق ١٧/ ٣/ ١٩٧٠.

الأربعاء ١٩٧٠/٣/١٨: زار العميد مساء هذا اليوم قنصل كوريا بالقاهرة، ولم يكن يتحدث إلا الإنكليزية والعميد لا يجيد هذه اللغة، وحاولت أن أترجم للعميد ما يقوله القنصل، ولكني عجزت عن الترجمة الكاملة، فقد كانت لهجة القنصل في النطق لا تمكنني من فهم كلامه كلِّه ـ وهنا طلب مني العميد أن أطلب ابنته، وكانت في زيارة لأبويها ـ وتولَّت ترجمة حديث القنصل لأبيها، وكان هذا الحديث يدور بوجه عام حول دعوة كوريا للعميد لزيارتها، غير أن العميد اعتذر لظروفه الصحية.

الجمعة ١٩٨٧/٣/٢٠: تلقَّى العميد من أحد أشقائه رسالة يطلب فيها أن يبعث إليه العميد بعشرين جنيهاً؛ لأنه في أمسِّ الحاجة إليها، وقد زار العميد في هذا اليوم شقيقه المهندس أحمد حسين، فكلفه بأن يحمل هذا المبلغ إلى شقيقهما، ثم أشار المهندس أحمد إلى ميخائيل سكرتير العميد، فقال العميد: لقد تركني وحلَّ محله أخوه روفائيل،

ولكنه مثل أخيه لا يتقن العربية ولا يستطيع مواصلة القراءة، فقال الشقيق: هل تسمح بأن يأتي فريد لزيارتكم، ولعل هذه الزيارة تكون تكفيراً عما حَدَث منه، وتعود المياه بينكما إلى مجاريها الطبيعية، فردَّ العميد: إني أرفض لقاءه لو حضر، فقال شقيقه: سأتحدث مع زوجتكم في هذا الموضوع، فرجاه العميد ألَّا يخوض مع زوجه في هذا لأنها ستظن أنه هو الذي حرَّضه على محادثتها، وكم عانَى منها بسبب فريد.

الجمعة ١٩٧٠/٣/٢٧: كنت أجلس مع العميد في شرفة حجرة نومه أقرأ له الصحف، وكان بجوار بيت العميد مسجد يشغل الطابق الأول من عمارة صغيرة بنيت حديثاً، فلما أخذ المقرئ قبل الصلاة يتلو آياتٍ من كتاب الله كان صوته يصل إلينا جليّاً كأنه معنا، وفجأة قال العميد: ألا تعتقد أننا نرتكب الآن خطيئة. قلت: لماذا؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ونحن عنه في شغل، أو أن صوت البوق لا يعتبر قراءة للقرآن. قلت: إن صوت البوق يعتبر نقلاً لصوت المقرئ فهو قراءة للقرآن.

[العميد يتحرج من الانشغال عن الاستماع لصوت مؤذن المسجد الذي بجوار بيته وهو يتلو القرآن الكريم]

وفي هذه اللحظة أقبلت زوجة العميد لتساعده في الانتقال إلى الحجرة، وبعد أن استقر بنا المجلس فيها، لم يحدثني عن هذا الموضوع، ولم أشأ أن أسأله عنه.

الجمعة ١٩٧٠/٤/٣: كان العميد في صباح هذا اليوم يشعر بتعبٍ شديدٍ، وقال لي بعد تحيته وسؤاله عن صحته: لا فائدة فصحتي تزداد سوءاً. وبعد بضع دقائق دخلت زوجته الحجرة فطلب منها أن تساعده لينام، ولكنها رفضت، فلما أصرَّ لشعوره بالتعب استجابت لما يريد، بيد أنها فجأة بكت، وتركت الحجرة فوراً بعد أن نام العميد في فراشه.

[العميد يعقب على رواية لحديثٍ ساقها ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة]

وكان العميد وهو في فراشه يعاني ما يعاني ينصت لما أقرأ، ويعلِّق عليه أحياناً، فقد أورد ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ما روي عن الرسول ﷺ أنَّه مرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالغيبة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بَوْله»، فقال العميد بعد سماعه هذه الرواية: إن رواية البخاري تختلف عن رواية ابن أبي الحديد، فقد جاء في «صحيح البخاري»: «أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله».

الجمعة ١٩٧٠/٤/١٠: زار العميد مساء هذا اليوم الشيخ محمود أبو رية والأستاذ محمد جاد الرب، وقال العميد للشيخ عندما صافحه: لقد هَجَرْتَنا طويلاً يا سي الشيخ، فرد الشيخ: إنَّ المرض هو الذي منعني من زيارتكم طوال الشهور الماضية.

[العميد يرى أن ما جاء في كتاب نهج البلاغة ليس للإمام علي. وينعت ابن أبي الحديد صاحب الشرح بالغفلة]

وسأل الشيخ العميد عن الكتاب الذي يقرأه فقال: «شرح نهج البلاغة».. فقال الشيخ: تعتقد يا سيدي الدكتور أن هذا الكتاب من كلام الإمام علي، فأجاب العميد: لا أعتقد أنه من كلامه لأن الصنعة والتكلُّف تغلبان عليه، فضْلاً عن اشتماله على عبارات وكلمات لم تظهر إلا في زمن المتكلِّمين، والذي أرجحه أنه من تأليف الشريف الرضي، والمغفَّل هو ابن أبي الحديد، لأنه يعتقد أن ما يشرحه كلام للإمام علي، ولذلك يتكلف في شرحه ويستطرد استطرادات لا معنى لها...

[رأي عجيب للعميد في موضوع المعراج]

وتطرق الحديث إلى الأزهر وشيوخه، فقال الأستاذ جاد الرب: إن من المؤسف أن شيخ الأزهر ظهر في الإذاعة المرئية يتلو من كتاب في مناسبة الإسراء والمعراج، فسأل الشيخ أبو رية: هل تعتقد يا سيدي الدكتور أن قصة المعراج صحيحة؟ وأجاب العميد: إن الإسراء صحيح لا شك فيه، لأن الآية واضحة في إثباته، أما المعراج فأنا أشك في صحته، وأذكر أن مستشرقاً إسبانياً ذهب إلى أن قصة دانتي

«الكوميديا الإلهية» مأخوذة من أبي العلاء، وهذا غير صحيح لأن أبا العلاء لم يترجم إلى اللاتينية والراجح أن دانتي تأثر بقصة المعراج فقد ترجمت إلى هذه اللغة.

وقال الشيخ أبو رية: إن مجلة قافلة الزيت التي تصدر في السعودية نشرت لي مقالاً بعنوان «بعض ما أعرفه عن طه حسين» ولكن المجلة حذفت منه فقرة هامة جداً تتعلق بألفاظ القرآن الكريم، فسأل العميد عن هذه الفقرة، فقال الشيخ: أتذكر يوم قلت لك وكنا منفردين: أن معاني القرآن من عند الله، ولكن ألفاظه من عند النبي، فبدا عليك الامتعاض وقلت في لهجة يشوبها الانفعال: هذا غير صحيح فالقرآن لفظاً ومعنى من عند الله. هذه الفقرة حذفتها المجلة وكنت أقصد من وراء ذكرها الرد على بعض من يطعن في عقيدة الدكتور طه حسين.

[العميد ينكر على الشيخ محمود أبو رية قوله: إن معاني القرآن من الله ولكن ألفاظه من النبي]

الجمعة ١٩٧٠/٤/١٧: نشرت صحيفة الأهرام كلمة للدكتورة بنت الشاطئ تحت عنوان «هذا بلاغ للناس» فقال العميد بعد قراءتها: لقد مضت فترة طويلة دون أن أرى عائشة فهي عاقة، كغيرها من تلاميذي، لقد درستْ علي الماجستير والدكتوراه، ولكنها نسيت هذا، فقلت للعميد: يبدو أن أعباءها العلمية الكثيرة تمنعها من أداء الواجب نحوكم، فقال: مهما يكن الأمر فإنها مقصِّرة..

[العميد يعتب على الدكتورة بنت الشاطئ تقصيرها في زيارته]

الأحد ١٩٧٠/٤/٢٦: عُيِّن الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي تولَّى رئاسة تحرير صحيفة الأهرام فترة طويلة، عين وزيراً للإرشاد، فأملى علي العميد البرقية التالية، وطلب مني أن أبعث بها إليه.

سيادة وزير الإرشاد...

نرجو أن تقبل أزكى التحية وأصدق التهنئة.

طه حسين

الخميس ١٩٧٠/٥/٧: قابلت في صباح هذا اليوم الأستاذ فريد شحاتة في دار الكتب المصرية، وكنت لم أره منذ ترك العميد، فقلت

له: لقد كنتُ أودُّ أن تعود المياه إلى مجاريها، ولكن التيار كان أقوَى، فقال: هناك أشياء لن تعرفها وستظل سِراً لا يعرفها أحد.

وحين ذهبت إلى العميد في صباح الجمعة ٨/ ٥/ ١٩٧٠ وذكرت له أني قابلت فريداً في دار الكتب، قال: وماذا يعمل هناك، فقلت: لا أدري، ولكنه كان في صحبة الدكتور عبد الهادي شعيرة، فقال العميد: هذا تلميذ عاق كغيره من تلاميذي، لقد أرسلته إلى أوروبا وتعهدته بالرعاية والتوجيه، ولكني لا أراه الآن.

[العميد يصف الدكتور عبد الهادي شعيرة بالعقوق]

الاثنين ١٩٧٠/٥/١١: رأس العميد جلسة المجمع في هذا اليوم، وقد استقبلته على الباب الخارجي، وما كاد ينزل من سيارته حتى كان الشيخ أحمد حسن الباقوري عضو المجمع قد وصل، فأقبل نحو العميد وصافحه وقبّل يده أكثر من مرة، ثم طلب من العميد أن يسمح له بتقبيل يد زوجه فقال له: تفضَّل، فقبَّل الشيخ يد زوجة العميد، ثم قال له وهو يصعد درجات السُّلَّم في صعوبة: يا أستاذ أنت تقرأ في بعض أحاديثك الإذاعية الآية القرآنية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] تقرأها وإن كنت في شكٍ، فقال الشيخ الباقوري: نصلحها، وقد يكون لها مسوِّغ من القراءة بالمعنى، وهنا أخذ العميد يروي بعض أمثلة القراءة بالمعنى، والتي لا يمكن أن يكون من قبيلها تغيير كلمة بأخرى وإن تساوت الدلالة.

[الشيخ الباقوري يقبل يد العميد ويد زوجته]

وفي المساء قال لي العميد: أتعلم أنَّ الشيخ الباقوري لم يقبِّل يديَّ سوى اليوم، وأنه ما كان يفعل ذلك من قبل.

وفي نحو السابعة مساء جاء إلى العميد الأستاذ حامد حنفي من إذاعة الشعب للاتفاق معه حول المكافأة التي يطلبها عن إذاعة كتابه «رحلة الصيف»، وقد طلب العميد مبلغ ثلاثمئة جنيه، ثم سأله الأستاذ حامد عن الترتيب الزمني لقصص العميد؛ لأن الجمعية الأدبية تعدُّ دراسات حول أدب العميد، فقال: دَعْك من «الأيام» فلا أعدّه

قصة، وترتيب ما كتبته من قصص على ما أذكر هو: «أديب»، ثم «شجرة البؤس»، «فدعاء الكروان»، و«الحب الضائع» و«أحلام شهرزاد»، و«المعذَّبون في الأرض».

[العميد يتحدث عن الترتيب الزمني لقصصه التي كتبها]

وهناك بعض القصص القصيرة التي نشرت في مجلات ولكني لا أذكرها الآن.

الأربعاء ١٩٧٠/٦/٣: حال مرض ألـمَّ بي بيني وبين لقاء العميد نحو عشرين يوماً، وقد ذهبتُ إليه في مساء هذا اليوم، فاستقبلني بحرارة شديدة، وشدَّ على يدي متمنياً لي الصحة والعافية، وشكرت العميد على مشاعره الكريمة ثم شرعت في القراءة، فقال: لا تجهد نفسك، ولا داعي للقراءة، فقلت له: إن صحتي تسمح بالقراءة، فقال: تصرَّف كما تشاء، وسيأتي زوار بعد قليل.

وفي نحو السادسة والنصف حضر الدكتور إبراهيم مَدْكور الأمين العام للمجمع لتحية العميد قبل سفره، وقد تناول الحديث بينهما مسائل شتى منها ما جاء عن الدكتور محمد البهي وكيف تنكر للشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، على حين كان الدكتور البهي وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر، وقد قال الدكتور مدكور عنه: أنا أشك في أن الدكتور البهي يجيد الألمانية، وانه انتفع بالثقافة الألمانية، فقال العميد: إنَّ له أحاديث في الإذاعة لا تعجبني، ولكن تعجبني أحاديث الدكتور عبد العزيز كامل، وقال الدكتور مدكور: إن الدكتور عبد العزيز تلميذ من تلاميذك في كلية الآداب، وكان قبل تعيينه وزيراً أستاذاً مساعداً بقسم الجغرافيا، وترجع ثقافته الإسلامية إلى أنه تخرج في مدرسة حسن البنا.

[العميد يقول: إنه لا تعجبه أحاديث الدكتور محمد البهي في الإذاعة لكن أحاديث الدكتور عبد العزيز كامل تعجبه]

ثم انتقل الحديث إلى توحيد المجامع اللغوية، وقال عنها الدكتور مدكور: إن إخواننا المجمعيين في دمشق وبغداد لم يرسلوا شيئاً حول فكرة توحيد المجامع اللغوية. وكانت قد عقدت في القاهرة

في أواخر إبريل سنة ٧٠ جلسات اشترك فيها رؤساء المجامع الثلاثة في بغداد ودمشق والقاهرة لوضع اللائحة الخاصة بتوحيد هذه المجامع، وكان من المقرر عرض هذه اللائحة على أعضاء المجامع لإقرارها. وقال العميد: يبدو أن موسم الإجازات حال بينهم وبين إرسال ردِّهم، وفي المؤتمر القادم إن شاء الله سيتقرر كل شيء..

وودَّع الدكتور مذكور العميد متمنياً له رحلة سعيدة موفقة. وفي هذا اليوم كانت القاهرة تموج بشائعة ظهور مرض الكوليرا في الجمهورية، وقد تدافع الناس في ازدحام قاتل على مكاتب الصحة للتطعيم ضد هذا المرض الخبيث، وعرفت من العميد أنَّ طبيباً خاصاً من وزارة الصحة سيأتي غداً لتطعيم العميد وزوجه وسكرتيره وإعطائهم الشهادات الصحيَّة الدالة على ذلك، واستأذنت العميد في حضوري للتطعيم في منزله، فقال: بكل سرور. ولكن في اليوم التالي لم يحضر مندوب وزارة الصحة، ونشرت الصحف كذب الشائعات التي عمَّت القاهرة.

الجمعة ١٩٧٠/٦/٥: لم يتمكن العميد من لقاء زواره ومودِّعيه أمس بسبب المرض الشديد الذي ألزمه الفراش، وقد قال لي: كيف أتصرف غداً، وهل أستطيع السفر، وركوب السيارة من القاهرة إلى الإسكندرية، ومنها أبحر إلى إيطاليا، لقد نصحني الأطباء بالراحة وحذَّروني من السفر، ولكن زوجتي تصر عليه، وتتهمني بأني أتمارض كيلا أسافر؟!

في مساء هذا اليوم استقبل العميد في فراشه الدكتور يوسف إدريس والأب جورج قنواتي، ولم تكن صحته قد طرأ عليها تحسن، وودعته قبل انصرافي في الثامنة والنصف مساءً متمنياً له صحة طيبة ورحلة سعيدة، وشدَدْتُ على يده وهو نائم في فراشه، وقد أشفقت عليه ـ في نفسي ـ من هذه الرحلة.

الاثنين ١٩٧٠/٩/٢٨: كان أول لقاء لي بالعميد بعد أوبته من رحلته في نحو السادسة من مساء هذا اليوم، وبعد تبادل التحيات أخذت أقرأ الرسائل الكثيرة التي أرسلت إلى العميد في أثناء سفره، ومنها رسالة بعثت بها هيئة الإذاعة البريطانية ردّاً على ما نشر في مجلة الإذاعة القاهرية، وأيضاً مجلة الشبكة البيروتية من أن تلك الهيئة قدمت كتاب الأيام في مسلسلة إذاعية دون إذن من العميد، وأوضحت هذا الرسالة تاريخ العقد المبرم بين العميد والإذاعة البريطانية. وكذلك المبلغ الذي دُفع مكافأة للمؤلف.

وفور الانتهاء من قراءة الرسالة طلب مني العميد أن أعدّ رسالة اعتذار لتأخر الردّ بسبب السفر، ولما نشر في هاتين المجلتين.

وسألت العميد عن روفائيل فقال: يجب البحث عن سكرتير آخر، فروفائيل لا يعرف العربية ولا يجيد الفرنسية، ولم يكن في مدّة الرحلة كما ينبغي أن يكون.

ودقَّ جرس الهاتف، وكان المتحدث محرراً بدار الهلال يطلب موعداً لإجراء حديث عن القرآن الكريم ينشر في عدد الهلال الخاص بشهر رمضان، ولكن العميد اعتذر، فلا تسمح صحته وبخاصة بعد عودته من الرحلة بالحديث في أي موضوع.

[العميد يرى حكم الرجم للزاني منسوخ]

ثم شرعنا في القراءة في كتاب «شرح نهج البلاغة»، وكان أول موضوع نقرؤه خاصّاً بالمطاعن التي وُجِّهت إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، ومنها أنه عمل على دفع حد الزنا عن المغيرة بن شعبة، فعلَّق العميد على هذا قائلاً: إن القرآن صريح في أن عقوبة الزنا الجلد دون الرجم، وأما أن الرسول ﷺ رجم فصحيح، ولكنه رجم قبل نزول آية الجلد، وفعل هذا أخذاً بما كان في الإنجيل، وتعد آية الجلد ناسخة لما كان في شريعة عيسى، وما يقوله العلماء من أن هناك آية خاصة بالرجم نسخ معناها وبقي لفظها وهي: الشيخ والشيخة

إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله.. فغير صحيح، وكذلك ما يقال من أن الرجم ثبت بالسنة، وهو حكم باقٍ فغير صحيح أيضاً؛ لأن آية الجلد نسخت ما فعله الرسول.

السبت ١٩٧٠/١٠/٣: نشرت صحف هذا اليوم أخبار الصلوات التي أقيمت في مختلف المساجد ترحُّماً على روح الرئيس جمال عبد الناصر، وفجأة وأنا أقرأ هذه الأخبار قال العميد: منذ استيقظت ورد على خاطري البيتان التاليان:

ألا قُلْ لأصحاب المخائض أهملوا ... فقد تاب مما تعلمين يزيدُ

وإنّ أمرأً ينجو من النار بعد ما ... تزوّد من أعمالها لسعيد

ثم قال: والبيتان ذكرا في «الكامل»، والغريب أني لا أعرف لماذا وردا على خاطري وألحّا في التعلُّق بذاكرتي، فقلت: لعل ذلك بسبب الظروف العصيبة الحالية، قال: لا علاقة بينهما وبين ما نحن فيه.

الأحد ١٩٧٠/١٠/٤: زار العميد مساء الدكتور إبراهيم مَدْكور، وتناول الحديث بينهما أولاً أحداث الساعة، كوفاة الرئيس عبد الناصر، وموقفنا من إسرائيل، ثم انتقل الحديث إلى مشروع توحيد المجامع اللغوية وأنه قد أصبح في حكم الموافق عليه.

وأشار الدكتور مَدْكور إلى بعض تحفُّظات مجمع بغداد حول هذا المشروع، ورأى أنه يجب ألا يُثار الحديث عنها الآن، فالظروف السياسية بين بغداد والقاهرة لا تتيح الفرصة للكلام في تلك التحفظات، ويمكن أن يكون مؤتمر المجمع القادم مجالاً للبت في مشروع توحيد المجامع اللغوية، ثم ذكر أنَّ بعض المَجْمعيِّين في البلاد العربية أرسلوا برقيات عزاء في الرئيس الراحل وسيرد المجمع عليهم.

الثلاثاء ١٩٧٠/١٠/٦: كان العميد قد ألقى أمس في افتتاح الدورة الجديدة للمجمع كلمة في تأبين الرئيس الراحل(١)، ونشرت الأهرام ما

---

(١) انظر: «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»، ص٣٦.

قاله العميد بعد حذف بعض فقراته، وأضافت: إلا أن العميد أغمي عليه وهو يرثي عبد الناصر، ولم يكن هذا صحيحاً، وقد اتصل هاتفياً بمنزل العميد في هذا اليوم سفير إيطالياً ليطمئن على صحة العميد، كما أن وزارة الثقافة ومجلس الفنون اتصلا أكثر من مرة لهذا الغرض.

وكانت الصحف قد نشرت حديثاً للرئيس جعفر نميري وجَّهه إلى الشعب المصري حتى يجتاز أزمة الحزن ويعمل في دأب من أجل النصر، فقال العميد بعد قراءة هذا الحديث:

إني كلما سمعت اسم الرئيس نميري تذكرت قول جرير:

فُغضَّ الطَرْف إنك من نُمَير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ثم قال: ويُرْوَى أن جريراً بعد أن أنشد هذا البيت قفز من شدة فرحه قفزة جعلته يلمس برأسه سقف الحجرة التي كان يجلس فيها.

الأربعاء ٧/١٠/٧٠: كانت صحة العميد في هذا اليوم سيئة للغاية، وقد قال: لقد أصبحت الحياة بالنسبة لي عذاباً، ولو كنت أستطيع الانتحار لانتحرت، فقلت: أنت بخير، وهي نزلة برد ستزول بإذن الله، فقال: إنني أعاني من آلام الأمعاء التي لا تكاد تنقطع، وكذلك آلام البرد، فضلاً عن متاعب البيت، فأنا أرهق زوجتي معي، ولا أستطيع أن أرضيها في الأكل والحركة فتثور وتبكي أحياناً وتخاصمني أحياناً.

واتصلت هاتفياً امرأة قالت إنها زوجة رئيس حرس الرئيس الراحل، وأنها تود لقاء العميد للحديث معه في بعض المسائل الهامة، بالإضافة إلى أنَّ لديها أوراقاً كتبت فيها أشياء يجب أن يطَّلع عليها العميد، ونظراً للظروف الصحية القاسية التي كانت العميد يمر بها في هذا اليوم طلب منّي أن أخبرها بأن تتصل بعد أسبوع لتحديد موعد لها.

وكانت وزارة الثقافة قد تلقَّت رسالة ـ بعثت بصورة منها إلى العميد ـ من إدارة العلاقات الثقافية والتعاون الفني بوزارة الخارجية،

بخصوص اقتراح مركز الدارسات الشرقية بالأورغواي بإقامة حفل لتكريم الدكتور طه تحت رعاية هيئة اليونسكو العالمية وجامعة الجمهورية بالأورغواي، وجامعة سلفادور بالأرجنتين، ويقوم «برنامج» هذا التكريم على إقامة ندوة أكاديمية لتحليل أعمال الدكتور طه يشترك فيها بعض الكتاب والأدباء من الأورغواي والأرجنتين، وأيضاً إقامة معرض عن الأعمال الأدبية للعميد بجامعة الجمهورية أو بالمكتبة العامة التابعة لوزارة الثقافة بالأورغواي.

وطلبت سفارة الأورغواي بالقاهرة موافاتها بما يلي:

أولاً: نبذة تفصيلية عن حياة ومؤلفات الدكتور طه حسين.

ثانياً: عدة نسخ من كافة الأعمال الأدبية وبخاصة المترجمة إلى الفرنسية أو الإنكليزية أو الإسبانية.

وبعد أن قرأت هذه الرسالة لم يستقبلها العميد بشيء من الرضا ومرد ذلك إلى آلامه الصحية، ثم قال: لا توجد كتب عندي وعليهم أن يذهبوا إلى دار المعارف، فقد نشرت معظم كتبي، ولا أستطيع أن أكتب شيئاً الآن عن نفسي، ويمكنهم أن يستعينوا بما جاء عني في كتاب «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً» وما كتبه الأستاذ سامي الكيالي ونشرته أيضاً دار المعارف.

الخميس ١٩٧٠/١٠/٨: زار العميد صباحاً الدكتور محمد كامل حسين، ولما سأله عن صحته قال: إني تعبان جداً، فقال الدكتور كامل: أذكر أن لطفي السيد كان حين يسأل عن صحته يقول: لا توجد صحة حتى يسأل عنها، وقال العميد: لقد كان لطفي السيد يتمثل بهذا البيت:

وإذا الشيخ قال أف فما ... ملّ حياة وإنّما الضعف ملّا

ثم قصَّ الدكتور كامل ما جرى بالأمس في مجلس جامعة الأزهر، وذكر أنَّ بعض أعضائه تحدث عن الرئيس الراحل، وختم

حديثه بما ينسب إلى أبي بكر ﷺ من أنه قال يوم السقيفة: إن العرب لا تخضع إلا لهذا الحي من العرب، يعني قريشاً، فقال العميد المروي أن الرسول قال: «الأئمة من قريش»، ولكني أشك في صحة هذا الحديث، كما أشك في حديث: «نحن الأنبياء لا نُورث، ما تركناه صدقة»، فقال الدكتور كامل: أعتقد أن أبا بكر لجأ إلى اختراع هذين الحديثين لأمر سياسي، وهنا وجه إليَّ الحديث: يا دسوقي، لا يعني هذا اتهام أبي بكر بشيء يسيء إليه، الرجل كان عظيماً، ولكن يبدو أن ظروفاً مختلفة حملته على ما فعل من أجل وحدة العرب وجمع كلمة المسلمين، ولم أشأ أن أناقش الدكتور كامل فيما ذهب إليه، ولا أعتقد أن أبا بكر قد اخترع حديثاً مهما تكن الظروف والأسباب، فالرجل أكبر من أن يفعل مثل هذا، وتشدُّده في قبول ما يروى عن الرسول معروف مشهور.

[أحد زوار العميد يسيء الأدب في حق أبي بكر ﷺ والعميد يحاول تسويغ كلامه]

وتطرق الحديث بين العميد والدكتور كامل إلى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وخيانة الملك عبد الله فيها، وقال الدكتور كامل: إن خيانة الملك عبد الله في هذه الحرب أصبحت من الحقائق التاريخية لا من الإشاعات التي تتردد بين الناس، ثم قال: ومن الأحداث الطريفة التي تتصل بحرب فلسطين أني كنت مندوباً للهلال الأحمر فيها، وقضت الظروف أن اجتمع مع الملك عبد الله، فكان مما قاله لي: إن مصر استولت على أسلحة كانت مرسلة إلى الأردن، ويضيف الدكتور كامل إلى هذا: وحين عدت إلى القاهرة، وقابلت حيدر باشا وذكرت له ما قاله الملك عبد الله عن الأسلحة التي أخذتها مصر، قال: صحيح كانت هناك سيارات متجهة إلى الأردن تحمل أسلحة فاستولينا عليها.

[حديث في مجلس العميد عن حرب فلسطين في عام ١٩٤٨]

وعقَّب العميد على ما رواه الدكتور كامل بأنها كانت مهازل، فقال الدكتور كامل: ومن صُوَر هذه المهازل أن الملك فاروق طلب من العاملين في أستديو مصر أن يكون بعضهم مع الجيش لتصوير المعارك الحربية، وبخاصة تصوير أسرى اليهود، ولكن هؤلاء العاملين

لم يتمكنوا من تصوير هذه المعارك على الطبيعة واضطروا إلى تصويرها في الأستديو، وعُرضت على الملك على أنه مشاهد واقعية من الميدان، وهي غير ذلك، وكان يعرف هذه الحقيقة معظم المسؤولين في الجيش.

السبت ١٩٧٠/١١/٥: تلَّقى العميد رسالة من نقابة الصحفيين تطلب منه أن يقدم طلباً لقيده في النقابة، فقد صدر قانون جديد في ١٧/ ٩/ ١٩٧٠ للعاملين في الصحافة، وحدَّد مدة ثلاثة أشهر لإعادة قَيْد جميع أعضاء النقابة من جديد، وأرفقت النقابة مع رسالتها طلباً يحدد البيانات التي يجب على العضو أن يثبتها، ومنها تاريخ بدء العمل الصحفي، وقد قال العميد: لقد بدأت هذا العمل منذ أوائل الشباب أي نحو سنة ١٩٠٨، فقد اتصلت بالصحافة وأنا في السابعة عشرة من عمري، ونشرت في جرائد الحزب الوطني، والجريدة وصحف أخرى كثيرة.

[العميد يتحدث عن عمله الصحفي المبكر]

كذلك تلقَّى العميد صكّاً من معهد الدراسات والبحوث العربية قيمته خمسة جنيهات، وذلك مكافأة عن الجلسة التي عقدها مجلس إدارة المعهد في منزل العميد، ولكنه رفض تسلُّمه وأمرني أن يرد إلى المعهد لأنه لا يستحقه، ثم قال: إنني لم آخذ مكافأة عن جلسة من الجلسات العلمية التي حضرتها سواء في المجمع اللغوي أو مجلس الفنون، وأذكر أنِّي كنت أحضر جلسة المعجم الكبير كل يوم خميس في المجمع ولم أقبض مليماً واحداً منها، ولما حدثني مدير المجمع في هذا، وكان الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي قلت له: اعطِ هذه المكافأة للسُّعاة في المجمع، ولا أظنه فعل ذلك، فقلت للعميد: ليت الذين يستطيعون الاستغناء عن مكافأة الجلسات الاقتداء بكم، فقال: يا بني إنَّ أحرصَ الناس على المال هم الأغنياء.

الأحد ١٩٧٠/١١/٥: لزم العميدُ الفراشَ بسبب نزلة برد شديدة ألمت به، وقد زاره صديقه الدكتور محمد كامل حسين، وعاتبه العميد

لأنه لم يزره في أيام العيد، ولم يهنئه بدرجتي الدكتوراه الفخريتين، فقد منحته كلٌّ من جامعة مدريد وغرناطة بإسبانيا الدكتوراه الفخرية، واعتذر الدكتور كامل لأنه لم يبرح البيت في الأسبوع المنصرم، ثم قال: إن الدكتورة بنت الشاطئ أهدتني كتابها الجديد عن أبي العلاء، وهو بعنوان «قراءة جديدة في نص رسالة الغفران»، وقد قدَّمتْ في هذه القراءة مشاهد على أنها نصوص مسرحية، وأنا لا أوافقها على هذا، كما لا أوافقها على نظريتها في أنَّ أبا العلاء كان يحب الحياة، وأنه كان متألماً لحرمانه منها، وعزلته التي عاش فيها، ووافق العميد الدكتور كامل على رأيه، وقال هذا: ومع ما ذهبت إليه الدكتورة عائشة، فإنَّ ما تكتبه وغيرها من الكتاب الجادِّين هو خير ما يكتب الآن.

[العميد يثني على الدكتورة بنت الشاطئ]

الأحد ١٩٧٠/١١/٩: قال العميد: إن الأستاذ عبد الرحمن صدقي سيزورنا مساء، وإنه كان يعمل سكرتيراً لي عندما كنت مستشاراً بوزارة المعارف. فقلت: إنَّ الأستاذ صدقي كتب ديواناً من الشعر في رثاء زوجه الأولى، كما فعل مثله أيضاً الأستاذ عزيز أباظة، وهذه ظاهرة فريدة في الأدب العربي، لم يُعرف أنَّ شاعراً عربياً قديماً قال ديواناً في رثاء زوجه، وإنما هي قصيدة أو قصيدتان مثلاً، فقال العميد: هذا صحيح، فقلت: لقد وازنت بين الشاعرين وضمَّنت هذه الموازنة البحث الذي فاز بجائزة المجمع اللغوي في العام الماضي وكان عنوانه: «الأسرة في الأدب العربي».

[العميد يفضِّل الشاعر عبد الرحمن صدقي على الشاعر عزيز أباظة]

وسألني العميد: وأيُّ الشاعرين فضَّلْتَ: فقلت: صدقي، قال العميد: هذا صحيح، ثم استطرد: لقد كتبتُ مقدِّمة ديوان الأستاذ عزيز أباظة لأنه قرأه علي ونصحته بنشره، ولكن هذه المقدمة لم تعجب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني.

وجاء الأستاذ صدقي في نحو السابعة مساءً، وتناول الحديث

بينهما فيما تناول النشاط الأدبي للأستاذ صدقي، وقد قال: إنه الآن يكتب بعض المقالات في مجلة الهلال وروز اليوسف، غير أن الأستاذ رجاء النقاش لا ينشر مقالاته بانتظام، وسأله العميد عن مكافأة ما يكتبه فقال: عشرون جنيهاً عن كل مقالة. وقال العميد: إن الأستاذ علي أمين زارني في بيتي حين تولّى الأستاذ خالد محيي الدين الإشراف على مؤسسة أخبار اليوم، وقال لي: إن الأستاذ خالد يرغب في أن تكتب مقالاً كل أسبوع ينشر في أخبار اليوم، ومكافأة كل مقالة مئة جنيه، وقد مكثت أكتب لهم نحو عامين، وبعد أن تغير القائمون على هذه المؤسسة لم يسأل عني أحد.

الثلاثاء ١٩٧٠/١١/١١: كانت زوجة العميد مصابة بنزلة برد خفيفة، وكنت أجلس معه في شرفة حجرة نومه، وأقبلت الزوجة، وتحدَّثت مع زوجها وكانت المسافة بيننا وبينها نحو مترين، وبدأ الحديث هادئاً، ثم ارتفع صوت الزوجة في انفعال، ولم أفهم ماذا حدث فالحوار بالفرنسية، ولكن العميد قال بعد أن تركتنا زوجه إلى حجرتها: بذمتك هل كان صوتي وأنا أتكلم مع الستّ خافتاً: قلت: لقد كان عادياً، قال: إنَّ الستّ تقول بأنها مريضة ولا تسمع صوتي، ولا تستطيع أن تتكلم كثيراً، ولذلك غضبت مني.

السبت ١٩٧٠/١١/١٤: وصلتْ إلى العميد بعضُ برقيات التهنئة بعيد ميلاده، كما زاره بعض أصدقائه وتلاميذه، يحملون باقات الورود منهم الدكتور سليمان حزين، والأستاذ حسين عزَّت الذي كان يعمل سكرتيراً للعميد حين كان وزيراً للمعارف.

[العميد يخالف الشيخ محمود أبو رية في موضوع ألفاظ القرآن الكريم]

وزاره أيضاً الشيخ محمود أبو رية، وتحدَّثا معاً في بعض الأمور الخاصة، وتطرق الحديث بينهما إلى موضوع ألفاظ القرآن الكريم، وهو موضوع كثر الحديث فيه بين العميد والشيخ محمود، وكان هذا الشيخ يرى أن ألفاظ الكتاب العزيز من عند الرسول، والعميد لا يرى هذا الرأي، ويصر على أن معاني القرآن وألفاظه من عند الله، وبعد

محاورة حول هذا الموضوع قال العميد: أراك يا سي الشيخ مغرماً بالجدل في المسائل الدينية.

الاثنين ١٩٧٠/١١/١٦: كان العميد قد قال في مناسبة يوم ميلاده: إنه لم يقبض نصيبه من مكافأة كتاب «القصر المسحور» الذي ألَّفه بالاشتراك مع الأستاذ توفيق الحكيم، ونشرت الأهرام اليوم حديثاً للأستاذ الملّاخ مع الأستاذ الحكيم أشار فيه هذا إلى أن الدكتور طه خانته الذاكرة، وأنه قبض حقه في هذا الكتاب حين نشره أولاً الأستاذ محمد الصاوي، وحين نشرته ثانياً دار الهلال وبعد إذاعته، وعقَّب العميد على هذا بقوله: هذا كذب ولم آخذ من الكتاب مليماً واحداً.

وأملى علي العميد الكلمة التالية وطلب منّي أن أحملها إلى صحيفة الأهرام لنشرها:

«يهدي طه حسين إلى كرام الأصدقاء والمواطنين الذين تفضلوا فهنّؤوه بيوم مولده بالسعي إلى داره أو الكتابة إليه من طريق البريد أو الإبراق إليه أزكى التحيات وأعمق الشكر على هذا الفضل العظيم، ويسأل الله أن يسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ويُجَنِّبهم ما يكرهون».

وكان في بريد اليوم رسالة من ممرِّضة تشكو إلى العميد من سوء حالة أسرتها وترجو أن يبعث إليها بمبلغ من المال، وقال بعد قراءة هذه الرسالة: احتفظ بها حتى تعلن الوزارة الجديدة فنرسلها إلى وزير الأوقاف، وكانت الصحف قد نشرت أنباء استقالة الوزارة وتكليف رئيسها الدكتور محمود فوزي بإعادة تشكليها.

[العميد يلم الشاعر المتنبي]

وفي أثناء قراءتنا في كتاب «شرح نهج البلاغة» ورد خبر عن المتنبي فقال العميد: لا يعجبني هذا الشاعر، فقلت: شخصيته أو شعره، قال: الاثنان، لقد كان وصوليّاً، مدح سيف الدولة فلما لم يعطه ما أراد هجاه هجاء مُرّاً، وفضَّل عليه العِلج الأسود كافور، وهجا هذا لأنه لم يعطه هو الآخر ما طلب.

الثلاثاء ١٩٧٠/١١/١٧: زار العميد في نحو السابعة من مساء اليوم مجلس إدارة المعهد العالي للدراسات العربية، وكان يضم: الأستاذ محمد خلف الله، والأستاذ الشيخ علي الخفيف، والدكتور إسحاق موسى الحسيني، والدكتور سليمان مرقص، وآخرين لم أعرف أسماءهم.

وفي مستهل هذا اللقاء جرى حديث قصير بين العميد والشيخ الخفيف حول ذكريات التلمذة في الأزهر، والسكن في حوش «عُطيّ»، فقد كان الشيخ الخفيف زميلاً لشقيق العميد الشيخ أحمد حسين، وقد عرفه العميد منذ بدأ يدرس في الأزهر، وتوثقت العلاقة بينهما بعد ذلك.

وتشعب الحديث بين الحاضرين، فتناول المعهد ووضعه بعد إنشاء المنظمة العربية للثقافة والعلوم، والرغبة في أن يظل مستقلاً عنها كما هو الآن، ووعد العميد بالاتصال بالدكتور عبد العزيز السيد مدير المنظمة، والتفاهم معه حول هذا الموضوع، وإن كان قد اقترح أن تكون تبعية المعهد لهذه المنظمة كتبعية الجامعات لوزارة التعليم العالي.

كذلك تناول الحديث مستوى التعليم وضعف الطلاب في اللغة العربية واللغات الأجنبية، ومشكلة تصدير الكتاب المصري، وموقف لبنان من تزوير هذا الكتاب، وقال العميد في هذا الشأن: إن دار العلم للملايين في بيروت أخذت كتابي في الأدب الجاهلي وبعض فصول من حديث الأربعاء، وطبعتها تحت عنوان «تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي والإسلامي» وهذا دون إذن مني.

[العميد ينتقد دار العلم للملايين في بيروت]

الخميس ١٩٧٠/١١/٢٠: رفض العميد في صباح هذا اليوم مقابلة الدكتورة بنت الشاطئ، فقد جاءت دون موعد سابق، وطلب منّي العميد أن أخبرها بأن تتصل هاتفياً لتحديد موعد، وأنها إذا أرادت

الزيارة فعليها أن تحضر في المساء، واعتذرت للدكتورة عائشة بأن العميد لا يستطيع لقاءها لظروف صحية ـ ولم يكن هذا صحيحاً ـ وإنها أدركت الحقيقة فقالت: إنني لا أستطيع الحضور في المساء لبعد السكن، ولأني لا أقود السيارة ليلاً.

[العميد يرفض لقاء الدكتورة بنت الشاطئ ويصفها بالعقوق]

وخرجت الدكتورة عائشة، ولما رجعتُ إلى العميد قال: هل انصرفتْ؟ قلت: نعم، فقال: لقد مضى عليَّ أكثر من عام دون أن أرى عائشة، وفي هذه اللحظة دخلت الغرفة زوجة العميد، فأخبرها بمجيء الدكتورة بنت الشاطئ، ورفضه لقاءها وأردف هذا بقوله: إنها تلميذة عاقَّة.

وزاره في المساء بعض أقاربه ومكثوا فترة طويلة، ولما خرجوا كان موعد خروجي قد أزف، فقال العميد: إن كتاب «نهج البلاغة» لا حظَّ له يأتي كل يوم من يعطلنا عن مواصلة القراءة فيه، وما كاد العميد ينتهي من كلامه حتى جاءت زوجه، وهذا يعني انتهاء الفترة المسائية، غير أنه طلب منها أن تسمح بعشر دقائق لقراءة بضع صفحات، فأذنت، ولكنه بعد قراءة صفحتين قال: يكفي يا دسوقي ونكمل غداً.

الأحد ١٩٧٠/١١/٢٢: زار العميد مساءً أربعة من الفرنسيين؛ شابان وسيدتان، وكان العميد قد أخبرني قبل حضورهم بأنهم يعدون كتاباً عن مصر الحديثة، ويريدون لقاءه ليسألوه عن بعض الأشياء، غير أنه بعد مجيئهم ـ وكان الحديث كله بالفرنسية ـ وانصرافهم قال العميد: إنهم لم يحضروا لأنهم يؤلفون كتاباً عن مصر الحديثة، ولكن لأن أحدهم صاحب مجلة باريسية ويريد أن يصدر عدداً خاصاً عنِّي، ومن أجل ذلك حضروا للقائي.

الخميس ١٩٧٠/١١/٢٦: تلقى العميد في صباح هذا اليوم هدية من رئيس الجمهورية التونسية عبارة عن علبة جميلة موشاة بالقطيفة

الخضراء تبدو لمن يراها لأول وهلة كأنها كتاب ضخم، بداخل هذه العلبة بَلَح لذيذ الطعم ـ فقد أكلت منه ـ، ومع العلبة بطاقة تهنئة تحمل اسم السيد الحبيب بورقيبة وزوجه، ومع هذه البطاقة بطاقة أخرى تحمل اسم سفير الجمهورية التونسية في القاهرة.

[العميد يتلقى هدية من رئيس تونس الحبيب بورقيبة]

وكانت مناسبة لحديث العميد عن صلته برئيس الجمهورية التونسية وهي صلة الصداقة الحميمة.

الجمعة ١٩٧٠/١١/٢٧: دعا العميد كلّاً من الدكتور عبد الوهاب البرلسي وزير التعليم العالي، والدكتور محمد حافظ غانم وزير التربية والتعليم، والأستاذ بدر الدين أبو غازي وزير الثقافة لحضور الحفل الذي أقيم مساء اليوم في منزل العميد بمناسبة تسلُّمه درجتي الدكتوراه الفخرية من إسبانيا، وقد حملهما وزير الثقافة الإسباني وجاء معه إلى منزل العميد سفير إسبانيا في القاهرة.

[العميد يتسلّم درجتي الدكتوراه الفخرية من سفير إسبانيا]

وجلس الوزير الإسباني بجوار العميد، وبدأ حديثه بالفرنسية، ثم تكلم بلغة عربية ولكن في صعوبة معبِّراً عن سروره لتقديم درجتي الدكتوراه، مشيراً إلى أن الإسبان يحبون عميد الأدب العربي، ولا ينسون زيارته التي افتتح فيها المركز الثقافي العربي في سنة ١٩٥٠، ويتمنون للعميد الصحة وطول العمر.

ورد الدكتور على الوزير بكلمة موجزة، شكره أعمق الشكر على تفضله بزيارته، كما شكر جامعتي مدريد وغرناطة والحكومة الإسبانية لاهتمامها بمنحه الدكتوراه الفخرية، ثم أشار إلى بعض ذكرياته في إسبانيا أثناء زيارته لها.

وقام بعد ذلك الوزير الإسباني فألبس العميد الرداء الجامعي الإسباني، وقلادة الجامعة وقبعتها، وخاتمين من ذهب يحمل أحدهما اسم جامعة مدريد، والآخر جامعة غرناطة، ثم قدَّم إليه درجتي الدكتوراه، وكانت درجة جامعة غرناطة مكتوبة باللغة العربية، على حين كانت درجة جامعة مدريد مكتوبة باللغة الفرنسية.

وتبارى مصوِّرو الصحف في تسجيل هذه اللحظة التاريخية وأقبل الجميع يُزْجي إلى العميد أطيب التهنئة.

وبعد أن انتهت مراسم تسلُّم الدرجتين، قال العميد: ربما كنتُ المصري الوحيد الذي يحصل على هاتين الدرجتين، أو ربما الشرقي الوحيد، وقال الدكتور عبد الوهاب البرلسي: إن الجامعتين لم تجدا أحداً يمثل الشرق ومصر بوجه خاص إلا أنت.

وظل الجميع في جو يسوده البشر والسرور نحو ساعة ونصف، وقدّمت للعميد تهنئتي القلبية بعد انصراف الجميع ـ معبِّراً عن سعادتي الغامرة لحضور هذه المناسبة، فشكرني ثم قال:

لقد حصلتُ حتى الآن على درجتي دكتوراه علميتين، وثماني درجات فخرية:

[العميد يتحدث عن شهادات الدكتوراه التي حصل عليها]

أما الدرجتان العلميتان فواحدة من مصر سنة ١٩١٤، فقد كنت أول من تخرَّج في الجامعة الأهلية، وحصل فيها على الدكتوراه، وكانت رسالتي عن أبي العلاء، على أنه لم يكن في هذه الجامعة نظام الحصول على الليسانس، وإنما هي الدراسة حتى الدكتوراه.

وسافرت إلى باريس وحصلت على الليسانس ودبلوم الدراسات العليا، وقدَّمت للحصول عليه دراسة عن أحد أباطرة العصر الروماني، ثم تقدَّمت برسالة عن ابن خلدون سنة ١٩١٨ للحصول على درجة الدكتوراه، وقد قال عنها أحد الأساتذة المناقشين: إن هذه الرسالة كان ينبغي أن تقدم للحصول بها على دكتوراه الدولة.

وقلت: إنها مدة وجيزة تلك التي حصلتم فيها على هذه الدرجات. ورد العميد: ومع هذا كان عليَّ أن أدرس اللاتينية وكان الامتحان فيها شفهياً وتحريرياً، وترجمة من اللاتينية إلى الفرنسية.

أما الدكتوراه الفخرية فهي كما يلي:

فرنسا: درجة من جامعة مونبليه وأخرى من جامعة ليون.

إنجلترا: درجة من جامعة أكسفورد.

إيطاليا: درجة من جامعة روما، وأخرى من جامعة بالرم.

اليونان: درجة من جامعة أثينا.

إسبانيا: درجة من جامعة مدريد، وأخرى من جامعة غرناطة.

ثم قال العميد: وأذكر أنِّي حضرتُ حفلاً علمياً أقامته غرناطة.

ثم قال العميد: وأذكر أنِّي حضرتُ حفلاً علمياً أقامته جامعة السوربون ووزعت فيه بعض الدرجات الفخرية، وقد اشتركت في هذا الحفل بإلقاء كلمة جاءني بعدها مدير الجامعة وقال: كنا نود أن نمنحك درجة الدكتوراه الفخرية، ولكنك سبقتنا وحصلت من الجامعة على الدكتوراه العلمية، وتقاليد الجامعة لا تبيح إعطاء الدكتوراه الفخرية لمن حصل منها على الدكتوراه العلمية. وتبسم العميد، وقال: ولكنهم قدموا إلي هدية في هذه المناسبة.

[العميد يتحدث عن أكله لحم الخيل والجمال ورفضه أكل لحم الضفادع]

الأحد ١٩٧٠/١١/٢٩: كانت صحة العميد في هذا اليوم غير طبيعية، وكان نائماً في فراشه، ولما أخذت أقرأ في كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة، وكان الموضوع الذي بدأ به عن الخيل قال العميد: أظنك لم تأكل الخيل يوماً: قلت: نعم، قال: أكلتها في باريس وطعمها لذيذ جداً، وعرضت علينا الضفادع فرفضنا أكلها، فقالت لنا مديرة المطعم: أنتم لا تعرفون الطعام الجيد، ثم قال: وقد أكلت لحوم الجمال كثيراً، وأذكر أنِّي كنت بعد أن طلبت العلم في الأزهر، أطلب من والدتي أن تعد لي لحم الجمال والسَّوِيق لأتشبَّه بالعرب في أكلهم لأكون عربياً قحاً.

السبت ١٩٧٠/١٢/١٢: نعَت الأهرام في هذا اليوم الشيخ محمود أبو رية، وكان من أخلص أصدقاء العميد وأوفاهم له، وكان يزوره كلَّ أسبوع مساء كل جمعة غالباً، وكان العميد في مساء الجمعة الموافق ١١/ ١٢/ ١٩٧٠، في انتظار صديقه ويتوقع قدومه كل لحظة، ومضى الوقت دون أن يأتي الشيخ فقد وُرِيَ التراب في بلدته..

[العميد يترحّم على الشيخ محمود أبو رية وكان من أخلص أصدقائه]

وكنتُ أدرك وقع النبأ على العميد، وفكرت ألّا أخبره أو أقرأ له النعي، ولكني آثرت أن يعرف الحقيقة خوفاً من أن يعرفها من غيري، ولذا حين التقيت به وجلست معه قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فقال: خيراً. قلت: أعظم الله أجركم، قال: فيمن، قلت: الشيخ أبو رية، قال: مات، قلت: نعم، فصمت برهة، ثم هز رأسه في حركة انفعالية قائلاً: مسكين ـ يرحمه الله.

الأحد ١٩٧٠/١٢/١٣: نشر ملحق الأخبار الأدبي كلمة باسم العميد موجهة إلى الهيئة التي تقيم له حفل تكريم في أورغواي، ولما قرأتها قال: عجيب أن يتقوَّل الناس علي ما لم أقله.

والحقيقة أنَّ هذه الكلمة كتبها الأستاذ محمد شوقي أمين بطلب من الدكتور إبراهيم مَدْكور، لأن وزارة الخارجية ـ وهي حلقة الاتصال بين المجمع وتلك الهيئة ـ طلبت ذلك، ولما كانت ظروف العميد الصحية لا تمكنه من كتابة شيء، فقد كلَّف الدكتور الأستاذ شوقي أمين بكتابة الكلمة وإرسالها باسم العميد إلى الصحف، وكنت أعرف هذا، ولم أشأ أن أذكر ذلك للعميد حتى لا يغضب، ويعتقد أن الأمور تسير دون مشورته، وبخاصة أنَّه كان يقول لي أحياناً: إنَّ الدكتور مَدْكور لا يأخذ رأيه في بعض الأمور.

الاثنين ١٩٧٠/١٢/١٤: تحدَّث العميد في مساء هذا اليوم إلى أحد محرري جريدة المساء القاهرية، وقد بدأ حديثه بالإشارة إلى أنه لم يتخرَّج في الأزهر، فقد تركه والتحق بالجامعة الأهلية، وحاول في البداية الجمع بينهما، ولكن عكوفه على قراءة كتب الأدب ودروسه في الجامعة، ثم رسوبه في امتحان العالمية ظلماً، صرفه كل هذا عن الأزهر، ثم أشاد بما تلقاه من دروس على أيدي بعض أساتذته كالمستشرق نللينو وسنتلانا، وانتقل بعد هذا إلى أيام باريس والدرجات العلمية التي حصل عليها من جامعة السوربون.

[إشادة العميد ببعض أساتذته من المستشرقين]

[العميد يتحدث عن النفاق والغرور]

ويسأل المحرر العميد عن النفاق وأثره في حياة الإنسان، ويجيب: إنَّ الإنسان يلجأ إلى النفاق عندما يخشى على نفسه، أو يضلَّ الطريق السليم، وأحياناً يرى المنافق أنَّ الجمع بين الرغبات المختلفة ضرورة تفرضها الظروف، ويحتاج معها إلى النفاق.

ويسأل المحرر عن رأي العميد في الغرور فيقول: إن الغرور هو أحد النتائج المباشرة للنفاق.

[العميد يوضح الفرق بين الصحافة ماضياً وحاضراً]

وعن الفرق بين صحافة اليوم وأمس يقول العميد: إن الصحافة اليوم لا تعرف التنويع ولا تهتم بالأدب، ولا ترعى الرأي الحر، فالصحف اليومية، نسخ مكررة، ولا اختلاف بينها إلا في بعض الجوانب التافهة، أما صحافة الماضي فقد كانت منبراً حراً للرأي والفكر، فأنا مثلاً كنت أكتب في المسرح والأدب والسياسة، وكم حوكمت أنا وزملائي، وصدرت ضدنا أحكام بالغرامة ولم يثننا ذلك عن إبداء آرائنا.

[العميد يرى أن القراءة الجادة هي السبيل الوحيد للأدب الصحيح]

ويرى العميد أنه لا مستقبل للأدب في مصر إذا استمر على ما هو عليه والقراءة الجادة هي السبيل الوحيد للأدب الصحيح.

[العميد يوضح رأيه في الالتزام في الأدب]

وأما مفهوم الالتزام في الأدب، فالعميد يفسره بأنه التزام الكاتب بالبيئة التي يعيش فيها، بمعنى أن يكون مرآة صادقة لها، وإذا حدث التزام مفروض فهذا يفسد الأدب وهو ما يمقته العميد كل المقت.

ويرفض العميد الإجابة عن سؤال يتناول أثره في الأدب العربي، غير أنه يقول: إنني أقول لك سراً لا يعلمه أحد حتى هذه اللحظة، فاسمي في شهادة الميلاد كان: طاهر حسين وليس طه حسين، واضطررت لأن آخذ حكماً من المحكمة بتغيير اسمي، ولكن أحداً لم يناديني باسم طاهر.

[العميد يتحدث عن اسمه (طه)]

وكان للعميد محاولة في كتابة الكلمات حسب نطقها، غير أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح، ويتحدث العميد عنها فيقول: لقد

طالبتُ بإعادة التفكير في إصلاح الكتابة العربية، وناديت بكتابة ما ينطق من الحروف، فاسمي مثلاً ينطق فيه حرفان دون كتابتهما، فلماذا لا يكتب «طاها» بدلاً من «طه».

ويستطرد العميد: واسمي وقد جاء في أول سورة من سور القرآن الكريم ليس اسماً للرسول أو لغيره، وإنما هي حروف بدأت بها السورة كما بدأت سور أخرى بحروف مختلفة.

ثم يقول: وكثيراً ما حاولنا في المجمع اللغوي إعادة النظر في إصلاح الكتابة، وطالبنا وزارة التربية بتشكيل كتبها من المرحلة الابتدائية حتى الليسانس، ولكن الوزارة لم تقم إلا بتشكيل كتب المرحلة الابتدائية.

[العميد يتحدث عن أسباب ضعف التعليم في مصر]

ويسأل العميد عن مستوى التعليم وأهم نقاط الضعف فيه فيجيب: هناك خطأ وقعت فيه عندما كنت وزيراً للمعارف، ربما كان من أسباب ضَعْف مستوى التعليم في بلدنا، ولم يدركه من تولوا الوزارة من بعدي.

إن نجاح تلميذ المرحلة الابتدائية على مدى ست سنوات دون اجتياز امتحان، وحصوله مع هذا على شهادة تثبت إتمامه المرحلة الابتدائية لا يكون متعلماً، فالغالبية العظمى من تلاميذ هذه المرحلة لا يجيدون كتابة أسمائهم.

كذلك أخطأتُ عندما ألغيت دراسة اللغة الإنكليزية من المدارس الابتدائية، لقد كنت أعتقد أن هذا الإلغاء سيتيح الفرصة لتعليم اللغة العربية، بحيث يتخرج تلميذ هذه المرحلة، وقد ألفَ لسانُه النطق العربي الفصيح، وللأسف لم يتعلَّم هذا التلميذ الإنكليزية أو العربية.

[العميد يتحدث عن أثر الحب في حياته]

وعن أثر الحب في حياة عميد الأدب العربي يقول:

لقد أحببت امرأتي قبل أن أتزوجها، وتزوجتها لأني أحببتها، ولا زلتُ حتى هذه اللحظة أحبها، كما أحببتها قبل الزواج مع زيادة

الاعتراف بالجميل، ويكفي أنني لم أستطع إقناعها بشراء جهاز تليفزيون.

[العميد يقول: لم أرضَ يوماً عن نفسي وأنا غير راضٍ تماماً عن كل ما كتبت]

ويسأل العميد: هل كان من الممكن أن يحقق أكثر مما حقَّق في حياته ويجيب: ربما، من يدري، ويستطرد: ولكني لم أرضَ يوماً عن نفسي، فأنا غير راضٍ تماماً عن كل ما كتبت، وكلما فرغت من كتاب وتم طبعه أهملته إهمالاً لا حدَّ له.

الثلاثاء ١٩٧٠/١٢/١٥: توفي في هذا اليوم شقيق العميد الأستاذ حامد حسين وكان أكبر سناً من العميد، ولما بلغه نبأ الوفاة قال: يرحمه الله الدور عليَّ، فقلت له: أطال الله عمرك، ومتَّعك بالصحة، فقال: لا صحَّة والدُّور علي.

[وفاة شقيق العميد الأكبر وحزنه عليه وعلى الشيخ أبي رية جعله شديد النسيان]

وأصيب العميد بعد وفاة صديقه الشيخ أبو رية وشقيقه الأستاذ حامد بحالة نسيان غريبة، كنت أقرأ عليه الصحيفة فيسألني بعد أن ننتهي منها، هل قرأنا الأهرام، ويأتيه الزائر، فما كاد يخرج من عنده حتى يسألني من كان هنا، وكانت هذه الحالة تسبب لي بعض الحرج عندما يأتيه زائر في المساء فيسأله، هل قرأت اليوم موضوع كذا في صحيفة كذا فيقول: لم يقرأ الدسوقي عليَّ هذا الموضوع أو ذاك الخبر، فإذا حاولت أن أذكره بما قرأنا أصرَّ أننا لم نقرأ شيئاً، وأحياناً يقسم بالله أننا لم نقرأ الموضوع، فلا أجد بدأً من الصمت.

[العميد يعترف بأنه أصبح ينسى ويعزو ذلك للشيخوخة]

وأدرك العميد أنه ينسى، فقال: عليه العوض، أنا الآن أنسَى كثيراً، إنه السنُّ والشيخوخة.

ومن الغريب أني كنت أقرأ عليه بعض كتب الأدب العربي القديم مثل «عيون الأخبار» و«مختار الأغاني»، فإذا ورد خبر أو قصيدة علق على الخبر، أو القصيدة، وأحياناً يتلو القصيدة كلها ويذكر فروق الرواية بين كتب الأدب في دقَّة واستقصاء يدلان على حافظة واعية وذاكرة قوية لا تنسى معلومات مضى على تلقِّيها نحو نصف قرن.

الجمعة ١٩٧٠/١٢/١٨: جاء في الجزء الثالث من «عيون الأخبار» في باب التهاني رسالة من رجل يهنئ نصرانياً قد أسلم، قال له: الحمد لله الذي أرشد أمرك، وخصَّ بالتوفيق عزمك، وأوضح فضيلة عقلك ورجاحة رأيك، فما كانت الآداب التي حويتها، والمعرفة التي أوتيتها لتدوم بك على غواية، وديانة شائنة لا تليق بلبك، ولا يبرح ذوو الحجا من موجبي حقِّك ينكرون إبطاءك عن خطك، وتركك البدار إلى الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره ولا يثيب إلا به، فقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. . . إلخ الرسالة.

ولاحظتُ في أثناء قراءة هذه الرسالة أن العميد يهمهم ببعض العبارات التي تدل على أنه غير راضٍ على ما جاء في الرسالة، فأمسكت عن القراءة وقلت للعميد:

ألم يكن الإسلام خاتمة الأديان؟

قال: بلى.

قلت: وهو دين عام للناس جميعاً.

قال: إن القرآن صريح في هذا.

قلت: إن هذا يعني أنّ الإسلام هو الدين الذي يجب أن يخضع له الناس جميعاً.

قال: الإسلام بمعناه اللغوي.

[العميد يفهم معنى آية من القرآن فهماً خاطئاً]

قلت: الإسلام بمعناه الاصطلاحي وليس اللغوي، وهو الدين الذي بُعث به محمد ﷺ، فاليهودي والنصراني ليسا مسلمين ولو تمسكا بتعاليم النصرانية أو اليهودية - مع فرض أن هذه التعاليم صحيحة كما بعث بها عيسى وموسى عليهما السلام - ما داما ينكران نبوة محمد ﷺ وما جاء به من التشريعات والفرائض.

قال: الآية القرآنية تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢] وهي بهذا صريحة في أنَّ المسلم والنصراني والمسيحي والصابئ إذا عمل صالحاً فلهم جزاء عند الله... وليس بلازم أن يؤمن النصراني بمحمد حتى يكون مسلماً، والمهم ألّا يذكر محمداً والقرآن بسوء[1].

ولم أشأ أن أسترسل مع العميد في الجدل فقد كانت مهمتي القراءة لا النقاش، وكنت أغتنم بعض الظروف لأسأل عن بعض الأشياء دون أن يَطْغَى سؤالي على مهمتي حتى لا يضيق العميد بي، أو يتهمني بأنني أضيع الوقت كما كان يتَّهم غيري.

الخميس ١٩٧١/٢/١٨: حمل الأستاذ أحمد علي عقبات ـ عضو مؤتمر المجمع عن الجمهورية العربية اليمنية ـ إلى العميد رسالة من وزير التربية والتعليم اليمني يخبر فيها العميد بافتتاح كليتي الشريعة والقانون والتربية كنواة لجامعة صنعاء، وكلَّفني العميد بكتابة ردٍّ على هذه الرسالة وقراءته عليه قبل نسخه على الآلة الكاتبة وتوقيعه، وقرأت للعميد ما كتبته فوافق عليه وهو كما يلي:

سيادة الأستاذ الجليل وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية اليمنية ـ صنعاء..

---

(١) إن الآية الكريمة ليست كما فهمها العميد، وقد جاءت في معرض الحديث عن اليهود وزعمهم بأنهم وحدهم الناجون والمؤمنون، وقد ردَّ عليهم القرآن أنّ حال المسلمين ومَنْ قبلهم من الملل الأخرى يرجع إلى أمر واحد وهو الإيمان والعمل الصالح، فليس اليهود ـ كما يدعون ـ هم أهل الفضل، وإنما فضل الله يسبغه على عباده المؤمنين الصالحين.

وليس في هذا المعنى اعتراف أو شاهد بأن غير المسلمين بعد الإسلام ناجون ولو لم يؤمنوا به، لأن الإيمان بعد بعثة محمد ﷺ مشروط بالاعتراف بنبوة محمد ﷺ.

ثم إنه لا معنى لعالمية الإسلام وأنه جاء للناس كافة إذا كان غير المؤمنين به ناجين، ولو كانوا يعبدون الله طوعاً لما جاءهم به بعض الأنبياء السابقين؟ (وانظر: «محاسن التأويل للقاسمي» ١٤/٥٠٨٦).

أهدي إليكم أصدق تحيتي، وأخلص مودَّتي راجياً أن تصلكم هذه الرسالة وأنتم على خير ما أتمناه لكم من الصحة والسعادة والتوفيق.

وبعد: فقد سعدتُ كل السعادة برسالتكم الكريمة التي حملها إليَّ الأستاذ أحمد علي عقبات، وزاد من سعادتي ما جاء فيها عن افتتاح كليتي الشريعة والقانون والتربية كنواة لجامعة صنعاء.

وإني إذ أشكركم أعمق الشكر على هذه الرسالة أهنئكم أصدق التهنئة بهذا الحدث العلمي العظيم الذي سيكون له ـ بلا ريب ـ أثره الكبير في مستقبل اليمن الشقيق.

وكل ما أرجوه أن تتفضلوا فتوفدوا خبيراً لدراسة نظم الجامعات وتقاليدها في الجمهورية العربية المتحدة، حتى تستفيد جامعتكم الوليدة بهذه التقاليد وتلك النظم، لتقوم بأداء رسالتها المقدَّسة على أحسن وجه بإذن الله.

سدّد الله خطاكم وحقَّق الخير الكثير على أيديكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان العميد قد نبَّهني إلى إيفاد الخبير الذي يدرس نظم الجامعات في مصر.

الثلاثاء ١٩٧١/٢/٢٣: قال العميد: وأنا بالمجمع بالأمس قال لي الأستاذ المهندس بعد انتهاء الجلسة: ألا تحضر معنا الغداء اليوم في «شبرد» ـ وكان المجمع قد دعا إلى حفلة غداء تكريماً لأعضائه بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي ـ ثم سألني: من كان الداعي لهذا الغداء؟ قلت: المجمع والدعوة موجهة باسمكم، فقال: هذا شيء عجيب يبدو أن الأمور تسير في المجمع دون علمي، أنا الداعي لهذا الغداء ثم لا أعلم، أبلغ الدكتور مَذكور والأستاذ العزباوي أني متشكِّر جداً ولا بدَّ أن أستقيل فلست صنماً.

وحاولتُ أن أخفف من شعور العميد بالضيق والأسَى دون جدوى، وفي اليوم التالي حضر إلى المجمع، وقبل حضوره أخبرت الدكتور مدكور فقال: أنت تعرف الحقيقة فالرجل يَنْسَى، وأنا أقدر مشاعره وسأتحدث معه اليوم إن حضر.

وبعد انتهاء الجلسة دار بين العميد والدكتور مَدْكور حديث حول هذا الموضوع، وكان العميد يصر على أن الأمور تسير دون علمه والدكتور مدكور يحاول أن يوضح أن هذا غير صحيح، ولكن العميد كان يكتفي بهز رأسه علامة على إصراره على رأيه.

[العميد يهدي نسخة من كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» إلى وزير التربية اليمني]

الأحد ١٩٧١/٣/٨: زار العميد مساءَ الأستاذ أحمد عقبات لتوديعه قبل عودته إلى اليمن بعد أن حضر مؤتمر المجمع، وقد أخذ الرسالة التي أرسلها العميد إلى وزير التربية اليمني رداً على رسالته، وحمل معها أيضاً كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» هدية من العميد إلى الوزير.

[كان العميد أول من تخرّج في الجامعة الأهلية بمصر التي أسست عام ١٩٠٨]

وتحدث العميد عن الجامعات العربية، واهتم بوجه خاص بالحديث عن الجامعة الأهلية وتاريخ إنشائها في عام ١٩٠٨، ثم تحويلها إلى جامعة حكومية عام ١٩٢٥، ثم قال: لقد كنت أول من تخرج في هذه الجامعة وحصل على الدكتوراه منها، وأذكر أن الأستاذ المرحوم عبد الرحيم محمود ـ وهو من أهالي الصعيد الأعلى وكان يمتاز بالذكاء والنشاط ـ قرأ لي «اللزوميات» و«سِقْط الزند»، وكان يتغنَّى بالشعر وهو يقرؤه وبعدها كتبت رسالتي عن أبي العلاء.

وسألت العميد: هل كتبتم هذه الرسالة في نحو ستة أشهر كما يقال:

وأجاب: لا أذكر بالضبط المدة التي كتبت فيها رسالتي.

وقال الأستاذ عقبات: إن القاضي الإرياني رئيس المجلس الجمهوري اليمني يبعث إلى العميد أطيب تحياته وتمنياته، ويعده بأنه سيبحث عن بقية أجزاء كتاب «المغني» للقاضي عبد الجبار، فبعد أن حُلَّت المشكلة اليمنية وسُوِّيت الخلافات بين مصر والسعودية فقد

أصبح من الميسور البحث في مكتبات صنعاء عن أجزاء هذا الكتاب.
ثم قال: إن مدينة صَعْدة كانت تحت سيطرة القوات الملكية ولكنها الآن بعد انتهاء المشكلة مدينة من مدن الجمهورية اليمنية، وكان أهلها وقت احتدام الصراع قد نزعوا أبواب المكتبات ونوافذها وأغلقوها بالبناء المسلح خوفاً من أن تمتد أيدي اللصوص إلى كنوز هذه المكتبات...

وشكر العميد للأستاذ عقبات زيارته وحمله أطيب تحياته للقاضي الإرياني وللسيد وزير التربية والتعليم.

الأحد ١٩٧١/٣/١٤: كانت صحة العميد صباح هذا اليوم طيبة، ولكن ألفيته مساء في حالة صحية سيئة، وعرفتُ أنه لم يتناول طعام الغداء، ولم يقبل أن يأكل شيئاً في المساء، وكان هذا يقلق زوجته، ويجعلها تغضب من زوجها ولا تأكل هي الأخرى.

[العميد يستمع لما يقرأ عليه وهو في حالة سيئة من الألم ويراجع في بعض ما يقرأ عليه]

كنت أقرأ له وهو في فراشه يتألم بصورة قاسية، وكنت أمسك عن القراءة أحياناً لأعطيه بعض الأدوية، ولكن الجدير بالذكر أنه وهو في هذه الحالة كان يراجعني في بعض المسائل، فهذه كلمة نطقتها بالغين لأنها معجمة، فيقول: هذا خطأ وإنما هي بالعين المهملة، وهذه قصيدة تختلف حركة رويها فيقول هذا إقواء، وهكذا...

الأحد ١٩٧١/٣/٢١: ورد الخبر التالي في الجزء الخامس من كتاب «مختار الأغاني»:

[العميد يذم عصبية قوم من اليمن أقاموا بحمص]

كان خطيب حِمْصَ يصلي على النبي ﷺ ثلاث مرات في خطبته، وأهل حِمْصَ كلُّهم من اليمن، لم يكن فيهم من مُضَر إلا ثلاثة أبيات، فتعصبوا على الخطيب وعزلوه، فقال فيهم ديك الجنّ:

سمعوا الصلاةَ على النبيِّ توالَى ... فتفرقوا شِيَعاً وقالوا لا لا
ثم استمرَّ على الصلاة إمامهم ... فتحزَّبوا ورمَى الرجالُ رجالا
شاهت وجوهُكُمُ وجوهٌ طالما ... رَغِمَتْ معاطِسُها وساءت حالا

وعقَّب العميد على هذا الخبر بقوله: هؤلاء قوم سفهاء أو جُهَلاء، وهم بعصبيتهم هذه ليسوا من الإسلام في شيء.

الأحد ١٩٧١/٣/٢٨: حملتُ إلى العميد في صباح هذا اليوم محضر جلسة المجمع التي عقدها يوم الاثنين الماضي، ولم يكن قد حضرها بسبب المرض الذي ألزمه الفراش نحو عشرة أيام، وكان في هذا المحضر فقرة تتعلَّق باختيار العميد والدكتور مَدْكور ممثِّلين لمجمع القاهرة في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وكان الاتحاد بين مجمع دمشق وبغداد والقاهرة قد وُوفق عليه من أعضاء هذه المجامع، وقال العميد بعد أن قرأت عليه هذا: إنَّ فكرة هذا الاتحاد نبتتْ في منزلي هنا، لقد كان في زيارتي بعض أعضاء مجمع دمشق، فقلت لهم: ألا يمكن أن نقيم اتحاداً بين المجامع اللغوية في العالم العربي، فراقت لهم الفكرة، ثم أخذنا بعد ذلك في الإجراءات الخاصة بهذا الاتحاد حتى تحقَّق من الناحية القانونية، وأرجو أن تتاح له الميزانية التي تجعل هذا التحقق القانوني واقعاً عملاً.

[العميد يتحدث عن فكرة اتحاد مجامع دمشق وبغداد والقاهرة]

فقلت: أظن أن ميزانية المجمع الجديدة ١٩٧١/ ١٩٧٢ فيها بند خاص بمبلغ لهذا الاتحاد.

قال: لقد طلبنا نحو ألف جنيه ولعل وزارة الخزانة توافق على هذا.

وبعد الانتهاء من قراءة الصحف طلب مني العميد أنْ أعدّ رسالةً تُبعث إلى الدكتور حافظ غانم وزير التربية بخصوص حق العميد المالي في كتبه التي قررتها الوزارة على تلامذة المدارس.

وكانت الوزارة قد قرَّرت الجزء الأول من «الأيام» على تلاميذ الصف الثالث الإعدادي، والجزء الأول من «على هامش السيرة» على الصف الأول الثانوي دون الرجوع إلى العميد والاتفاق معه حول حقه المالي، واكتفت بالرجوع إلى دار المعارف ودفعت لها مبلغاً لم يرضَ

عنه، وعدَّ هذا التصرف إهانة له، ونشرت بعض الصحف أنَّ العميدَ غاضب مما فعلت وزارة التربية، واهتم الوزير بالموضوع وطلب هذه الرسالة لإعادة النظر في تقدير حق المؤلف المالي.

الأحد ١٩٧١/٤/٢٥: اتصل هاتفياً بالعميد صباحاً الدكتور لويس عوض يطلب الإذن للحضور مع وفد من المنيا للزيارة، ولكن العميد اعتذر بسبب حالته الصحية، ثم قال: أنا لستُ من المنيا، فقد ولدت في مغاغة غير أني زرت المنيا بعض المرات.

وفي المساء زاره الأستاذ حسين ذو الفقار صبري ليودِّعه قبل سفره إلى بِرِنْ ليعمل سفيراً لبلاده بها، ويدأ الأستاذ صبري حديثه بأنه لم يكتب منذ فترة سوى قصتين لم يُنشرا بعد، وشكا من ضعف المستوى الأدبي للكتاب الشبَّان، ووافقه العميد على هذا.

[العميد يتحدث عن حياته العلمية الباكرة قبل التحاقه بالأزهر]

وتطرق الحديث إلى حياة العميد العلمية الباكرة قبل التحاقه بالأزهر فقال: لقد حفظت وأنا ما زلت في القرية «ألفية ابن مالك»، وكتاب «الكنز» في الفقه الحنفي، و«تلخيص السعد» في البلاغة، كان أخي الشيخ أحمد في الإجازة يحفِّظني هذه الكتب، وأذكر أن الشيخ المَرْصِفي كان وهو يشرح لنا «الكامل» للمبرِّد يكمِّل ما أورده المؤلف من قصائد ناقصة ويقول لي: أنت مسؤول عنها، وكنت أحفظ القصيدة إذا سمعتها مرة واحدة، وأذكر أيضاً أني حفظت «الحماسة» وأنا في الأزهر، وكنت أقول الشعر تقليداً لما في الحماسة، ولكني نسيت ما حفظته كله سوى أبيات قلائل، وأشار الأستاذ ذو الفقار صبري إلى كتاب «النحو الوافي» للأستاذ عباس حسن، فقال العميد: عباس هذا معنا في المجمع، ويتعارك مع زملائه دائماً، وأذكر أني دخلت عليه بعض الفصول ـ حين كنت مستشاراً بوزارة المعارف ـ وكان يدرِّس الأدب العربي، ويقرأ البيت التالي هكذا:

[العميد يتحدث عن عباس حسن مؤلف كتاب (النحو الوافي)]

صِفَةُ الطلولِ بلاغةُ القدم   فاجعل حديثك لابنة الكَرْمِ

فقلت له: يا أستاذ عباس: بلاغة الفدم بالفاء لا بالقاف، فأصر على قراءته، وحاولت أن أوضح له الفرق في الدلالة بين الفاء والقاف في هذا البيت والمعنى الذي يتحدث عنه الشاعر دون جَدْوى، وأيقنت من يومها أن هذا الرجل جَدِل، وأنه في جدله يكابر ويصر على ما يراه وإن كان خطأ.

[العميد يقول: إنه ما راجع نصاً كتبه ولا رضي عن كتاب ألّفه]

ولما شكا الأستاذ ذو الفقار من أنه يكتب أحياناً الصفحة، ثم يقرؤها، فيحذف منها بعض الفقرات أو يمزقها قال له: اكتب على سجيتك، فإنك لن تحتاج إلى مثل هذه المراجعة، وقال الأستاذ ذو الفقار: ليس كل الكتّاب مثلكم يكتبون ولا يراجعون، وأذكر أن مشاهير الكتاب الغربيين كانوا كثيراً ما يمزقون ما يكتبون ولا يرضون عنه، وعلّق العميد على هذا بأنه ما راجع نصاً كتبه، وما رضي عن كتاب ألّفه.

الاثنين ١٩٧١/١٠/١١: كانت «رامتان» قد تعرضت لحادث سطو قبل عودة العميد من رحلته الصيفية بنحو أسبوعين، وقد تمكّنت الشرطة من القبض على الجُناة وإرجاع المسروقات فيما عدا بعض أدوات الطعام الفضية.

[العميد يقول: التأمين على الحياة تأمين ضد إرادة الله]

وكان قد نجم عن هذا السطو تحطُّم بعض النوافذ، وقال لي العميد ـ وكان لقائي معه في هذا اليوم أول لقاء بعد عودته من رحلته ـ: إننا مؤمّنون على البيت، لكننا غير مؤمّنين على أنفسنا، فأرواحنا بيد الله والتأمين على الحياة تأمين ضد إرادة الله.

الأحد ١٩٧١/١١/٢٨: زار العميدَ مساءً الكاتب الصحفي الأستاذ سامي داود، وكان قد اتصل هاتفياً صباحاً وأخبر العميد أن هناك موضوعاً يجب أن يعرضَه عليه، وسأله العميد عن الموضوع الذي جاء الأستاذ سامي من أجله، فتردّد في الإفصاح عنه وكأنه يود أن يفضي به إلى العميد على انفراد، ولكن العميد قال له: تحدث فالدسوقي ليس غريباً.

وكان هذا الموضوع يتعلق بوساطة الأستاذ سامي مع شركة لبنانية تريد شراء حق استغلال كتاب «على هامش السيرة» لإخراجه مسلسلة «تلفزيونية» وتقوم ببيعها لحسابها في البلاد العربية، على أن تدفع للعميد لقاء هذا مبلغ ثلاثة آلاف جنيه. وقبل العميد هذا العرض، واتفق مع الأستاذ سامي على أن تدفع الشركة مبلغ ألفين وخمسمائة جنيه نقداً، ثم ترسل الباقي من بيروت عن طريق التحويل الرسمي، حتى لا يخضع للضريبة إلا المبلغ المحوَّل فقط.

ووعد الأستاذ سامي بوضع المبلغ المطلوب نقداً في حساب العميد في المصرف، ثم يوقع بعد هذا على خطاب يعطي لتلك الشركة الحق في استغلال ذلك الكتاب، وانصرف الأستاذ سامي دون أن ينفذ ما وعد به العميد، ولم يتصل به هذا ليحدثه في الموضوع مرة أخرى.

وكان الأستاذ أنطون غزال قد عمل سكرتيراً للعميد منذ أوائل الصيف الماضي، وكانت إجازته الأسبوعية يوم الأحد، وفي نحو الثامنة مساء اتصل هاتفياً بالعميد، وقال إنه مريض، ويريد أن يستريح يومين، غير أنه لم يحضر بعد ذلك، وأخبر مديرَ المجمع الأستاذ عبد الكريم العزباوي بأنه لا يريد الاستمرار في عمله، ويطلب منه أن يخبر العميد بهذا، ونقلت إلى العميد ما أخبرني به الأستاذ العزباوي، وأسف العميد لتصرف الأستاذ أنطون، فقد كان يجب عليه أن يبدي رغبته في عدم الاستمرار في العمل قبل انقطاعه بفترة، ثم قال: إن الواحد منهم - يعني الذين عملوا معه - إذا عادوا من الرحلة وهم لا يتكلّفون فيها شيئاً، يتنكرون ويهربون، هذا خُلُق غير حميد وأرجو أن نوفق في العثور على سكرتير يكون خيراً من هؤلاء.

السبت ١٩٧١/١٢/٤: حضر في صباح هذا اليوم مندوب شركة الشرق للتأمين لإنهاء التحقيق في قضية سرقة بيت العميد حتى تدفع الشركة مبلغ التعويض، وفي أثناء انهماك مندوب الشركة في كتابة المحضر، والجميع في صمت قال العميد في خفوت: غريبة، فقلت له:

ماذا؟ قال: إني أفكر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤١]، وأريد أن أعرف الآية التي قبلها فلا أستطيع، فهل تعرفها؟ فقلت ـ بعد أن سمح لي العميد ببعض الوقت لأتذكرها ـ إن الآية التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

ثم شُغلنا بعد ذلك مع مندوب الشركة، وكانت زوجة العميد تشارك في الحديث أحياناً، غير أنها ما كانت تستطيع متابعته لأنه كان بالعربية وهي لا تعرفها كتابة أو حديثاً، وكل ما تعرفه منها بعض كلمات عامية تنطقها في لُكْنة أعجمية، ولذلك طلبت من المندوب أن يكتب لها وثيقة التأمين باللغة الفرنسية حتى يمكنها أن تقرأها وتفهمها، فوعدها بذلك.

[وزير التربية السوداني يزور العميد ويثني عليه]

الثلاثاء ١٩٧١/١٢/٧: زار العميدَ مساءً الدكتور محيي الدين صابر وزير التربية والتعليم السوداني، والدكتور محمد المعتصم مدير إذاعة ركن السودان بالقاهرة وبعض المذيعين، ونبَّهتْ عليَّ زوجة العميد ألا أسمح بتسجيل أي كلام له، وذلك لأنها كانت تدرك ظاهرة النسيان التي طرأت عليه، وخافت أن يسجل له حديث يسيء إليه، ولهذا اقتصر اللقاء بين العميد والوزير السوداني على مناقشة عرضت لبعض القضايا الفكرية العامة دون تسجيل شيء.

وكانت ظروف العميد الصحية قد حالت بينه وبين لقاء زواره في حجرة المكتب أو الجلوس في الطابق الأول، وقد استقبلهم في غرفة الجلوس في الطابق الثاني، واعتذر لهم، لأن هبوط السلَّم وصعوده يرهقه كل الإرهاق، بل أصبح يحمل إذا أراد النزول أو الصعود، وردَّ الوزير السوداني قائلاً: ليس بيننا غريب عليك، فالكل تلاميذك وأبناؤك وفَضْلك على الجميع سابغ، فقال العميد: هذا أكثر مما أستحق. غير أن الوزير السوداني يعترض قائلاً: وكيف لا تستحق، وقد أخذت على عاتقك مهمة تعليم الأجيال منذ أن قلتَها ذات يوم: «لم أتعلم لأنتفع وحدي» وكان ذلك منذ نحو نصف قرن مضى.

ويقول العميد: لقد كانت هذه الكلمات ضمن كلمات صدَّرت بها ترجمتي لكتاب «نظام الأثينيين»، وأذكر أنها كانت بالفعل عام ١٩٢١ ويوضح الوزير أن هذه الكلمات ليست مجرد آراء تسجل في الكتب أو تلقى في قاعات الدرس دون أن يكون لها في حياة الناس أثر عملي، فيقول: لم تكن هذه الكلمات أو غيرها مما تقوله في كتبك أو تلقيه في قاعات الدراسة الجامعية إلا ميثاقاً وعهداً تقطعه على نفسك، فأنت من القلائل الذين يأخذون الفكرة بالعمل، كلما أتاحت لهم الدولة أن يعملوا، وأنت أيضاً لم تكن كسواك من أساتذة الجامعة الذين يعيشون في أبراجهم العاجيَّة، ويلقون بآرائهم إلى تلاميذهم، فما تلبث هذه الآراء أن تتبخر من عقول هؤلاء لأنها آراء تجنح إلى الخيال أكثر مما تتصل بالواقع، ولكنك كنت تراعي إمكانية تحويل الفكرة إلى واقع عملي في الحاضر والمستقبل.

وهذا سر من أسرار عظمة المفكر والعبقري الذي أصبح اسمه قريباً من كل قلب ويردده كل لسان، اسم طه حسين.

[ويثني على كتاب «مستقبل الثقافة»]

لقد كتبت كتابك «مستقبل الثقافة في مصر» وخرجت من بحوثه بخطط ونظريات جريئة، لعلَّ أهمها أن يكون التعليم كالماء والهواء. وحين أتيح لك أن تتسَّلم مقاليد التعاليم بعد ذلك لم تألُ جهداً في تحقيق نظرية حاجة الإنسان إلى التعليم لحاجته إلى الماء والهواء. وابتسم العميد ثم قال: هل تعلم أنَّ من تثني عليه الآن، لقي بالأمس كرهاً من البعض، وسخرية من البعض الآخر، والاثنان اتفقا على تسميتي بوزير الماء والهواء وليس وزير المعارف.

[العميد يسأل الوزير عن التعليم في السودان]

ويتحول مجرى الحديث حين يسأل العميد: وما حالك أنت وحال التعليم في السودان؟

ويجيب الوزير قائلاً: إن حالي هو حال من يتولَّى قُطاعاً من قطاعات العمل كان يتولاها أستاذ عظيم، إنه حال من يشعر بضخامة

المسؤولية، ويقدر الجهد الضخم الذي بذله أستاذه في هذا الميدان حتى بلغ بالتعليم مستواه الذي يجب أن يبلغه، ومع هذا أطمع أن أوفق في حمل المسؤولية وأداء الواجب الذي كنتَ في أدائه رائداً لكل من تولّى أمر التعليم في الوطن العربي.

وأما حال التعليم في السودان، فقد شرعنا نطبق سياسة الماء والهواء، ونقضي على رواسب الاستعمار وما وضعه من نظم للتعليم، وبعد ثورة الخامس والعشرين من مايو استقرت الأوضاع في أيدي أبناء السودان الذين يحرصون على مصالح الجماهير، ونال التعليم إصلاحات ثورية عظيمة.

ويسأل العميد: أفهم من هذا أن التعليم في السودان بالمجان.

ويقول الوزير: نعم التعليم بالمجان، وطبقنا سياستكم، سياسة الماء والهواء في التعليم، والخلاف البسيط أننا طبقنا سياسة الهواء فقط، فالماء عندنا له ثمن.

ويعترض العميد قائلاً: الماء لا ثمن له، وما يدفع إنما هو لنقله، فماء النيل للسودانيين والمصريين دون ثمن.

ويعترف الوزير بأن هذا صحيح.

ثم يسأل العميد: هل هناك مشكلات تواجهونها؟

ويجيب الوزير: إن التطوُّر العلمي الذي يأتي كل يوم بجديد يحدث كثيراً من المشكلات التي تواجه كل مسؤول عن التعليم، فنحن مطالبون بمواكبة التطور العلمي، وهذا يتطلب إمكانات مادية وجهوداً بشرية.

ويقول العميد: لقد حاولنا التغلُّب على مثل هذه المشكلات بإنشاء الجامعات، فقد اشتركت مع نجيب الهلالي في إنشاء جامعة الإسكندرية، وبعدها أنشأت جامعة عين شمس، وحيل بيني وبين إنشاء جامعة أسيوط وقد قامت بعد ذلك.

[حوار بين العميد والوزير السوداني حول كليات الجامعية العلمية والنظرية]

ويستطرد الوزير السوداني قائلاً: يلاحظ أنَّ الإقبال على الكليات العلمية أكثر منه على الكليات النظرية، كما يلاحظ أن الذين يدخلون هذه الكليات في معظم الأحيان مُكْرَهون، وأن الذين أتيح لهم دخول الكليات العلمية ينظرون إلى زملائهم نظرة تقلل من دورهم في بناء المجتمع. ويعقِّب العميد على كلمة الوزير فيقول: إن هذا نوع من الانحراف في التفكير، ولا أدري لماذا استقر في الأذهان مثل هذا الموقف؟ فإذا كان هذا العصر يؤمن بالمنهج العلمي والعلوم الطبيعية، فإن علينا أن نُعنى بالإنسان والعلوم الإنسانية عنايتنا بتلك العلوم. ثم إن العلوم الإنسانية نوع من العلم بمفهومه العام، فهذا الموقف وذاك نوع من الانحراف في التفكير كما قلت.

ويعلِّل الوزير لهذا الانحراف فيقول: لعل مصدر ذلك رواج سوق الطب والهندسة على حين كسدت سوق الأدب والعلوم النظرية.

ويسأل العميد: ولماذا أصبحت سوق الأدب غير رابحة؟

ويجيب الوزير: أعتقد أن النشاط الاقتصادي يرتبط كل الارتباط بالعلوم الطبيعية، فهم يقولون: إن القصيدة لا تنشئ مصنعاً.

ويقول العميد: إن الإنسان هو الذي ينشئ المصنع ولسلوكه وفلسفته في الحياة دخل في ذلك بلا جدال، ومن هنا تصبح للعلوم الإنسانية أهمية في حاضرنا ومستقبلنا لا تقل عن أهمية العلوم الطبيعية.

ويقول الوزير: يبدو أن هناك سبباً آخر لكساد سوق الأدب، وهو هبوط مستواه، لأن الأدباء ابتعدوا عن بذل الجهد فقلَّ لديهم الخلق والابتكار، فانصرف الناس عنهم إلى غيرهم...

[سؤال للعميد عن الأدب والثقافة في السودان]

ويسأل العميد عن الأدب والثقافة في السودان، ويجيب الوزير قائلاً:

الأدب والثقافة في السودان بخير، غير أن السودانيين يعتبون

١

على المصريين، لأنهم لا يهتمون الاهتمام الواجب بالثقافة السودانية، ويتساءلون: أين صدى الثقافة السودانية في القاهرة؟

ويرد العميد قائلاً: هذا لا أستبعده، فالمصريون أدباء وغير أدباء، مشغولون بأنفسهم، فهذا نوع من التقصير تجاه القطر السوداني الشقيق، ولكني أعتب على الأدباء السودانيين لأنهم لا يبعثون بإنتاجهم إليَّ، فلم يصلني من الأدب السوداني إلا ديوان شعر للدكتور عبد الله الطيِّب، وأعتقد أني قلت رأيي فيه بعد قراءته.

ويقول الوزير: لقد ظهرت دواوين عديدة وأعمال أدبية كثيرة قدَّمها كتاب سودانيون شبان في مقدمتهم الطيِّب صالح.

ويقول الوزير: لم يصلني من هؤلاء الأدباء شيء، فلم أقرأ لهم، وأرجو ألا يكونوا كالأدباء الشبان في مصر، يقدِّمون إنتاجاً ضعيفاً فنياً ولغوياً لأنهم لا يقرؤون الأدب القديم، بل هم لا يقرؤون الأدب الحديث كما ينبغي أن تكون القراءة.

ويدعو الوزير العميد لزيارة السودان، ويعتذر العميد شاكراً، لأن صحته لا تساعده على ذلك.

الخميس ١٩٧١/١٢/١٦: نشرت الصحف أنَّ الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإعلام قد حصل على وسام من ألمانيا الديمقراطية، فطلب مني العميد أن أبعث إليه بالبرقية التالية:

السيد الجليل وزير الثقافة والإعلام

أزكَى التحيات، وأصدق التهنئة بالوسام الجديد

طه حسين

الجمعة ٧١/١٢/١٧: انطلقت بنا سيارة العميد في صباح هذا اليوم في رحلة نحو مدينة المحموديَّة، ثم انعطفت بنا إلى حلوان، وما أن دخلنا هذه المدينة ـ مدينة المصانع ـ حتى قال العميد: كان يسكن حلوان بعض حكام مصر في زمن الأمويين، وأظنه عبد العزيز بن

مروان، وقد زاره هنا الشاعر ابن قيس الرقيات ومدحه، ومما قاله في حلوان:

سقيا لحلوان ذي الكروم وما ... صنف من تينه ومن عنبه

وتطرق إلى الحديث عن نَخْلَتي حلوان[1] وما قال فيهما الشعراء، وأفاض الرجل في الإنشاد الشعري، ولم أستطع أن أدون ما قاله، وكان أحياناً يترجم لزوجه بعض الأشعار إلى الفرنسية.

[العميد يثني على كلمة كتبها عنه الكاتب التونسي: محمد الصادق بسيس]

السبت ١٩٧٢/١/١: تلقى العميدُ عدداً من صحيفة العمل الثقافي التونسية والصادر بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٧١، وفي هذا العدد مقالة في باب زاويتي تحت عنوان «تحية إلى طه حسين»، بقلم الأستاذ محمد الصادق بسيس، واستهل الكاتب مقالته بالإشارة إلى ما نشرته بعض صحف القاهرة من أن العيد الثاني والثمانين للعميد لم تحتفل به الأوساط الثقافية بالطريقة اللائقة، وعزَّ على الكاتب أن يلقى العميدُ - على فضله وأثره في حياتنا الفكرية المعاصرة - هذا الجحود والنسيان، وأخذ بعد هذا يشير إلى أمجاد العميد ونضاله الفكري، واهتم الأستاذ الصادق بقضية الشعر الجاهلي، وأومأ إلى أنه يكفي أن تكون إثارة هذه القضية قد نبهت إلى الأدب الجاهلي وحاجتنا إليه، كما عرج على كتاب «حديث الأربعاء» ومقدمته التي تشهد بتواضع العميد وخلقه الكريم.

وختم الأستاذ الصادق مقالته الطويلة التي استغرقت صفحة كاملة بتحية العميد وتمنى العمر الطويل له.

وقال العميد عن هذه المقالة: إنها طيبة ويجب شكر صاحبها.

الثلاثاء ١٩٧٢/١/٤: كان من المقرر أن تنعقد لجنة جوائز الدولة

---

(١) المقصود بهما نخلتان بناحية حلوان في آخر سواد العراق، فليست حلوان المصرية، وأول من تحدث عن النخلتين الشاعر الأموي العباسي مطيع بن أياس. (وانظر: «مجلة الرسالة» سنة ١٩٤٩ ص١٦٦).

التقديرية في منزل العميد برئاسته في نحو الحادية عشرة والنصف صباحاً لتصفية أسماء المرشحين قبل عرضها على المجلس الأعلى للفنون والآداب، وكان عليَّ أن أبكِّر في الذهاب إلى رامتان، وفور وصولي عرفت أنَّ العميد ينام في فراشه في غيبوبة كاملة، لأنه وقع وهو يقضي حاجته فأصيب بجرح في جبهته، فحمل إلى السرير فاقد الوعي، وقد طلب أحد الأطباء لإعطائه حقنة إسعاف، ولكنه لم يأت حتى الآن، والزوجة لقلقها واضطرابها لا يمكنها أن تعطي الحقنة، فأسرعت بالصعود إلى غرفة العميد، وألفيته في فراشه تعلو جبهته قطع الثلج، لتخفيف أثر الصدمة ووقف نزيف الدم، وبادرت بإعطائه الحقنة بنفسي في ذراعه، ولم يشعر بشيء، غير أنه بعد قليل بدأ يتكلم في صعوبة ولا يدري ماذا به، وكان يردِّد فقط: أنا تعبان جداً. .

واسترد العميد وعيه شيئاً فشيئاً، وكان أعضاء لجنة الجوائز قد أخذوا يتوافدون، ولكن لم تنعقد اللجنة لما حدث.

الأربعاء ١٩٧٢/١/١٢: حضر في صباح هذا اليوم الأستاذ مرقص غطَّاس بشارة وهو شاب في نحو الرابعة والعشرين من عمره، وتخرج في مدرسة الألسُن قسم اللغة الفرنسية، وقد جاء ليعرف العميد مدى قدرته على القراءة بالعربية والفرنسية، ورأى أن مستواه لا بأس به، واتفق على أن يبدأ الأستاذ مرقص العمل يوم السبت الموافق ١٥/ ١/ ١٩٧٢. ولكنه لم يستمر سوى ثلاثة أيام وانقطع بحجة أنَّ زوجة العميد شديدة وعاملته معاملة لا تليق به، وقد اتصل بي هاتفياً في مساء الأربعاء الموافق ١٩/ ١/ ١٩٧٢، وذكر لي أنَّ زوجة العميد عاملته معاملة لا يرضاها، ومن ذلك أنه لما هنأها بتعيين الدكتور محمد حسن الزيات زوج ابنتها وزير الدولة للإعلام، وكان يشغل منصب رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة. وكان هذا في التغيير الوزاري الذي رأس فيه الدكتور عزيز صدقي الوزارة بدلاً من الدكتور محمود فوزي الذي عين نائباً لرئيس الجمهورية، لما هنأها قالت له: هذه مسائل عائلية لا

تتدخل فيها، كما أنها ـ على حد تعبيره ـ قالت له أيضاً: إنك صغير لا تفهم شيئاً.

والحقيقة أنّ الأستاذ مرقص منذ أول يوم جاء فيه إلى العميد صرَّح بأنه لا يريد السفر إلى إيطاليا فهو وحيد والديه، وأبدَى رغبته في أن يزكيه العميد بخطاب ليعمل في المطار، فقلت له: هذا أمر لا يمكن الحديث فيه مع العميد الآن، ويمكن بعد فترة أن أساعدك في هذا الأمر.

الأحد ١٩٧٢/١/٣٠: سعى إلى بيت العميد مساء هذا اليوم الدكتور سهيل إدريس والأستاذ منير البعلبكي وكانا في القاهرة بمناسبة سوق الكتاب، ولم تسمح صحة العميد بلقائهما، وتصادف أنَّ الدكتور محمد حسن الزيات كان في زيارة العميد فاستقبلهما، وجلسنا معاً في حجرة المكتبة وقلت للأستاذ منير: إن العميد يعتب عليك، لأن الأستاذ بهيج عثمان لم يردّ على الرسائل التي أرسلت إليه بخصوص حق العميد في كتاب «تاريخ الأدب العربي» الذي أصدرته دار العلم للملايين، ورد الأستاذ منير بأنه حضر لهذا الموضوع وأنه يحمل مبلغ ثلاثمئة جنيه دفعة أولى من حق المؤلف، وأن هناك اتفاقاً بين الأستاذ بهيج والعميد حول نشر هذا الكتاب، وكان الاتفاق ينص على أن يتولى الدكتور شكري فيصل جمع المادة العلمية، وبعضها محاضرات ألقاها العميد على طلبته في الجامعة ولم تنشر، والمفروض أن يكون الدكتور شكري قد لقي العميد لهذا الغرض، فأخبرته أن الدكتور شكري لم يتصل بالعميد، وهنا قال الدكتور سهيل: أذكر أني كنت مع الأستاذ بهيج وأن الدكتور أذن له بإخراج كتاب عن تاريخ الأدب العربي، ولكني لا أتذكر هل دفع الأستاذ بهيج شيئاً أو لا، وبهذه المناسبة، أحضرت معي مبلغ مائتي جنيه حق الطبعة الثانية من «مذكرات طه حسين».

وتسلَّمت المبلغين وصعدت بهما إلى العميد، فقال لي: أبلغ

الدكتور سهيل أن مئتي جنيه لا تكفي، وأنه آسف لعدم استطاعته لقاءهما، ويمكن لهما أن يحضرا ظهر غد.

وحضر الأستاذان في الساعة الثانية عشرة ظهر الاثنين الموافق ٣١/ ١/ ١٩٧٢.. وكان العميد ما زال في فراشه، واستقبلتهما في غرفة نومه، ودار الحديث حول كتاب «تاريخ الأدب العربي»، ودافع الأستاذ منير عن موقف الأستاذ بهيج، ووعد بأن يرسل من بيروت رسالة توضح كل شيء.

ولما قدَّم الدكتور سهيل خمسين جنيهاً بالإضافة إلى ما دفعه أمس رفض العميد، وطلب مئة أخرى، فلم يناقش الدكتور سهيل في هذا ودفع ما طلبه أستاذه العميد.

[العميد يتحدث عن رأيه القديم في الزواج، كما يتحدث عن زوجته الفرنسية وكيف تزوجها]

الثلاثاء ١٩٧٢/٢/١: ونحن نقرأ الصحف ورد خبر عن الزواج ومشكلاته في بعض دول العالم، فقال العميد بعد قراءته: كان مذهبي هو مذهب أبي العلاء في العزوف عن الزواج، قلت: لماذا أخذت بهذا المذهب، قال: لأني مثل أبي العلاء في العاهة، ولأني أحببته وكتبت عنه رسالتي للدكتوراه، قلت: يبدو أن زوجتكم كانت السبب في تخلِّيكم عن مذهب أبي العلاء، قال: إن زوجتي كانت تقرأ لي في الجامعة بأجر، فأعجبني صوتها وطريقة حديثها، فأحببتها وغلب حبها على مذهب أبي العلاء، فطلبت منها الزواج، فاستشارت بعض أهلها، فأشاروا عليها بعدم الزواج منِّي، لأني أجنبي وكفيف، ولكنها لم تأخذ بمشورتهم. فقلت: لو كان قد قُدِّر لكم الزواج من امرأة أخرى، فهل كان سيؤثر ذلك عليكم، قال: بالطبع، لقد قرأت لي الأدب الكلاسيكي الفرنسي، وعاونتني في دراسة اللغة اللاتينية، وفتحت أمامي آفاقاً فكرية أثَّرت في ثقافتي وأدبي تأثيراً واضحاً..

الاثنين ١٩٧٢/٢/٧: بدأ المجمع اللغوي مؤتمره الثامن والثلاثين وكان من المقرر أن يحضر العميد جلسة الافتتاح، لكنه لم يتمكن من

الحضور لمرض شديد ألمَّ به، ولما ذهبت إليه وجدته نائماً في فراشه وما كدت أجلس بجوار سريره حتى قال: في «داهية» يعني أن الموت خير ممَّا هو فيه، واستطرد: لقد جاوزت ثمانين عاماً، ورحم الله زُهَيراً حين قال:

[العميد يتحدث عن سئمه للحياة، وعن آلامه التي يعاني منها]

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يَعِشْ   ثمانين حَوْلاً لا أبا لك يَسْأمِ

وحاولت أن أطمئنه بأنه بخير غير أنه قال: إنَّ الألم في أمعائي لا يطاق، والحياة بالنسبة لي أصبحت لا معنى لها. فآثرت عدم الحديث حول مرض العميد، وشرعت في قراءة الصحف.

الخميس ١٩٧٢/٢/١٠: أهدَى الأستاذ عبد السلام محمد هارون عضو المجمع كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، وهو من تحقيقه للعميد، وقد قال عن هذا الكتاب: لقد قرأته وأنا طالب في الأزهر مع الأستاذ إبراهيم مصطفى، وكان صديقاً لي منذ أيام طلب العلم في الأزهر، ومع هذا أود أن أقرأه مرة ثانية.

[العميد يتحدث عن قراءته لكتاب البيان والتبيين وهو طالب في الأزهر]

كذلك أهدى الأستاذ عبد الكريم الخطيب تفسيره الضخم «التفسير القرآني للقرآن» للعميد، وأهدى إليه أيضاً الأستاذ محمد عبد الواحد حجازي كتابه «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية»، وقد طلب مني أن أرسل إلى كل منهم بطاقة شكر تحمل الكلمة التالية التي أملاها علي وهو نائم في فراشه..

«أشكر لكم إهدائي كتابكم.... وسأقرؤه مع أشد العناية، واثقاً بأني سأنتفع به كل الانتفاع».

الجمعة ١٩٧٢/٢/١١: زار العميدَ مساءً الدكتور عبد الله الطيِّب عضو مؤتمر المجمع عن السودان، وقد ذكر للعميد أنه أُقصي عن عمله فترة، ثم أُعيد إليه بعد ذلك، وأنه حضر فقط لمدة أسبوع للمشاركة في أعمال المؤتمر، وأن ظروف العام الدراسي تفرض عليه السفر، وقد أهدى للعميد ديوانه الجديد، وبعض علب لفائف التبغ.

[العميد لا يؤيد ترشيحه لجائزة نوبل ويقول عنها: إنها جائزة سياسية تخضع لنفوذ الصهاينة]

وكان الأستاذ صالح جَوْدَت قد كتب كلمة في عدد المصوَّر الصادر بتاريخ هذا اليوم تحت عنوان «لا نريد جائزة نوبل لطه حسين» استهلها بالإشارة إلى ترشيح الهيئات العلمية في مصر طه حسين لتلك الجائزة، ومن قبله ترشيح الأستاذ عباس محمود العقاد، غير أنَّ هذا ركلها بقدميه، وكتب عنها كتاباً انتهى فيه إلى أنها لم تعد جائزة أدبية بل رِشْوة سياسية.

واستعرض الأستاذ جَوْدَت أسماء بعض الذين منحوا هذه الجائزة من الشرق والغرب ليدلِّل على أنها فقدت قيمتها الفكرية، وأن الأهواء السياسية تلعب بها، وختم مقالته قائلاً: أحب أن أقول لمجامعنا العلمية التي رشحت الأستاذ العميد طه حسين لجائزة نوبل، إنهم إذا كانوا يحبُّون طه حسين فينبغي لهم أن يسحبوا هذا الترشيح ويتنازلوا عنه، فليس مما يشرِّف طه حسين، ولا مما يشرِّف مصر، ولا مما يشرِّف الأدب العربي برمته أن يظفر طه حسين بجائزة نالها من قبله شاعر إيطالي مغمور وكاتب إسرائيلي مجهول من حواريي تل أبيب، بل ولقد نالها قصصي أمريكي اعترف هو نفسه بأنه ليس أهلاً لها، وأجمع النقاد الأمريكيون أنفسهم على أنه أحسن قُصَّاص الدرجة الثانية، ولكنه لا يرقى إلى الدرجة الأولى أبداً، إننا ننزه طه حسين عن الترشيح لهذه الجائزة:

أولاً: لكي لا نهبط به إلى مستوى السابقين إليها.

وثانياً: لأن ما قاله النُقَّاد العالميون عن مسألة السن خليق بأن يثير على طه حسين حملة عالمية ما أغناه عنها.

وأضاف العميد إلى هذين الأمرين: إن جائزة نوبل لا تخدم الأدب والفكر الإنساني الآن، إنها جائزة سياسية تخضع لنفوذ الصهاينة، ثم قال: أنا لا أهتم بترشيحي لها لأنه لن يحقق شيئاً، فاليهود لن يقبلوا منح هذه الجائزة لمفكر عربي.

الاثنين ١٩٧٢/٢/١٤: رأس العميدُ صباح هذا اليوم جلسة من جلسات المؤتمر اللغوي، وتعد أول جلسة يحضرها منذ انعقد المؤتمر، وقد اعتذر للأعضاء؛ لأن مرضه حال بينه وبين لقائهم في أول جلسة.

وطلب مني العميد أن أبكِّر في الذهاب إليه مساءً لأن الفترة الصباحية ذهبتْ كلُّها في الجلسة، وفي نحو الخامسة مساءً توجهت إلى رامتان، وحين صعدت إلى الطابق الثاني كان العميد يعبر الممر الصغير الواقع بين غرفتي النوم والجلوس وسألني بعد تحيته: هل أحضرت معك الصحف، فقلت: نعم، فقال لزوجه: نعم في اللغة العربية الفصيحة بمعنى Oui في الفرنسية، ولكن الكلمة الشائعة «ايوه» عربية فصيحة لأنها مأخوذة من التعبير «إي» المتبوعة دائماً بالقسم، وفي القرآن الكريم: ﴿إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

الثلاثاء ١٩٧٢/٢/١٥: كان الأستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عضو مؤتمر المجمع عن العراق، قد حمل معه وهو قادم لحضور المؤتمر كتاباً خطيّاً لمؤلف عراقي هو الأستاذ جمال الدين الآلوسي، وعنوان هذا الكتاب: «طه حسين بين أنصاره وخصومه» وقد حدَّث العميد في جلسة من جلسات المؤتمر بشأنه ورجاه أن يتفضَّل بقراءته، وكتابة كلمة عنه.

وفي مساء هذا اليوم شرعنا في قراءة القسم الأول وهو يعرض لحياة العميد؛ وأما القسم الثاني فيتحدث عن المعارك التي خاضها ومواقف أنصاره وخصومه منه.

وقرأ العميد القسم الأول فقط، وغيَّر فيه قليلاً، ولكنه لم يستطع أن يكتب كلمة عنه.

السبت ١٩٧٢/٢/١٩: زار العميدَ مساء هذا اليوم الدكتورُ محمد عزيز الحبابي عضو المجمع المراسل عن المغرب، وبعد تبادل

التحيات سأله العميد عن مسقط رأسه، فقال: مدينة فاس القديمة، وردَّ العميد: لقد زرتُ هذه المدينة، وكانت السيدات يُزَغْردنَ في شرفات ونوافذ البيوت وأنا أسير في الشارع، وكانت عاصمة المغرب قبل الاحتلال.

[العميد يتحدث لأحد ضيوفه عن مدينة فاس بالمغرب]

وقال الدكتور الحبابي: إنَّ الفرنسيين هم الذين حوَّلوا العاصمة من فاس إلى الرباط، لأنَّ فاس كانت محافظة على تراثها وتقاليدها، وكانت شَوْكة دامية في ظهور المستعمرين، لقد لاقَى الفرنسيون من فاس كل أذى ومقاومة، بل لاقَوا من جميع أهل المغرب.

وقال العميد: من كان يظن أنَّ المغرب العربي سيتحرر كله وبخاصة الجزائر التي كانت فرنسا تعدُّها جزءاً منها، وصمت العميد برهة ثم قال: لقد زرت تونس والمغرب ولكن لم أزر الجزائر بسبب الحماية الفرنسية. وقال الدكتور الحبابي: إنَّ هناك في الجزائر اليوم انطلاقة نحو التعريب ليعود لهذا الوطن العربي طابعه الأصيل.

[العميد يتحدث عن ترجمات كتاب الأيام]

وتحوَّل مجرى الحديث إلى مؤلفات العميد ولا سيما «الأيام»، فقال: إن هذا الكتاب ترجم أول ما ترجم إلى اللغة العبرية قبل أن يكون لليهود شأن في فلسطين، ثم توالت ترجمته إلى مختلف اللغات العالمية، ويمكن القول بأنه ترجم إلى كل لغات العالم.

وكانت زوجة الدكتور الحبابي معه في هذه الزيارة، وهي تعدُّ رسالة دكتوراه عن لغة «رسالة الغفران»، وقد سألتْ العميدَ عن أهم المصادر التي تحتاج إليها في هذه الدراسة وعن المنهج الذي يجب أن تأخذ به ليكون عملها جديداً ومفيداً، وقد زودها العميد ببعض المصادر وأرشدها إلى أهم النقاط التي يجب أن تدرسها بعناية.

[بعض ذكريات العميد في زيارته للمغرب]

وعن ذكريات العميد عن زيارته للمغرب قال: حين زرتُ المغرب كنت لا أفهم شيئاً من الناس إذا تحدثوا بالعامية، فإذا حدَّثتهم بالفصحى أو حدثوني بها أفهمهم ويفهموني، ولا أنسى أني يوم قابلت

المرحوم الملك محمد الخامس ـ وكان الصراع بين المغرب والاحتلال محتدماً ـ تحدَّث إليَّ الملك وأشار إلى موقف مصر من هذا الصراع وقال: إننا مسرورون جداً من هذا الموقف ذيالْكُم، ولم أفهم معنى هذه الكلمة الأخيرة، وغلبني الحياء فلم أسأل عنها الملك، وبعد انتهاء لقائي به، سألت مرافقي عنها ففسرها لي، واتضح أن معناها الموقف الذي لكم، أو موقفكم، وقد رَدَدْتُها إلى الفصحى ووجدت أن أصلها في العربية «ذولكم» وهي لغة طيء الفصيحة، فالطائيون كانوا يستعملون ذو مكان الذي. . . .

وفي نهاية هذا اللقاء أهدَى الدكتور الحبابي كتابه «من المنغلق إلى المنفتح» إلى العميد، وشكره هذا أجمل الشكر على هديته الكريمة، وشدَّ الدكتور الحبابي على يد العميد قبل خروجه قائلاً: نحن نؤمن بالبركة ورضا الوالدين، ورد عليه العميد قائلاً: وعندنا أيضاً كذلك.

الاثنين ١٩٧٢/٢/٢٨: اتصل هاتفياً مساء اليوم بمنزل العميد شخصٌ يُدعى عزيز جرجس، وطلب أن يحدث الدكتور، فقال لي: إني لا أستطيع مكالمته، ويمكن أن يتصل غداً في الموعد نفسه، ثم استطرد: هذا شخص يرغب في أن يعمل سكرتيراً، فقلت: ومن رشَّحه لذلك؟ قال: لا أحد، إنه سمع أني في حاجة إلى سكرتير فاتصل بي، وصمت قليلاً وقال: إني أود أن يكون سكرتيري مرة مسلماً، كلهم مسيحيون.

وكانت صحة العميد غير طبيعية، وكان يكثر من النوم، وبعد انتهاء الفترة المسائية جاءت زوجه لتصحبه إلى غرفته الخاصة، ولم يستطع العميد السير على قدميه كعادته، فكان يستند على ذراع زوجه وذراعي حتى بلغ الحجرة بصعوبة، ثم قال لي: إني أرثي لك، فقلت: لماذا؟ قال: ممَّا سبَّبته لك من متاعب وأنا أسير.

الثلاثاء ١٩٧٢/٣/٧: تلقى العميد رسالة من وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الثقافية، يحيطه فيها علماً بأن معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، الذي كان للعميد فضل المشاركة في إنشائه وافتتاحه سنة ١٩٥٠ قد أشرف على إنجاز الترجمة الإسبانية للجزء الثالث من «الأيام»، والذي طبع في بيروت سنة ١٩٦٧ تحت عنوان «مذكرات طه حسين».

والمعهد يرجو العميد أن يتفضَّل بالإذن له بطبع هذه الترجمة ونشرها ضمن مطبوعاته لعام ١٩٧٢، علماً بأنه لن يأل جهداً في إخراج هذه الترجمة في الصورة التي تليق بما تضمه هذه المذكرات.

ورد العميد على هذه الرسالة بموافقته على قيام هذا المعهد بترجمة ونشر هذا الكتاب.

الأربعاء ١٩٧٢/٣/٨: ذهبتُ إلى العميد في صباح هذا اليوم دون مسائه وذلك لأن موعد مناقشتي في رسالتي التي تقدَّمت بها للحصول على درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة، قد تحدَّد في السادسة من مساء هذا اليوم، وطلب مني العميد قبل خروجي أن أتصل به هاتفياً بعد إعلان نتيجة المناقشة لأخبره بها مهما تأخر الوقت مساءً، وفي اليوم التالي هنأني العميد تهنئة حارة وقال: لقد تساوينا فقد أصبحت دكتوراً، فقلت: عَفْواً يا سيدي أين الثَرَى من الثريّا، فقال: لقد حصلتَ على الدرجة الجامعية التي حصلت أنا عليها من قبل، فنحن الآن سواء، والفرق بيني وبينك أني حصلت على الدكتوراه من السوربون بمرتبة الشرف الأولى مع التهنئة، وأنت حصلت عليها بمرتبة الشرف الأولى فقط.

وشكرت العميد على عطفه ومجاملته، وأكبرت فيه هذه الروح الإنسانية، وهذا التواضع الكريم.

الاثنين ١٩٧٢/٣/١٣: سعى إلى العميد طالبان من طلاب الجامعة

وقدّما إليه الأسئلة التالية ليجيب عنها، وتنشر في صحيفة الجامعة التي يصدرها الطلاب:

١ ـ ما هو واجب الشباب العربي؟

٢ ـ ما هو مستقبل الأدب؟

٣ ـ ما رأي العميد في الشعر الحر الحديث؟

وجاءت إجابة العميد موجزة كما يلي:

[العميد يتحدث عن واجب الشباب العربي]

يجب على الشباب العربي أن يؤمن بأن العلم هو المفتاح الأول للتقدُّم، ولذا كان عليهم أن يعملوا ما استطاعوا إلى العمل سبيلاً من أجل التحصيل العلمي، وعليهم أن يأخذوا الحياة مأخذ الجدّ وأن يستقيموا في سلوكهم، وعليهم أن يجمعوا في ثقافتهم بين التراث والحياة الفكرية المعاصرة ليصبح الأدب العربي أدباً عالمياً، وأنصحهم بالمحافظة على اللغة العربية، وقراءة الكتب القديمة.

[وعن مستقبل الأدب]

وأما مستقبل الأدب فأنا متشائم منه، فنحن الآن نعاني من أزمة أدبية سببها قلّة القراءة، وإذا استمر الحال على هذا المنوال فلن يكون للأدب مستقبل مجيد.

[ويقول عن الشعر الحر: كلام فارغ]

وأما ما يسمى بالشعر الحرّ الحديث فهو كلام فارغ، والذي أحب أن أقوله: إن الشعر العربي مر بأطوار وتطور عبر العصور، ولكن الشعر الحديث ليس صورة صحيحة للتطوُّر.

[العميد يوضح معنى كلمة «أمي» في القرآن الكريم]

الثلاثاء ١٩٧٢/٣/١٤: زار العميدَ مساءَ الأستاذُ الدكتور أحمد الحوفي، وتناول الحديث بينهما فيما تناول كلمة «أمّي وأميّين»، وذكر الدكتور الحوفي أنه بحث في المعاجم اللغوية القديمة فلم يجد فيها هذه الكلمة بمعناها الشائع وهو الجهل بالقراءة والكتابة، ولم يوردها بهذا المعنى غير اللسان، كذلك أشار الطبري في تفسيره إليه.

ويرى العميد أن كلمة «أمّي» في القرآن يقصد بها من ليس عِبْرياً، وأن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]

معناه ليس علينا فيمن ينسبون إلى الأمم الأخرى سبيل. ثم تحدَّث عن ورود هذه الكلمة في العهد القديم والحديث عنها بهذا المعنى.

وسأل العميد الدكتور الحوفي عن موطن أسرته، فقال: موطن أسرتي البحيرة، وأصلها من العرب، وكانت تسكن الحوف في الشرقية، ثم تفرقت في البلاد.

وتحدث الدكتور الحوفي عن أهل نجد في الحجاز، وأنهم ما زالوا يحافظون على اللغة العربية الأصيلة، وقال العميد: إن هذا صحيح، ولكن العرب في المدينة ليسوا عرباً أصلاء، فهم أخلاط من أجناس مختلفة، ومن ثَمَّ ليسوا محافظين على العربية الأصيلة، وقال الدكتور الحوفي: إن هذا صحيح غير أن أهل المدينة فيهم ودَاعة وأمانة ودماثة أخلاق.

الأربعاء ١٩٧٢/٣/٢٢: تحدث العميد عن الذين عملوا معه فقال: كان أول سكرتير عمل معي اسمه صليب، ولم يستمر سوى بضعة أشهر، ثم عمل معي توفيق شحاتة، وكان يعمل ويذاكر في الوقت نفسه حتى حصل على الليسانس من كلية الحقوق، ولما أراد أن يعد رسالته للدكتوراه أحضر شقيقه فريد الذي استمر معي نحو أربعين عاماً.

[العميد يسفِّه سكرتيره السابق فريداً]

فقلت: إن فريداً يثير الآن في الوسط الأدبي مسائل سخيفة عنكم، فقال: مثل ماذا؟ قلت: مثل أنه أكمل بنفسه بعض أعمالكم الأدبية «كالحب الضائع»، وأنكم تأثرتم في كتابكم «حديث الأربعاء»، و«على هامش السيرة» وكذلك «في الشعر الجاهلي» بكتَّاب أجانب، وضحك العميد ثم قال: هذا «حشيش»، أي أن هذا الكلام ضرب من الهذيان أو الجهل وعدم المعرفة الصحيحة بالأمور، إن فريداً ليس جديراً بأن يحكم على أعمالي الأدبية لأنه لا يفهمها، فما بالك بزعمه بأنه أكمل بعضها، إنَّ ما يردده فريد من تفاهات وسخافات لا وزن لها ولا تليق أن تجد منا غير الإعراض والإهمال.

السبت ١٩٧٢/٣/٢٥: تحدَّث العميد إلى أحد محرري صحيفة الأهرام عن بعض القضايا الفكرية وهي كما يلي:

[العميد في حديثه لأحد محرري صحيفة الأهرام]

١ ـ أزمة التعليم الابتدائي.

٢ ـ اختفاء المعارك الأدبية.

٣ ـ جيل العمالقة وعدم تكرره.

٤ ـ أدب الشباب.

٥ ـ جائزة نوبل.

[يتحدث عن أزمة التعليم الابتدائي]

وعن أزمة التعليم الابتدائي يقول العميد: إن هناك مرحلة يجب أن تسبق مرحلة التعليم الابتدائي، هي مرحلة إعداد الذين يتولون التدريس فيها.

إن أستاذ هذه المرحلة يجب أن يقرأ جيداً حتى يتأتَّى له أن يكون معلِّماً على قدر عال من الكفاءة، كما أن أستاذ هذه المرحلة يجب أن يتفرغ ويقرأ لكي يؤدي دوره كما ينبغي له أن يؤديه، فقد أصبحت أهم خاصية له أنه لا يقرأ.

[وعن سبب اختفاء المعارك الأدبية]

وأما اختفاء المعارك الأدبية، فمرده إلى الضعف الذي يعاني منه الإنتاج الأدبي في وقتنا الحاضر، ولهذا لا توجد قضايا أدبية تثير الجدل، ومن هنا اختفت المعارك الأدبية في حياتنا.

[وعن عدم تكرار جيل العمالقة]

ويرى العميد أن عدم تكرر جيل العمالقة لا يرجع إلى ضعف في العقلية المصرية، وإنما يرجع إلى أن هذه العقلية لا تُمدُّ الآن بما ينبغي أن تُمَدَّ به من قراءة في الأدب العربي والأجنبي.

إنَّ الشباب لا يقرأ، وهي مسؤولية الأساتذة، لأنهم لم يرشدوهم إلى القراءة، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه فالأساتذة أنفسهم لا يقرؤون.

إن الشباب اليوم يضيِّع وقته فيما لا يجدي، كمشاهدة التلفزيون والسينما والفراغ، أين الشباب الذي يقرأ أدب اليونان الآن، إذا كانوا

يحتجون بأنهم لا يعرفون اللاتينية، فإنَّ هذا الأدب مترجم إلى اللغات الأوروبية التي يعرفونها.

ويشير العميد إلى جيل العمالقة فيقول: إنَّ هذا الجيل شقي كثيراً وقرأ كثيراً، فلطفي السيد بذل جهداً لكي يترجم بعض آثار أدب اليونان وبخاصة أرسطوطاليس من الفرنسية إلى العربية، ومن بين هذه الآثار كتاب «السياسة» وكتاب «الأخلاق».

والمنفلوطي كان لا يعرف لغات أجنبية، وترجم له بعض المترجمين ترجمة حرفية بعض القصص الأوروبي، ثم أعاد كتابتها كتابة جيدة. والعقاد كان نهماً في القراءة، وكذلك حافظ وشوقي، وسائر جيل العمالقة.

إن الأديب الجدير بهذا الاسم لا بدَّ له من أن يجمع في ثقافته بين التراث العربي من جهة والتراث اليوناني واللاتيني من جهة أخرى بالإضافة إلى الأدب العربي الحديث وكذلك الأدب الأوروبي. ويقول المحرر: إن الشباب اليوم يرى أن التراث العربي ليس جديراً بالقراءة، فهو خالٍ من المضمون.

[ومن أهمية التراث العربي]

ويردُّ العميد: هذا خطأ، فالجاحظ مثلاً هل يخلو من مضمون؟ لقد انتهيتُ اليوم من قراءة كتابه «البيان والتبيين»، وكنت أقرأ له قبل ذلك «الحيوان»، واليوم أبدأ قراءة «المرايا» لنجيب محفوظ، وأنا مع هذا ما زلت أقرأ في الأدب الفرنسي، وما ترجم إليه من اللغات الأوروبية كالألمانية والإيطالية والإنكليزية، فقد قرأت قصص شكسبير كلها في الترجمة الفرنسية، ومن الملاحظ أن اللغة الفرنسية يترجم إليها كثير من اللغات الأخرى، لكن قراءتي للأدب الأوروبي لا تجعلني في غنى عن قراءة الأدب العربي القديم.

[ومن أدب الشباب]

وأما أدب الشباب فيقول عنه العميد: لقد قلت رأيي أكثر من مرة في هذا الأدب، وكانت وصيتي التي كررتها لهم مئة مرة أن

يقرؤوا في الأدب العربي القديم والأدب العربي المعاصر والآداب الأوروبية قدر ما يستطيع الإنسان أن يقرأ.

[وعن المدارس الأجنبية]

ويتحدث العميد عن المدارس الأجنبية ومدى عنايتها بتعليم تلاميذها القراءة فيقول: إنَّ ابني مؤنس كان يتعلَّم في الليسيه، وكانوا يرهقونه بالقراءة إلى درجة أنه كان يسهر إلى بعد منتصف الليل، وكان لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وكانت والدته ترغمه على النوم، غير أنه يخفي الكتاب تحت الوسادة، وبعد أن تأوي أمه إلى فراشها يعود للقراءة.

وكانوا في مستهل كل شهر يجمعون عشرة قروش من كل تلميذ لشراء كتب تفرض قراءتها عليهم.

[وعن جائزة نوبل]

وعن جائزة نوبل يقول العميد: هذه الجائزة تتحكم فيها الأهواء السياسية، وإنه لعجيب أن تمنح لرجل مثل تشرشل، على حين هناك أدباء إنكليز أو فرنسيون يستحقونها، والغريب أن تشرشل لم يتردَّد في أخذ الجائزة.

وإذا كان لا بدَّ من منح تشرشل جائزة نوبل، فكان الأولى أن تمنح له في مجال آخر غير الأدب.

[وعن ازدهار المسرح الكوميدي في مصر]

ويختم العميد حديثه بالتعليل لظاهرة ازدهار المسرح الكوميدي في مصر بقوله: إن الناس تريد أن تضحك.

الثلاثاء ١٩٧٢/٣/٢٨: كان العميد معجباً بكتاب «إعجاز القرآن» للباقلاني، وحين جاءت زوجته بعد انتهاء الفترة المسائية طلب منها أن تنتظر بضع دقائق، لنواصل القراءة في هذا الكتاب، وما كادت تترك الحجرة حتى قال:

ألا ربَّ نُصْحٌ يُغلَقُ البابُ دونَه ... وغِشٌ إلى جَنْبِ السريرِ يُقَرَّبُ

فقلت: لمن هذا البيت؟ فقال: لا أدري، ولكنه لشاعر قديم.

قلت: ما الذي دعاك إلى تذكر هذا البيت، قال: لا أدري، ولكني تذكرته الآن.

الأربعاء ١٩٧٢/٣/٢٩: تلقَّى العميد رسالة من المكتب الدائم للتنسيق والتعريب بالرباط، يطلب فيها أن يبعث العميد بنبذة عن حياته وأعماله وهواياته لتعريف قراء مجلة اللسان العربي وكتَّابها، وقد كلَّفني بكتابة ردٍّ على هذه الرسالة بعد أن زودني ببعض النقاط التي اهتمت بها، وأعددت ما يلي وقرأته عليه فأقره، ثم أرسل إلى المكتب المذكور.

[العميد يرسل إلى المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط نبذة عن حياته وأعماله]

الأخ المحترم الأستاذ المدير العام المساعد للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ـ الرباط.

أهدي إليك أزكَى تحياتي وأطيب تمنياتي راجياً لكم الخير والسداد وبعد؛ فقد سعدت برسالتكم الكريمة التي أومأتم فيها إلى طرف من تاريخ مجلة «اللسان العربي» التي أرجو لها مزيداً من التقدم والازدهار في سبيل خدمة لغة القرآن الكريم وأدب العربية الخالد.

وأما عن رغبتكم في أن أبعث إليكم بما تودُّون معرفته عني لنشره في تلك المجلة، فإنه يسرني أن أبعث إليكم بما يلي:

١ ـ ولدت يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩م بعزبة الكيلو، ونشأت في مدينة مغاغة من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر.

٢ ـ درستُ أولاً في الأزهر، وقد التحقت به سنة ١٩٠٢، ثم التحقت بالجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨، وتخرَّجت فيها وحصلت على درجة الدكتوراه منها في الأدب العربي، وكانت أول درجة دكتوراه تمنحها هذه الجامعة سنة ١٩١٤، وسافرت بعد هذا إلى فرنسا في بعثة على نفقة الجامعة المصرية، وحصلت على درجة الليسانس في الأداب من السربون سنة ١٩١٧، ثم الدكتوراه في يناير سنة ١٩١٨ وكانت عن فلسفة ابن خلدون.

وفضلاً عن هذا حصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعات ليون، ومونبليه، وروما، وبالرم، وأثينا، ومدريد، وغرناطة، وأكسفورد.

٣ ـ أجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية.

٤ ـ أهوى الأدب العربي القديم، وأحب الغناء الجيد الخالص، وبخاصة الغناء الأوروبي.

٥ ـ تأثرت بقدماء العرب من الأدباء والعلماء وبخاصة الجاحظ والمبرِّد وأبو العلاء.

٦ ـ أمَّا مؤلفاتي وأسماؤها وموضوعاتها فإن الكلام عنها يحتاج إلى حديث طويل لكثرتها وتنوع موضوعاتها، ومن ثَمَّ أترك لكم أمر التعريف بها، كما أترك لكم أيضاً الحديث عن تاريخ حياتي العلمية وأعمالي الفكرية.

وأخيراً أسأل الله أن يرعاكم ويسدِّد خطاكم ويحقق الخير الكثير للعروبة على أيديكم، وأجدِّد لكم شكري وتحيتي وأخلص مودتي وتقديري.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السبت ١٩٧٢/٤/١: زار العميدَ مساءً الدكتور حسين فوزي والأستاذ سابا حبشي، وكان هذا قد هاجر إلى أمريكا ولم يزر مصر منذ سبعة عشر عاماً، وقد جاء في زيارة قصيرة، ورغب فور وصوله في القدوم إلى أستاذه الذي لا ينسى فضله عليه.

وجرى الحديث في هذا اللقاء حول المهاجرين إلى أمريكا أحياناً، وأحياناً أخرى حول أصدقاء الأستاذ حبشي في القاهرة، وقد أشار هذا إلى مقدمة كتاب نللينو التي كتبها العميد؛ فقال عنه: لقد أحببت هذا الأستاذ كلَّ الحبّ كما أحببت أستاذي الشيخ سيد المرصفي، ولا أنسى دروس نللينو، فقد كانت بلغة عربية فصيحة، وكان لا يتكلم العامية لأنه لا يحسنها.

واستمر هذا اللقاء نحو نصف ساعة، وبعده كان لقاء العميد مع مذيعة فرنسية سجَّلت له حديثاً قصيراً باللغة الفرنسية، تناول حياته العلمية وأهم مؤلفاته.

الاثنين ١٩٧٢/٤/٣: زار العميدَ مساءً الأستاذ رشاد عبد المطَّلب، والدكتور ناصر الدين الأسد، وكانا يحملان إليه هدية من الأستاذ محمود محمد شاكر هو كتابه «أسمار وأباطيل».

[العميد يتحدث عن الدكتور لويس عوض]

ولما عرف العميد أن موضوع هذا الكتاب يدور حول مناقشة الدكتور لويس عوض في قضايا التراث الإسلامي، قال: إن الدكتور لويس لا يميزه من الناحية الثقافية إلا إجادته الإنكليزية، أمَّا قضايا التراث الإسلامي فلا مجال له فيها، ثم تطرَّق الحديث إلى مشكلات معهد المخطوطات والمنظمة العربية الجديدة التي أنشئت على غرار اليونسكو.

الخميس ١٩٧٢/٤/١٩: في أثناء القراءة في كتاب «مجالس ثَعْلب» وردت العبارة التالية:

قال أبو العباس في قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٦]. قال: الزرابي الطنافس، واحدتها زربية.

وعقَّب العميد على هذا بقوله: إن الكلمة تستعمل بهذا المعنى في تونس.

وقلت للعميد عن «مجالس ثَعْلَب»: يبدو أن هذا الكتاب لا يختلف في منهجه عن كتاب «الأمالي» للقالي، فقال: لكن كتاب الأمالي أخفُّ روحاً من كتاب «مجالس ثَعْلَب».

وبعد أن انتهينا من قراءة القسم الأول من «المجالس» طلب العميد أن نقرأ كتاباً آخر، ووقع الاختيار على الجزء الثاني عشر من «الأغاني» الذي صدر أخيراً.

الثلاثاء ١٩٧٢/٤/٢٤: تلقَّى العميد رسالة من مجلة الجديد فيما يلي نصها:

كم يسعدني ويسعدنا جميعاً لو تفضلتم بالحديث إلى الأجيال الجديدة على صفحات مجلة الجديد.

[رشاد رشدي يثني على العميد]

سيدي.. إن حبَّك في جميع القلوب، وسيبقى مدى الدهر فمنك تعلَّمنا، وبك كنا. على دربك نحاول أن نسير، وما صنعتم من أجل مصر لم يصنع مثله أحد غيرك.

مع عظيم حبي واحترامي

رشاد رشدي

ولكن العميد لم يكتب لهذه المجلة شيئاً، كما أنه لم يكتب لسواها، فما كانت صحته لتسمح له بالكتابة في سنواته الأخيرة.

الاثنين ١٩٧٢/٥/١: ورد في الجزء الثامن عشر من كتاب «الأغاني» البيتان التاليان:

[العميد يطلب من قارئه أن يكرر عليه تلاوة بيتين من الشعر عن الموت]

لا يعجزُ الموتَ شيءٌ دون خالقه | والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجل
وكل كَرْبٍ أمام الموتِ متَّضِعٌ | للموت والموتُ فيما بعده جَلَل

فطلب منِّي أن أقرأهما أكثر من مرة.

الثلاثاء ١٩٧٢/٥/٢: جاء في الجزء المشار إليه آنفاً من «الأغاني» أنَّ سعيد بن حميد حفظ أرجوزة سمعها مرة واحدة وهي نيِّف وعشرون بيتاً، فقال العميد: لقد كنت أسمع القصيدة مرة واحدة فأحفظها، وكان الشيخ المرصفي يعدُّني مسؤولاً عن حفظ ما يلقي من النصوص.

[العميد يتحدث عن قوة حفظه في صغره ويجيب عن سبب قوة سليقته العربية]

وتطرق الحديث إلى أخطاء بعض القارئين له فقال العميد: إني أسمع الكلمة فأعرف أنها خطأ، وأتلقاها بالنطق الفصيح الصحيح، فقلت له: ما سبب هذه السليقة اللغوية لديكم، قال: لا أدري، قلت: يبدو أن حفظكم القرآن الكريم في سن الطفولة، ثم دراستكم الأدب العربي القديم وبخاصة على يد الشيخ المرصفي سبب هذا، قال: يجوز..

«حَدَث أدبي خطير»

أشرتُ فيما سلف إلى أني أخبرت العميد بأن فريداً يثير في الوسط الأدبي بعض الأمور التي تسيء إلى العميد، والواقع أن هذا الوسط قد ماج منذ فترة بما يردده فريد من أقوال ويُشيعه من أن هناك

مذكِّرات خطيرة تعدُّ أعظم ما كتب عن طه حسين ستكشف الوجه الآخر له، وأن بعض الصحف في بعض البلاد العربية نشرت ما تناقله الأدباء والصحفيون في القاهرة.

ورأت مجلة الإذاعة القاهرية أنَّ الأمر جدُّ خطير، وأنَّ الحقيقة يجب أن تقدَّم للناس ناصعة لا ضباب حولها حتى يستطيع الضمير الأدبي في العالم العربي، بل والعالم كله أن يصدر الحكم العادل في هذه القضية الخطيرة.

ومن أجل هذا سعى الأستاذ سامح كريم إلى (رامتان) يحمل في جعبته ما يردِّده فريدٌ من أقاويل أو أباطيل، وخلاصتها أن السكرتير السابق للعميد انتهى أخيراً من تأليف كتاب عن طه حسين، وأنَّ ممَّا قدَّم به لهذا الكتاب أنه قد آن الأوان لتحطيم هذا الصنم الذي يعرفه الناس باسم طه حسين، وبعد تقديس استمر نصف قرن من الزمان أو يزيد.

[العميد يرد على ادعاءات سكرتيره السابق فريد التي حملها له مندوب مجلة (الإذاعة) سامح كريم]

ويقول الأستاذ فريد عما كتبه: لن تكون هذه المذكرات تعريفاً تقليدياً بطه حسين، كما يتبادر إلى الذهن، ولا دَرْساً لأدبه وفكره، ولا تحليلاً لآرائه في الحياة أو في الناس، فهذا عمل سيتكفل به الكثيرون.

إنَّ هذه المذكِّرات صفحاتٌ مطويَّة تنشر لأول مرة، أقدِّم فيها الوجه الآخر لطه حسين، وعلى ملامح هذا الوجه سوف يقرأ الكثيرون، وسوف يكتشفون مدى جهدي في استكمال بعض أعماله الأدبية، وسوف يطالعون أيضاً في ملامح هذا الوجه حقيقة مؤداها أنَّ ثقافة طه حسين لن تخرج عن كونها بضاعة أوروبية، رُدَّت لأصحابها من الأوروبيين، فهو حين كتب في التاريخ الإسلامي تأثر بالمستشرقين الأجانب، وإلَّا فما معنى هذه العلاقة بين كتابه «على هامش السيرة» وكتاب «على هامش الكتب القديمة» للكاتب الفرنسي «جيل لوميتر»،

وكيف نقل عبارات بأكملها من مستشرق إنكليزي اسمه جرجيس ضال ضمنها كتابه «في الشعر الجاهلي»، وهي واقعة أشار إليها ـ إبّان معركة هذا الكتاب ـ الشيخ عبد المتعال الصعيدي في جريدة الأهرام عام ١٩٢٦، وكيف تأثر بالأجانب في عنوان ومحتوى كتابه «حديث الأربعاء» وخاصة المستشرقين.

ويستطرد فريد شحاتة قائلاً كما يروي عنه الأستاذ كريم: هذا قليل من كثير عن طه حسين الذي أمضيت معه أكثر من أربعين عاماً ضاعت هباء، ولن أحزن أو أتألم لمجرد ذكرها، ولن أتساءل أيضاً كم أربعين عاماً أخرى تبقى لي في حياتي بعد ذلك، ولن أفكر في هذا اليوم الذي وجدت نفسي فيه بلا عمل، وهل هناك عمل جديد لمن قارب الستين، نعم كنت قد قاربت الستين ولم أتجاوزها كما نشرت إحدى الصحف اليومية، حتى استعجلت مشكورة سنَّ المعاش، فقالت: إنني قد أُحلت إلى المعاش يوم أن تركت طه حسين. . .

وسمع العميد هذه الكلمات أو الاتهامات وقبل أن يفندها ويرد عليها قال للأستاذ كريم:

قبل الإجابة على ما جئت من أجله، لي أن أذكر أنه كان الأكرم لي، وللقارئ الكريم، وللمجلّة التي تقوم بالنشر ألّا أجيب على ما يدَّعيه هذا الشيء الذي اسمه فريد شحاتة، لولا أنه ملأ الدنيا بأحاديثه، والتي لا شك تجدُ آذاناً مُصْغية حين يزعم بأن لديه مذكرات مثيرة لعمله معي سيقوم بنشرها في الوقت المناسب.

أقول: كان الأكرم لنا جميعاً عدم الإجابة؛ ذلك لأن الحديث عن فريد ومذكراته، سوف يسبغ عليه نوعاً من الأهمية ما كانت لمثله.

ولكن لعل القارئ الكريم يسمح لي بهذا الحديث قبل أن يأتي ذلك الوقت المناسب الذي يرجوه فريد، وربما لا أستطيع أن أقول فيه كلمتي عن حقيقة فريد ومذكراته المزعومة.

ويستطرد العميد في حديثه قائلاً:

بدأ عمل فريد معي حين جاءني يوماً ليحل محل أخيه توفيق شحاتة الذي كان يعمل معي هو الآخر سكرتيراً، والحق أنَّ توفيقاً هذا كان على عكس فريد، فقد كان ﷺ محباً للعلم والتحصيل، حتى إنه واصل الدراسة بعد شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) فانتسب للجامعة، إلى جانب عمله معي، وظلَّ بها حتى نال ليسانس الحقوق ولم يكتف بالليسانس، وإنما واصل طريق العلم حتى نال إجازة الدكتوراه في القانون، وسألني أن يعمل في الجامعة، وقد كان له ما أراد، ويومها قدَّم أخاه ظنّاً منه أنه يستطيع القيام بما كان يقوم به.

رحم الله توفيقاً، فقد كان إنساناً يريد العلم أينما حلَّ، وأذكر أنه ما كان يدَّخر وسعاً في سبيل تحصيله، وتحضرني لهذه المناسبة قضية تأليفه لكتابه الأول في القانون، وقد كان هذا الكتاب يشغل تفكيره حقاً إلى أن فرغ منه، وبقيت مشكلة اختيار العنوان لهذا الكتاب، وظلَّت هذه المشكلة تؤرقه..، ويحدثني فيها عارضاً أكثر من عنوان، فأردت أنْ أسرِّي عنه بعد هذا الجهد المضني، فقلت له وكأني أهوِّن عليه مشقة الاختيار: لماذا لا تسميه «السُمُّ الهاري في القانون الإداري» جَرْياً على أساليب كتاب العربية في عصورها الوسطى.

هذا هو توفيق شحاتة، أما فريد فكان على عكس ذلك، إنه حين بدأ العمل معي لم يكن معه من الشهادات المعروفة في ذلك الوقت شيء يذكر، اللهم إلا ما يشبه ما كنا نطلق عليه في ذلك الحين الشهادة الابتدائية.

والحق أشهد أن فريداً لم يكن كشقيقه الدكتور توفيق في استعداده وتقبُّله للعلم والمعرفة، وإلا فلماذا لم يفعل مثل أخيه هذا الذي نال الليسانس والدكتوراه وهو يعمل معي.

وبالرغم من هذا فلم أبخسه حقَّه، فقد بدأ العمل معي منذ أكثر

من أربعين عاماً براتب شهري قيمته سبعة جنيهات، وهذا الراتب كان يعز ـ ولا شك ـ على حملة المؤهلات العليا في ذلك الزمان.

وتدرُّج هذا الراتب الشهري حتى وصل إلى ثمانين جنيهاً.

وما أشك لحظة في أنه قد ادخر كثيراً من المال، فقد قلت هذا لبعض الصحف، ولم يعترض على ما قلته، ومما يضاعف هذا الاعتقاد عندي هو أنه أسهم بمبلغ ألفين من الجنيهات مرة واحدة كنصيب له في تجارة مع شريك، ولكن يبدو أن حظه لم يكن سعيداً، فقد أخذ هذا الشريك المال وذهب.

فمن أين لمثل فريد بهذا المبلغ الذي يخسره مرة واحدة ولا يتأثر منه مالياً؟ من أين يأتيه لو لم يكن قد استفاد مادياً من صحبة الأربعين عاماً.

ومن الناحية الأدبية، لا شك في أنَّ فريداً قد استفاد الكثير.. لا شك في أنَّ فريداً قد ارتفع بحياته أربعين سنة معي، كما لا أشك في أن ما أتيح له لم يكن ليتاح لغيره ممن يحملون ما يشبه الابتدائية، أو ما يقترب منها.

يبقى الحديث عن مذكراته أو ما ينسجه حولها من أقوال ينقلها إلي بعض الأصدقاء في أنها تتضمن أسراراً تذاع لأول مرة، والعجب في كل هذا، أنني ما زلت حياً، ولا أردُّ أحداً يطلب مني رأياً، وأنَّ أعظم ما يكتب عني ـ على حدِّ التعبير الذي يستخدمه فريد ـ لا يكون إلا مني، أما أن يدعي فريد بأنه يدّخر ـ للوقت المناسب ـ أعظم ما كتب عني، فأعتقد أن هذه العظمة لا تعني غير الإثارة الممقوتة المكروهة، وفي هذه الحالة سينتهي به الأمر إلى القضاء؛ هذا في حياتي.. وبعد أن تنقضي هذه الحياة فما أشك في أنَّ أصدقاء لي وتلاميذ في الوطن العربي لن يرضيهم ما يقوله فريد، وسوف يدفعون عني شرَّ هذه الادّعاءات، وما أشك أيضاً في أن بلداً به أكثر من أربع

جامعات وأكثر من مركز علمي تسمح بأن يسعَى أحد للإساءة إلى آخر.

على أنني فوق هذا وذاك أشك في مقدرة فريد التأليفية فهو غير قادر بالفعل على أن ينشئ أي عمل أدبي، وهو ـ كما عهد فيه ـ لا يستطيع أن يقدِّم جملة عربية واحدة صحيحة من حيث الإنشاء والإعراب، بل إنني أتحدَّى أن يكتب لكم فريد موضوعاً على صفحات مجلتكم ـ يستعين فيه بمن يستعين ـ دون أن يسبب للأجهزة القائمة على النشر الكثير من التعب والإرهاق، وحتى بعد كل هذا تكتشف المجلة أن موضوعه هذا غير جدير بالنشر.

لهذا أقرر أنه إذا حازت مذكرات فريد من اهتمام فلن يكون إلا بالقدر الذي يمسُّني شخصياً، وفي هذه الحالة سينتهي أمره ـ كما قلت ـ للقضاء.

ويقطع الأستاذ سامح حديث العميد قائلاً: إن فريداً يردِّد بأنه استكمل بعض أعمالكم الأدبية.

ويرسلها العميد ضحكة عالية ثم يسأل:

ـ وما هي هذه الأعمال؟

ـ أعمال في مقدمتها «الحب الضائع».

ـ استكملها كتابة أم تأليفاً؟

ـ يقول: تأليفاً..

ـ هذا كذب وافتراء.

ويوجه العميد حديثه إلى الحاضرين قائلاً:

هل تعتقد يا دُسوقي، وأنت يا أستاذ عبد الكريم أن فريداً استكمل بعض كتبي... رحم الله أياماً مَضَتْ طلبت فيها من فريد أن يقرأ لي بعضاً من الشعر العربي القديم في كتاب لا أذكر عنوانه الآن، وإن كنت أذكر أن

القصيدة كانت لأحد زعماء قبيلة بكر بن وائل وفيها بيت يقول:

قـرِّبـا مَـرْبـط الـنـعـامـة مـنِّـي   لقحت حرب وائل عن حيال

هذا البيت قرأه فريد كما يلي:

قـر بـمـر بُـطِّ الـنـعـامـة مـنـي   ....إلخ

وطلبت منه أن يعيد القراءة، فما غيَّر من قراءته الأولى شيئاً، ورحم الله الشيخ مصطفى عبد الرازق، فقد حدثته عن هذا، وكان إذا رأى فريداً يداعبه ويناديه بالأستاذ «قر بمر بط».

هذا قليل مما كنت أعانيه من طريقة فريد في القراءة.

أمَّا ما أعانيه الآن مما يدَّعيه حول كتبي فهو شيء لا يطاق ولا يعقل، فهذا كتابي «على هامش السيرة» الذي استهدف لأقاويل فريد أصدِّره بقولي: ما قصدت إلا إحياء الأدب القديم وإحياء ذكر العرب الأولين، بعد أن قرأت السيرة فامتلأت بها نفسي، وفاض بها قلبي وانطلق بها لساني.. هي على ذلك صورة يسيرة طبيعية لبعض ما أجد من الشعور حين أقرأ كتب السيرة التي لا أعدل بها كتباً أخرى مهما تكن، والتي لا ينقضي حبي لها وإعجابي بها وحرصي على أن يقرأها الناس.

هذه فكرتي التي تضمنتها أجزاء «على هامش السيرة»، ويوم أنْ فرغت من الجزء الأول قلت للبعض، وفي وجود فريد: إنني أخذتُ «على هامش السيرة» من عنوان لكاتب فرنسي هو جيل لوميتر الذي عاش تقريباً ما بين «١٨٥٣ ـ ١٩١٤»، وكتابه الذي أخذت عنواني منه هو «على هامش الكتب القديمة»، وفيه كان جيل لوميتر يقلِّد أسلوب الكتب الأجنبية القديمة مثل «الإلياذة» و«الأوديسا»، ثم يعلِّق بعد التقليد، ولعل مصدر تأثري هو في العنوان، ثم في أنني كتبت أشياء ليست هي السيرة في صميمها، ولكن تعتبر على هامشها، وقد قلت هذا أكثر من مرة، جيل لوميتر يقلِّد الكتب الأجنبية القديمة، وأما كتابي فهو «على هامش السيرة النبوية».

ثم ماذا عن أجزاء «حديث الأربعاء»، إن فصول هذا الكتاب قرأها الناس في مجلتي السياسة والجهاد، فقد كانت في الأصل طائفة من مقالات في الصحف قد ضُمَّ بعضها إلى بعض، ولأني كنت أكتبها للناس في يوم الأربعاء، لذلك سُمِّيت «بحديث الأربعاء» كما يفعل الآن أحمد بهاء الدين في الأهرام حين ينشر أسبوعياً مقالاً موعده يوم الأحد ويسميه حديث الأحد، فلتسأل بهاء هو الآخر بمن تأثر من الأجانب أو حتى من العرب في كتابته حديث الأحد إن صح زَعْم فريد.

وأمَّا عن كتاب «في الشعر الجاهلي» فليس لما يقوله فريد أو من أخذ عنهم هذا القول أساس من الصحة، والدليل أن الكتاب ما زال موجوداً، ويستطيع أي إنسان الرجوع إليه والرجوع إلى ما يتحدث عنه فريد.

ثم لماذا يكون فريد هو وحده صاحب هذا الاكتشاف أليست هذه الكتب التي يشير إليها قد ترجمت إلى غير العربية، لماذا إذن لم يتنبه إلى النقل أو التأثير أو قُلْ السرقة واحد من الأجانب فيشير إليه.

ويتدخل في الحديث مستأذناً الأستاذ العزباوي قائلاً: لقد صَدَق على فريد هذا البيت من الشعر.

كناطحٍ صَخْرة يوماً ليوهِنَها فلم يَضِرْها وأوهَى قَرْنَه الوعلُ

ويستطرد العميد قائلاً:

لا يتصور أيُّ إنسان هذا الجحود، أكثر من أربعين سنة معي وبعد ذلك يقول: إنه كان يؤلف لي، وبأنني سرقت ما كتبت من الأجانب، إنني لا أجد ما أقوله إلا هذا القول:

«إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ثم تسألني بعد ذلك وما الذي ينبغي أن يقال لواحد مثل فريد، وفي هذه الحالة لا أجد أبلغ في الردِّ من قوله ﷺ في سورة الزخرف:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: ٨٣].

هذا ما نستطيع قوله لفريد ولأمثاله من أولئك الذين فضَّلوا الضلالة على الهدى، والادِّعاء على البحث عن وسيلة مشروعة لكسب الرزق.

وتنشر مجلة الإذاعة ما أثبتُّه هنا في العدد الصادر بتاريخ ٢٢ إبريل سنة ١٩٧٢، وقد قدم له الأستاذ كريم بكلمة تحدَّث فيها عن العميد المفكر الناقد الأديب الوزير الخطيب الذي وجه الدراسات الأدبية والتربوية وجهة جديدة، والذي قدَّم أروع ترجمة ذاتية عرفها تاريخ الأدب العربي، ثم تلك الدراسات المتنوعة في الأدب والتاريخ والاجتماع فضلاً عن مقالاته الكثيرة التي أذاعها منذ كان طالباً في مختلف الصحف والمجلات.

وختم الأستاذ كريم ما نقله عن لسان فريد وما قاله العميد بقوله: «ورد طه حسين وادعاءات فريد شحاتة تثير أكثر من قضية فكرية من حق الجيل الذي رباه طه حسين، وعلمه أن يتخذ منها موقفاً».

وما كاد هذا التحقيق ينشر حتى تلقت المجلة العديد من التعليقات والمقالات، ولأن المجلة رأت أن ما يقوله فريد يجب أن ينشر ويعرض للهواء والنور والشمس بدلاً من أن يكون هَمْساً في الصالونات الأدبية، وفي سراديب بعض الأوساط، فذلك هو الطريق الصحيح للقضاء على تلك التقوُّلات التي حاولت أن تعلق باسم الدكتور العميد، وعملاً بمبدأ حرية النشر وإلقاء لمزيد من الضوء على جوانب هذه القضية نشرت المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ إبريل سنة ١٩٧٢ ثلاثة تعليقات للأساتذة: عبد المنعم الصاوي، وعبد المنعم شميس، والدكتور أحمد الحوفي، ووعدت بنشر بقية ما وصلها وردِّ الأستاذ فريد في العدد القادم.

وكانت كلمة الأستاذ الصاوي بعنوان «طه حسين ليس محتاجاً

إلى دفاع» على حين كانت كلمة الأستاذ شميس تحت عنوان «دفاع عن قيمة، وليس دفاعاً عن شخص».

[مجلة الإذاعة تنشر ثلاثة تعليقات تدافع عن العميد وتدفع ادعاءات سكرتيره السابق فريد]

وأما كلمة الدكتور الحوفي فقد اختار لها عنواناً غريباً هو: «المقامة البيروتية» والكلمات الثلاث تدور في نطاق واحد وهو دَفْع هذا الافتراء عن العميد، وبيان أنه فوق هذه الترَّهات، وإن كان لكل كاتب منهجه في الاهتمام، بالإشارة إلى بعض النقاط، والتي يراها أولى من سواها بالحديث عنها، وأن الدكتور الحوفي نهج في كلمته منهج الحريري في «مقاماته»، فهي قطعة أدبية فنية تجمع بين السجع وجزالة الألفاظ، ثم هي بعد هذا أشد الكلمات سخرية، وازدراء بفريد..

[مجلة الإذاعة تنشر رد فريد والتعقيب عليه]

وفي عدد مجلة الإذاعة الصادر بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٧٢، نشرت المجلة رداً من الأستاذ فريد وتعقيباً عليه، وكلمة للأستاذ إبراهيم الأبياري بعنوان «وجه الحقيقة» وقدمت لكل هذا بما يلي:

«تختتم مجلة الإذاعة برد الأستاذ فريد شحاتة القضية الأدبية التي أثارتها على صفحاتها في الأسبوعين الماضيين، والتي كان لها في الوسط الأدبي في مصر وخارجها دويٌّ كبير».

[مجلة الإذاعة تقفل ملف قضية فريد ودعاواه]

وقد وصلت إلى المجلة عشرات التعليقات وبيان من جمعية الأدباء كما أبدَى عدد كبير من المثقفين رغبتهم في الحديث إلى المجلة عن هذا الحدث الأدبي الخطير، ولكن المجلة رأت لاعتبارات كثيرة أن تقفل ملفَّ هذه القضية برد الأستاذ فريد، ومن هذه الاعتبارات:

- أنَّ فريد شحاتة في ردِّه يؤكِّد أنَّ ما نسب إليه ليس صحيحاً في جملته وفي تفصيله، وهو ردّ سنناقشه في نهاية هذه السطور.
- أننا نرى أنَّ نَشْر هذه القضية قد حقَّق الهدف الذي قصدت إليه المجلة، وهو كشف موقف السكرتير السابق والقضاء على الشائعات التي حاول البعض ترديدها.

○ أنَّ التعليقات التي وصلتنا كلها تتشابه في الردِّ على أحاديث الأستاذ فريد شحاتة، ولا تزيد على ما جاء في التعليقات الثلاثة التي نشرتها المجلة للأساتذة عبد المنعم الصاوي وعبد المنعم شميس والدكتور أحمد الحوفي، والتي ركزت على إدانة موقف الأستاذ فريد شحاتة وتنزيه عميد الأدب العربي شخصاً وفكراً عن كل مظنة.

○ أنَّ بعض هذه الردود انتهزت الفرصة لتجدد خصومات قديمة أو تفتح معارك جديدة حول طه حسين، وهو ما لم تقصد إليه المجلة أو ترضاه.

لهذه الاعتبارات وغيرها رأت المجلة أن تكتفي بما نشرته حتى الآن حول هذا الحدث الأدبي الخطر.

أما ردُّ الأستاذ فريد شحاتة الذي ينفي فيه كل ما قيل على لسانه، فنحن لم نتوقع من الأستاذ فريد أن يؤكد ما قيل، وكنا نتوقع أن ينفيه، ولكن هذا النفي لا يعني أنه بريء ممَّا نسب إليه، وأدلتنا:

[مجلة الإذاعة لا تبرئ فريداً مما قيل عن لسانه رغم أنه نفى ذلك]

أولاً: أن الدكتور طه حسين نفسه أكَّد أنه سمع مثل هذه الأقاويل ونُقلت إليه من أكثر من مصدر، ولولا أنَّ الدكتور طه يعرف أن سكرتيره السابق قد تقوَّل وأشاع لما اهتم بالرد أو رضي أن يتحدث إلى المجلة.

ثانياً: أن الزميل سامح كريم الذي حقق الموضوع سمع بنفسه من الأستاذ فريد شحاتة هذه الأقاويل وأكثر منها.

ثالثاً: أنَّ الوسط الأدبي في مصر كلها يعلم ما يردِّده الأستاذ فريد شحاتة منذ تركه العمل مع الدكتور طه حسين.

رابعاً: أنَّ المقرَّبين من الدكتور طه حسين ومن الأستاذ فريد شحاتة معاً سمعوا هذه الأقاويل ونقلوها إلى الدكتور العميد.

خامساً: أنَّ هناك معلومات مؤكدة عن أحاديث نشرها أو سينشرها الأستاذ فريد شحاتة في بيروت، ولو أنَّ هذه الأحاديث أو

الكتاب ـ كما يقول الأستاذ فريد ـ ليس فيها أمثال هذه الأقاويل لرحبت كل دار نشر في مصر بنشرها.

ونحن لا نتصيَّد الأدلة لوضع الأستاذ فريد شحاتة في قفص الاتهام أو إثبات التهمة عليه، فهذا ليس هدفاً في حد ذاته، وإنما الهدف هو قطع الطريق عليه وعلى غيره من أن يتقوَّل على عميد الأدب العربي.

وهذا ما حدث بالضبط عندما سجل فريد شحاتة على نفسه أنَّه لن يتقوَّل على طه حسين لا في حياته ولا بعد عمر طويل.

وبعد: فإن مجلة الإذاعة تحسُّ أنها قامت بواجبها الأدبي والصحفي معاً عندما نشرت هذه القضية وعرضتها للشمس والهواء، وأنَّ نشرها كان في المكان المناسب والموعد المناسب دفعاً لشائعات وأقاويل تردَّدت حول الدكتور العميد، وحَسْماً لقضية تنوقلت في السر كثيراً، وكشفاً لموقف لا يمكن السكوت عليه.

ولعل نفي الأستاذ فريد شحاتة لما قيل على لسانه يصحح موقفه ويقطع عليه طريقاً ربما كان سيسلكه تحت تأثير الغضب الجائح، أو إغراء الذهب الرنَّان.

[نص ردّ فريد شحاتة على ما قيل عن لسانه]

أما ردُّ الأستاذ فريد شحاتة فهو كما يلي:

السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.

أطيب تحياتي وأصدق أمنياتي.

وبعد: فقد فوجئت ـ مفاجأة قاسية ـ بما قرأته في مجلة الإذاعة والتليفزيون عن حديث جرى بين الأستاذ الدكتور طه حسين والأستاذ سامح كريم المحرِّر بالمجلة، وقد كنت موضوع هذا الحديث كلِّه بعد أن نسب إليَّ المحرِّر ما أثار غضب الدكتور طه حسين على سكرتيره القديم.

ومن يقرأ هذا الحديث وخاصة من الأصدقاء يعجب كل العجب

كيف تمكن هذا الصحفي من إثارة الدكتور طه حسين إلى هذه الدرجة.

ولقد دُهشتُ أشدَّ الدهشة لما افتراه عليَّ المحرِّر من ادعاءات لا أساس لها، ولم يرد على لساني شيء منها أبداً في أي وقت من الأوقات، وكل ما ذكرته لبعض خاصة الإخوان أن ما أكتبه فعلاً من ذكريات قد انتحيت فيه ناحية إنسانية بحتة قد لا يعرفها الكثيرون.

ولا شكَّ أنَّ استثارة المحرِّر للأستاذ الدكتور طه حسين على هذه الصورة غير الكريمة هي مرجع قسوة سيادته في الإجابة، وهو الذي استبقاني ـ بعد ما خَبرني ـ أكثر من أربعين عاماً كنت فيها موضع ثقته، وعرف فيها مَعْدني، وهو من الذكاء وقوة التحليل بحيث يعرف جيداً من يأتمنه ويضع فيه ثقته الكاملة طوال هذه الحقبة الطويلة من الزمن.

وأغرب ما في الأمر أن المحرر المذكور حاول مرَّات كثيرة أنْ أكتب للمجلة بهذه الروح التي أظهرها في مقاله، ولكني رفضتُ وأصرَرْت على الرفض، وليس أدلَّ على ذلك من أنه سلمني خطاباً من رئيس التحرير السابق بتاريخ ٣/ ٦/ ١٩٧١، يعرض فيه أن أكتب مذكرات عن عملي مع الأستاذ الدكتور طه حسين، مقابل خمسة عشر جنيهاً عن كل حلقة، ولقد رفضت إجابة هذا الطلب، بل ولم أردّ على هذا العرض نهائياً.

وإذا كانت علاقتي المباشرة بالأستاذ الدكتور طه حسين قد انقضت، فإن ذلك كان لظروف خاصة قاسية ـ فلا يمكنني بحالٍ أن أنسى ما أحمله في أعماق قلبي لسيادته من محبة وإجلال وعرفان وتقدير بعد هذه السنين الطوال الحافلة بالعِشْرة الكريمة.

وإني لأرجو سيادتكم أن تتفضل مشكوراً بنشر تصحيحي هذا كاملاً، في نفس المكان الذي نشر فيه الحديث المشار إليه وفق التقاليد الصحفية.

ولسيادتكم أخلص وأعمق تقديري.

فريد شحاتة

وعقَّب الأستاذ سامح على رد الأستاذ فريد، مفنِّداً ما جاء في ردِّه من دعاوَى، مؤكِّداً أن كل ما نقله عنه صحيح لا تقوُّل فيه، وجاء في هذا التعقيب:

[تعقيب سامح كريم على رد السكرتير فريد]

واضح من الردِّ أنّ الأستاذ فريد شحاتة عاد والعود أحمد إلى سابق محبته وتقديره للدكتور عميد الأدب العربي، وهذا ما كان ينبغي أن يفعله بعد صحبة الأربعين عاماً.

وهذه ولا شك عودة إلى الحق ربما كانت محمودة ـ من السكرتير السابق ـ لو لم يصحبها إنكاره للحديث الذي جرى بيني وبينه، ذلك الحديث الذي لم يخصني به وحدي، بشهادة العميد، بل كنت واحداً من كثيرين ساءهم هذا الموقف من السكرتير السابق، فبلَّغوه لسيادته عملاً بالمبدأ الأخلاقي القائل: إنه إذا كان موقف من ينتحل لنفسه جهد الآخرين مؤسفاً، فإن الأكثر منه مَدْعاة للأسف هو موقف من يتستَّر عليه.

وإلى جانب شهادة عميد الأدب العربي، هناك أكثر من إثبات سوف يبرز كل منها بالضرورة أثناء مناقشة الردِّ نفسه.

يقول السكرتير السابق إنني ادَّعيت عليه وافتريت، وأتساءل لماذا هو بالذات؟ لماذا هو دون غيره ممن عملوا مع العميد وكلهم ذوو علم وثقافة، لماذا لم أدّع مثلاً على من سبقه في العمل مثل الأستاذ صليب والدكتور توفيق، أو حتى من عاصره في العمل وهو الأستاذ إبراهيم الإبياري، أو من لحقه بعد ذلك وهم الأساتذة روفائيل وميخائيل وأنطون، وأخيراً الدكتور الدسوقي، لماذا هو بالذات.

وإذا حُقَّ للأستاذ فريد أن ينكر حديثه معي ـ رغم شهادة العميد من ناحية، ورغم اعترافه الضمني من ناحية أخرى حين يقول: وكل ما ذكرته لبعض خاصة الإخوان أنّ ما أكتبه فعلاً من ذكريات قد انتحيت فيه ناحية إنسانية بحتة قد لا يعرفها الكثيرون. إذا كان له بعد ذلك كله

أنْ ينكر حديثي معه، فهل لي كصحفي ـ يؤمن بأن الكلمة شرف ورسالة ـ أن أتساءل، وما الذي يثبت ما يقول؟ هل كان ينبغي أن أسجِّل حديثاً عرفه كل من اتصل بالوسط الأدبي حتى أكون صادقاً، وهل يحسن بي أن أحتفظ بشيء من مذكراته حتى لا ينكر صاحبها بعد ذلك. أم هل كان يكفي أن أسمع ما يقول، وأختار منه ما يصلح للنشر كما هي العادة؟

أسفتُ حقاً لترديد الأستاذ فريد بأنني عملت على إثارة العميد عليه، ولعلَّ أسفي يرجع إلى عدم توافر التقدير الكافي للأمور لدى السكرتير السابق والموضوعية الواجبة.

إنني أخاطب ضميره بعد صحبة للعميد دامت أربعين عاماً، عرفه فيها عن قرب هل من السهل هكذا إثارة الدكتور العميد بأي حديث لو لم يكن لديه خلفية كافية لهذا الحديث؟ وهل هو ميسور لمن هو مثلي أن أجرَّ سيادته إلى معركة غير متكافئة إذا لم يكن مقتنعاً بكل جوانبها؟ أم هل كان هناك سابق إصرار واستعداد للردِّ عند العميد حسماً لموقف معين يراه جديراً بالاهتمام؟

أسئلة كنت أتمنى أن تجد طريقها إلى الأستاذ فريد قبل أن يتهمني بأنني أثرت العميد عليه.

وإذا كان الأستاذ فريد لا يهمُّه ـ حالياً ولظروف خاصة ـ المحافظة على العميد كقيمة في حياتنا فليست هذه قاعدة تنسحب على غيره بالضرورة.

إنَّ هناك إجماعاً على الحفاظ على هذه القيمة، ولو شذَّ فرد عن هذا الإجماع، وأقدم على عمل ما يسيء إلى العميد، فإنه لن يجد داراً للنشر في مصر تتيح له ذلك! هذه مسألة كان ينبغي أن يفكر فيها السكرتير السابق قبل أن يتورَّط ويفضح ما يكنُّه ويسقطه على الآخرين حيث يقول: «وأغرب ما في الأمر أنّ المحرِّر المذكور حاول مرات

كثيرة أن أكتب للمجلة بهذه الروح التي أظهرها في مقاله».

إنَّ المجلَّة خاطبت فعلاً الأستاذ فريداً بشأن هذه المذكرات، وكان الهدف ـ كما هو واضح من خطابها ـ إضافة جديد إلى تاريخنا الأدبي، وقد أعدَّ هذا الأستاذ الحلقات الأولى، وبعد قراءتها أدركنا أنها غير صالحة للنشر، ففيها الكثير مما يمنعني أدب القلم أن أذكره، وأفضيت إليه بهذا، وعرَّفته أيضاً أننا لن ننشر شيئاً إلا إذا قرئ على العميد أولاً، وهنا ثار وغضب ثم رفض، وعلَّل رفضه بأننا لم نستجب لرغبته وطلبه في دفع ٢٥ جنيهاً مكافأة عن كل حلقة، وبديهي والأمر هكذا أن يكون الرفض من الجانبين لا من جانبه كما قال.

وفي ختام تعقيب الأستاذ كريم ذكَّر الأستاذ فريد بنقطتين هما:

النقطة الأولى: أنَّ ما يكتبه الأستاذ فريد عن عميد الأدب العربي ذكريات إنسانية بحتة.

والنقطة الثانية: أنّ مشاعره لم تتغير ولن تبدل تجاه الدكتور العميد.

وأما كلمة الأستاذ إبراهيم الإبياري «وجه الحقيقة» فهي لا تخرج في مضمونها على ما كتبه سواه في العدد الماضي، وإن كانت هذه الكلمة تمتاز بأن صاحبها عرف العميد معرفة لقاء ومزاملة في الأعمال العلمية في المجمع اللغوي وغيره فترة طويلة، ومن ثَمَّ فهي وجه الحقيقة عن تجربة شخصية.

[السكرتير فريد يكتب في صحيفة الرياض بالسعودية مقالاً يتهجم فيه على العميد بعد إقفال ملفه في مجلة الإذاعة]

وكنت أعتقد أن هذا الحَدَث الأدبي الخطير قد أُسدل عليه الستار، وأن السكرتير السابق للعميد لن يثير في الوسط الأدبي شيئاً مما نُسب إليه، ولكن العميد تلقى من الأستاذ محمد السعيد قاسم الذي يسكن في بيت مقابل لبيت العميد، وكان يزوره لماماً، ويلجأ إليه أحياناً يعرض عليه بعض أعماله الأدبية أو يطلب منه معاونته في وزارة التربية على النقل من مكان إلى آخر مثلاً، هذا الأستاذ كان

مُعاراً للتدريس بمعهد المعلمين بالرياض، بالمملكة العربية السعودية ـ تلقَّى منه العميد رسالة تفيض غضباً على الأستاذ فريد، لأنه نشر في صحيفة تصدر بالرياض ما نسبه الأستاذ سامح كريم إليه، وقد جاء هذا النشر بعد نحو أسبوع من إعلان مجلة الإذاعة، أنها تقفل ملف هذه القضية للاعتبارات التي ذكرتها من قبل.

وقد أرسل الأستاذ قاسم مع رسالته الصفحة التي نشر فيها ما قاله الأستاذ فريد، وهي صفحة الملحق الأدبي من صحيفة «الرياض» وقد جاء ما نشر على النحو التالي:

فريد شحاتة: سأحطِّم هذا الصنم الذي اسمه طه حسين.

السكرتير السابق للدكتور: لقد تعلَّمت من طه حسين لأستطيع أن أكشفه على حقيقته.

طه حسين يقول: أتممت «الحب الضائع» تأليفاً بقلمي.

طه حسين نقل من كتب المستشرقين وطبعها كتاباً باسمه.

ـ رسالة خاصة من القاهرة.

فريد شحاتة سكرتير الدكتور طه حسين الذي ترك العمل معه منذ عام ١٩٦٨ بعد أربعين عاماً أمضاها مع عميد الأدب العربي، أذاع في الوسط الأدبي في القاهرة زَوْبعة مثيرة ما أسرع ما تضخَّمت حتى شملت الوطن العربي، وتعدَّى صداها لندن التي رحَّبت دور النشر فيها بنشر مذكرات فريد شحاتة وكُتُبِه التي يحطِّم فيها هذا الصنم الذي يعرفه الناس باسم طه حسين ـ كما يقول.

لقد التحق فريد شحاتة بعمله لدى الدكتور طه حسين منذ أكثر من أربعين عاماً بعد أن خَلَف أخاه الدكتور توفيق شحاتة، الذي انقطع للتدريس بالجامعة حتى توفي، وفريد شحاتة لا يحمل أي مؤهِّل أكاديمي.

ويقول فريد: إنه سينشر قريباً كتاباً ألَّفه عن صحبته مع طه حسين

باسم «ما لا يعرفه الناس عن طه حسين»، وسيتبع ذلك بنشر مذكراته، وفي كلا المؤلفين يقول فريد:

سأقدِّم الوجه الآخر لطه حسين، وسأتيح للناس لأول مرة أن يقرؤوا الكثير ممَّا لا يعرفونه عن هذا الصنم الذي قدَّسوه منذ نصف قرن من الزمان.

ويقول فريد شحاتة: إنه شارك في تأليف معظم كتب الدكتور طه حسين وأقربها إلى باله كتاب «الحب الضائع» وقد استلمه تأليفاً.

[حوار فريد شحاتة مع محرر جريدة الرياض]

○ ولكنك حين التحقت بعملك لدى الدكتور طه حسين لم تكن تحمل أي مؤهَّل أكاديمي، والدكتور يقول أنه يشك في أنك تستطيع إخراج أي مؤلف، أو حتى تكتب موضوعاً صالحاً للنشر؟

ـ لقد تعلمتُ من طه حسين لأستطيع أن أكشفه على حقيقته للناس، إنَّ صحبتي له تجعلني أكتب عنه، لأبدِّد الصفة التي أخذها الناس عنه خطأ.

○ وما يعاب على الدكتور طه حسين في نظرك؟

ـ لقد سبق أن قلتُ أنَّ ثقافة طه حسين بضاعة أوروبية رُدَّت لأصحابها من الأوروبيين، ولقد بلغ تأثره بالثقافة الأوروبية إلى أن جعل عناوين كتبه على نحو يقارب عناوين المؤلفات الشهيرة لديهم، ومن ذلك كتاب «على هامش الكتب القديمة» الذي ألفه الكاتب الفرنسي «جيل لوميتر». ولم يقف طه حسين عند العناوين بل تعدَّاه إلى نقل عبارات بأكملها من مستشرق إنكليزي «جرجيس ضال» وكتابه «في الشعر الجاهلي» يضم الكثير مما نقله.

○ وهل ستنشر هذا الكتاب في القاهرة أم في بيروت ومتى؟

ـ اتفقت مؤخَّراً على نشره في بيروت، وسيكون ذلك قريباً.

○ الدكتور طه حسين قال في حديث له إنه سيرفع ضدَّك دعوى للقضاء إذا نشرت شيئاً يمسُّه شخصياً؟

ـ فيما سأنشره تحليل وعرض لمناهج طه حسين في الدراسة والبحث ومنابع هذه الدراسة، وكَشْف لما انتحله من غيره، ومشاركتي في استكمال بعض مؤلفاته.

o ولكن الشيء الذي يثير السؤال الدائم هو لماذا لم يكشف هذه الادعاءات التي تقوَّلها غيرك ممن كانت لهم معارك مع الدكتور طه حسين أو حتى من غير خصومه؟

ـ ربما لأنَّني كنتُ أقربهم إلى طه حسين، ثم إنَّ أحداً لن يشك في مقدرة طه حسين ولكني سأبدِّد ذلك.

ويعلِّق المحرر على هذا الكلام بقوله:

ولم يستطع فريد شحاتة أن يقول أكثر من ذلك، ونحن نعتقد أنه لا يملك حقاً ما يستطيع أن يقوله أكثر من ذلك، وإنَّ وراء زوبعته هذه زوبعة أخرى ستنكشف، وسيعرف القراء حقيقة ذلك.

ولعلنا في هذا اللقاء استطعنا أن نكشف حقيقة فريد شحاتة وما لديه.. هل سنكتب له فصول كتابه الذي يَعِدُ به، وأنَّ اسمه سيقرِّب الكتاب من القراء باعتباره سكرتيراً للعميد بقي معه أكثر من أربعين عاماً، هذا ما ستكشفه الأيام.

[جريدة الرياض تذكر تراجع فريد شحاتة عن أقواله في العميد]

ثم أردفت الصحيفة ما كتبته بما يلي:

o حَمَلَتْ المجلات هذا الأسبوع تراجع فريد شحاتة عن أقواله التي أثارها حول الدكتور طه حسين، وقال: إن ما سينشره قضية إنسانية، وهذا الكلام الذي قاله فريد ونشر في صحيفة الرياض صدر عنه بعدما نشر في مجلة الإذاعة، بدليل ما جاء فيه من إشارات إلى هذا الذي نشر في القاهرة، مثل رَفْع دعوى ضده إذا نشر ما يسيء إلى شخص العميد، ومثل رأي العميد في قدرة فريد على الكتابة والتأليف.

وقد قال فريد في ردِّه: إنه لم يقل ما نسبه محرر مجلة الإذاعة إليه، ولم يرد على لسانه منه شيء على الإطلاق، فهل ما نشر في

صحيفة الرياض تقوّله محررها عليه أو أنه صحيح، ومن ثَمَّ يكون في ردِّه السابق قد خانته شجاعته الأدبية فآثر أن يقول غير الحقيقة.

أمَّا أنَّه تراجع عما صدر عنه وأن ما سينشره خاص بجانب إنساني في حياة العميد، فقد مضى على هذا حتى الآن نحو أربعة أعوام ولم ينشر فريد شيئاً عن العميد، ولن يستطيع أن يكتب ما يستحق النشر، لأنه لم ينشر طوال حياته مع العميد شيئاً، فكيف يصبح بعد أن جاوز الستين مؤلفاً، اللهمَّ إلا أن يكتب له البعض كما ذكرت هذا صحيفة الرياض.

ومع هذا فقد خسر فريد الكثير بما ادّعاه، وكان الأكرم له أن يلوذ بالصمت، ولن ينسى التاريخ الأدبي الإشارة إلى تلك الحقبة الطويلة التي عمل فيها مع العميد، وبذل فيها ما بذل من راحته ووقته وسجَّل بقلمه ما أملاه العميد عليه أروع آثاره الفكرية والأدبية.

❁ ❁ ❁

أما ما قاله العميد بعد أن قرأتُ عليه ما نشرته صحيفة الرياض فقد ردَّد ما قاله في مجلة الإذاعة «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» «ورحم الله امرءاً عرف قَدْر نفسه».

الاثنين ١٩٧٢/٥/٢٢: كانت حالةُ العميد الصحيَّة قد ازدادت سوءاً منذ أوائل هذا الشهر، ولجأت الزوجة إلى أن تستعين بممرضة تقيم معها، فقد عجزت عن القيام بما يحتاجه زوجها، وكانت المشكلة التي تقلق الزوجة هي أن توفق في اختيار شخص مناسب يسافر مع العميد في رحلة الصيف، فقد أزف الوقت، وهي حريصة كل الحرص على أن تسافر، وقد استقر الرأي ـ أخيراً ـ على أن يسافر مع العميد الأستاذ محمد عبد الحميد الموظف بالعلاقات العامة بوزارة التربية والتعليم، ولجأت إدارة المَجْمع اللغوي ـ دون علم العميد ـ إلى مخاطبة الوزارة تطلب إعارة الأخ المذكور لمدة عام، وتحدَّث الأستاذ الدكتور إبراهيم مَدْكور مع الوزير الأستاذ علي عبد الرازق موضِّحاً له

الغرض من هذه الإعارة، وهو أن يسافر الأستاذ عبد الحميد إلى إيطاليا مع العميد، ووافق الوزير على طلب المجمع، وأخذ هذا الأستاذ يهيىء نفسه للسفر، وكان بسبب ذلك يتأخر أحياناً في الحضور إلى رامتان، وعاتبته زوجة العميد في رِفْق أولاً، ثم ثارت في وجهه ثورة عارمة، فرفض السفر، وألغى الإعارة، واستمر في عمله بالوزارة.

وأُسقط في يد الزوجة، غير أنَّ الممرضة أنقذتها من حَيْرتها، فعرضت عليها أن يسافر زوجها، ولم يكن، هذا الزوج وهو الأستاذ بشري، من حيث معرفته باللغة العربية في المستوى المطلوب، ولكن ضيق الوقت فرض أن يسافر، بل واستمر سكرتيراً للعميد إلى أن توفاه الله...

* * *

[رغبة العميد في قراءة بعض أجزاء من تاريخ الطبري من أجل كتابة الجزء الثالث من كتاب الفتنة الكبرى]

وحدثني العميد قبل سفره إلى إيطاليا بأنه يرغب في قراءة بعض أجزاء من تاريخ الطبري من أجل كتابة الجزء الثالث من الفتنة الكبرى، وكنتُ قد قرأتُ له شرح نهج البلاغة لهذا الغرض أيضاً، واتفق معي العميد على أن تكون هذه القراءة بعد عودته من رحلته، غير أني لم ألْقَ العميد منذ ودعته يوم سفره في شهر يونيه سنة ١٩٧٢ إلى أن لقي ربَّه، فقد أُعرت للتدريس بالجامعة الليبية ابتداء من سبتمبر سنة ١٩٧٢، وما أظن أحداً قرأ له شيئاً من تاريخ الطبري. وكتبت لأستاذي الدكتور إبراهيم مَدْكور من مدينة طرابلس بعد تسلّمي عملي بكلية التربية رسالة شكر وتحية، فكتب إليَّ الرسالة التالية:

الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي..

تحية طيبة وبعد

فشكراً خالصاً على خطابكم الرقيق، ورجاء أن تكونوا بخير وعافية، ويسعدني دائماً أن أقرأكم، وأن أقف على أخباركم.

ولا يساورني شك في أنكم ستؤدُّون رسالتكم على خير وجه، وستكونون أصدق سفير إلى قطر شقيق.

لم يعد الدكتور طه من رحلته بعد، وأقدِّر أنّه سيحس بغيابكم، ولست أدري إنْ كنا سنجد السبيل في يُسْر إلى سدِّ حاجته.

وتقبّلوا تمنياتي وتحياتي الخالصة.

أ.مدكور

١٩٧٢/٩/١٩

❁ ❁ ❁

وكتبتُ للعميد مهنئاً بسلامة عودته من رحلته، ومعتذراً إليه، لأنَّ الظروف ألجأتني إلى أن أبتعد عنه، مع ما أكنه له من الحب العميق والإجلال الصادق، ومع اعترافي بأني تعلَّمتُ منه في تلك الأيام التي سعدتُ فيها بلقائه الكثير، ثم أبرقت إليه مهنئاً بيوم مولده، ولكني لم أتلقَّ على الرسالة أو البرقية ردّاً، وأيقنت أن الرجل يقاسي من المرض والشيخوخة، وأنَّ حالة النسيان التي طرأت عليه قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام قد اشتدت وطأتها.

[حالة النسيان طرأت على العميد قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام]

وبعثت إلى أستاذي الدكتور إبراهيم مدكور برسالة أهنئه فيها بعيد الفطر، ومعبِّراً عن أطيب تمنياتي للأسرة المجمعية ورئيسها عميد الأدب العربي، وقد تفضَّل فأرسل إليّ هذه الرسالة.

الأستاذ محمد الدسوقي...

أحمد الله إليك وإلى من حولك، وأرجو لكم الخير والعافية، وأنا شاكر لك أصدق الشكر على تهنئتك الرقيقة، وأتمنَّى لك التوفيق والسداد.

تسير أعمال المجمع كعهدك بها، وإن كانت الأسرة تفتقد من حين لآخر بعض أعضائها، وتحنُّ إلى أن تراهم وتسمع عنهم، ولم أكن أشك يوماً في أنك ستؤدي رسالتك على خير وجه، وتمثل العلم

والثقافة المصرية أصدق تمثيل، وقد سمعت عنك ما اغتبطت له.

يقاسي الأستاذ العميد آلام الشيخوخة في صَبْر وجَلَد، ويقاومها ما استطاع، ويتيح لنا فرصة لقائه من حين لآخر، وفي حديث له لمستُ تقديره للمدة التي قضيتَها بجانبه، ومعه الآن مرافق مسيحي أرجو أن يستقر به المقام، حتى لا يضطر الشيخ المريض إلى التغيير والتبديل.

وأكرر لك شكري مرة أخرى مع أصدق تحياتي..

ا.مدكور

١٩٧٣/١/٢٧

وما كتبه أستاذي الدكتور إبراهيم مَدْكور في هاتين الرسالتين غني عن التعليق، وهو يتضمن شهادة أعتزُّ بها كل الاعتزاز عن علاقتي بالعميد، بالإضافة إلى ما جاء فيهما عنِّي من تقدير وثقة أشكر أستاذي عليه أجزل الشكر، وأطمع أن أكون أهلاً لذلك.

وبعد:

[معاناة العميد من آلامه الصحية في العقد الأخير من عمره]

فهذا ما استطعتُ تدوينه في تلك الأيام التي عملتُ فيها مع العميد، ومن هذا الذي دوَّنتُ يتضح أنَّ العميد عاش في العقد الأخير من عمره حياة صحية مضطربة، وكان مصدر آلامه الصحية كثرة الغازات في أمعائه، فقد وقع يوماً قبل أن أتصل به في الحمام، فأصاب عمودَه الفقري انزلاق، وأجريت له عملية جراحية نجم عنها ضعف في ساقيه، وبطء شديد في حركته، وعدم قدرته على استواء قامته في أثناء سيره، واعتماده على سواه وهو يمشي، وأدَّى هذا إلى قلة حركته، وطول جلوسه أو نومه في فراشه، فاضطربت معدته وأمعاؤه، وكان يحاول التغلُّب على آلامه بالإقلال من طعامه، فزاده هذا ضعفاً على ضعف، ومن ثَمّ كانت زوجته تكرهه على الطعام في بعض الأيام إكراهاً، وكان أحياناً يخضع لإرادتها، وأحياناً أخرى لا

ينزل عند رأيها ولا يستجيب لها، فتغضب منه أو تثور عليه، وقد تمسك عن تناول طعامها بسبب ذلك.

[حبُه الشديد للقراءة وحرصه على الوقت]

وكان الرجل مع ضعف صحته ونحول جسمه يحب القراءة كل الحب، ويحرص على الوقت أشد الحرص، ويضيق بالزائر الذي يطيل المكث لديه دون حاجة، أو الذي يعمل معه دون أن يكون مجيداً للعربية ويمكنه أن يقرأ بها لفترة طويلة، وفي السنوات الأخيرة نصحه طبيبه بعدم الإكثار من القراءة، غير أنه لم يأخذ بهذا النصح، مشيراً إلى أن حياته لا معنى لها إذا لم يقرأ.

[لم يؤلف في سنواته الأخيرة كتباً، ولم يكتب دراسات]

والعميد الذي كان يعشق القراءة، على الرغم من ظروفه الصحية القاسية، لم يؤلف في سنواته الأخيرة كتاباً أو يكتب دراسات على غرار ما كتب في «حديث الأربعاء» أو «من حديث الشعر والنثر»، وكل ما كتبه يدور بوجه عام في نطاق تلخيص الكتب والتعليق عليها أو التقديم لها، فضلاً عن آرائه في بعض القضايا الأدبية والتربوية والتي أدلَى بها لبعض الكتّاب والصحفيِّين.

[كان يطمع أن يكمل كتابيه: الأيام والفتنة الكبرى]

وكان العميد يطمع في أن ينسئ الله في أجله ويسبغ عليه نعمة العافية ليكمل كتابيه «الأيام» و«الفتنة الكبرى»، ولكن لكل أجل كتاب.

وإذا كان العميد كما أومأتُ إلى هذا في خاتمة كتاب «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» يشكو من أنَّ الذين أحسن إليهم قد أساءوا إليه، فإنه في العقد الأخير من عمره كان يشكو من تلامذته وزملائه الذين انفضُّوا عنه، ولم يعودوا كما كانوا يسعَوْن إلى داره أو يذكرونه في مناسبات التحية والتهنئة، وكان هذا يؤلمه أبلغ الألم، ويراه نكراناً للمعروف، وهو شيء فظيع على حدِّ قوله.

[كان العميد في العقد الأخير من عمره يشكو من تلامذته وزملائه الذين انفضوا عنه]

وإذا كان ما دوّنتُ قد اشتمل على طرف من حياة العميد وآرائه أيام التَلْمَذة والعمل في الجامعة وغيرها فإن ذلك قد أبرز بعض الأحداث الهامة في الفترة التي عملت فيها مع العميد وهي:

[أبرز الأحداث في حياة العميد خلال فترة ملازمة الدكتور دسوقي له]

أولاً: رئاسته للمجمع اللغوي.

ثانياً: منحه قلادة النيل، أرفع وسام في مصر.

ثالثاً: تخلّي سكرتيره الأستاذ فريد عنه، ثم إثارته تلك الزوبعة التي اتُّهم فيها العميد بسرقة آراء المستشرقين.

رابعاً: منحه درجتي دكتوراه فخرية في يوم واحد من إسبانيا.

[تشاؤم العميد من مستقبل الأدب وتأكيده على أن العامية لا تصلح لغة للكتابة وعلى ضرورة دراسة الأدب العربي القديم]

ويتضح كذلك مما سجَّلت في هذه الأيام أنّ العميدَ كان متشائماً من مستقبل الأدب العربي، ويلح دائماً على أن العامية لا تصلح لغة للكتابة، وأنّ دراسة الأدب العربي القديم ضرورة للمحافظة على أصالة الأدب العربي الحديث، وأنّ ذلك الأدب ليس خالياً من المضمون كما يزعم الزاعمون، وأنّ على الشباب أن يُقْبل على القراءة الجادة حتى يمكن أن يتكرر جيل العمالقة.

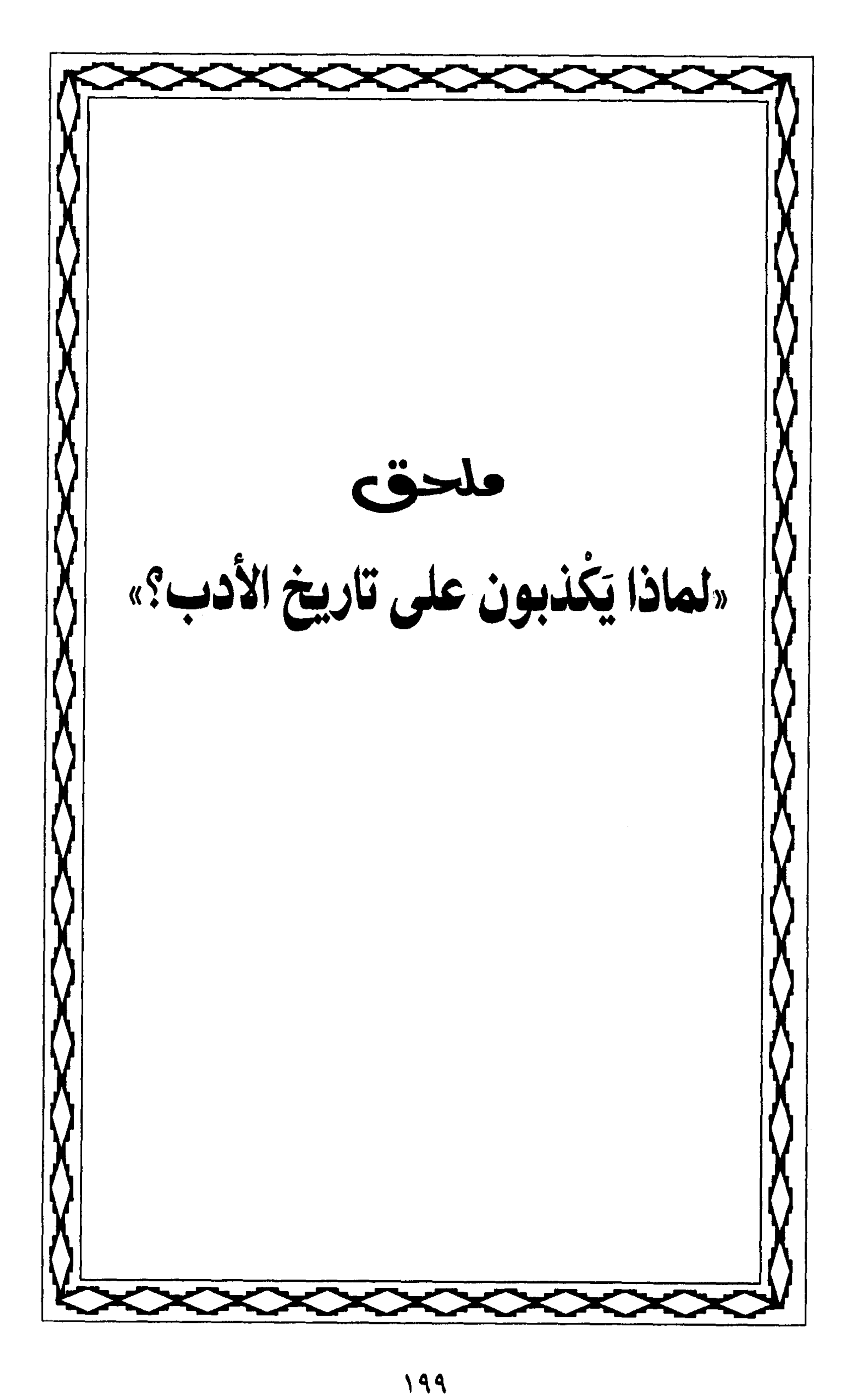
[شخصية العميد طبّقت شهرتها في حياته في العالم كله]

كذلك يتضح أنَّ العميد شخصية طبقت شهرتها في حياته العالم كله تقريباً، فقد منحته بعض الجامعات العالمية درجة الدكتوراه الفخرية، وصدرت عنه بالعربية وغيرها مؤلفات عديدة، وخصَّصت بعض المجلات بعض أعدادها عن حياته ومؤلفاته، وتُرجمت بعض هذه المؤلفات وبخاصة «الأيام» إلى معظم لغات العالم، وسعَى إليه كثير من المفكرين والباحثين من مختلف الجنسيات والدول لمناقشته والحديث إليه، وشارك في كثير من المؤتمرات الدولية بأبحاثه ودراساته، ولم يتحقق هذا لمفكر عربي معاصر ـ غير العميد ـ فيما أعلم.

ومع ما جاء في هذه الأيام عن زوجة العميد، فإني أرجو أن أوفق في إخراج دراسة وافية عنها، فضلاً عمَّا وعدتُ به في خاتمة كتاب طه حسين يتحدَّث عن أعلام عصره.

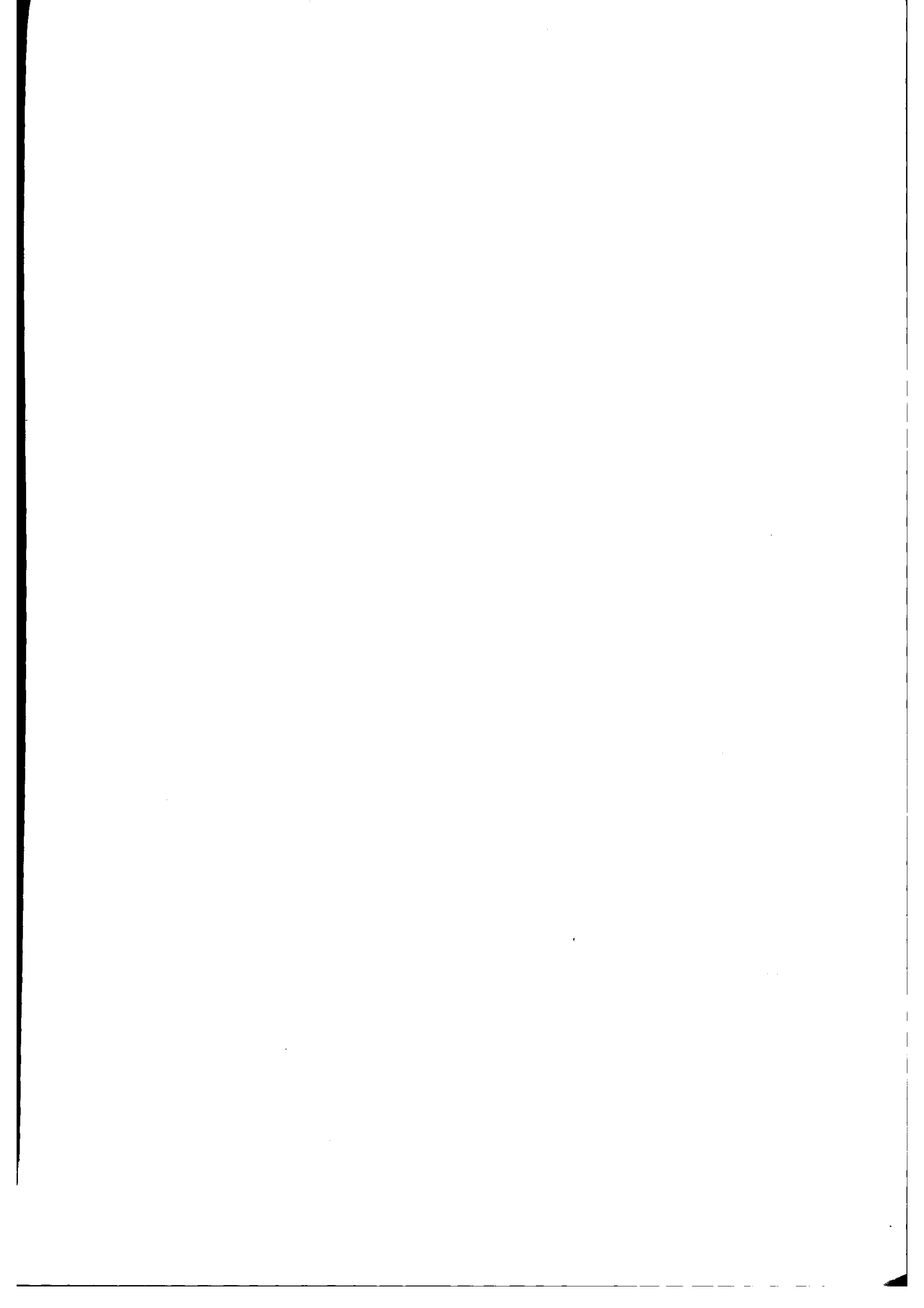
ولعلّي بهذا أكون قد أدَّيت بعضَ حقّ العميد عليّ.

رحمه الله، وجزاه كَفاء ما قدَّم خير الجزاء.



ملحق

«لماذا يَكْذبون على تاريخ الأدب؟»



نشرت مجلة «الثقافة العربية» التي كانت تصدر في طرابلس بليبيا في العدد التاسع من السنة الأولى حديثاً مع عميد الأدب العربي تحت عنوان:

«هكذا تكلَّم طه حسين لآخرة مرَّة» وقد أجرَى هذا الحديث الأستاذ غالي شكري وذكر في مستهله أنه جلس مع العميد نحو أربعين ساعة، وتردَّد على رامَتان يومياً لمدة ثلاثة أسابيع، ودار الحديث بوجه عام حول نقطتين هما: قضية التراث والمعاصرة، وقضية الديمقراطية.

وبعد نشر هذا الحديث في تلك المجلة طلب مني أمين تحريرها وكان في ذلك الوقت الأستاذ صالح أبو أصبع أن أعقِّب على ما نسبه الأستاذ غالي إلى العميد؛ لأن هيئة تحرير المجلة يساورها الشك في صحة كل ما اشتمل عليه هذا الحديث من آراء وأقوال، وأنّها جميعها صدرت عن الدكتور طه حسين.

وكتبت تعقيباً موجزاً أومأت فيه إلى بعض الحقائق التي أعرفها عن طه حسين، والتي تؤكد أن هذا الحديث ليس كله صحيحاً، وبعثت إدارة المجلة بهذا التعقيب إلى المطبعة، بيد أن يداً مجهولة امتدت إليه فمزقته أو أحرقته، ومن ثم لم ينشر.

وشغلت بعد ذلك عن الكتابة حول هذا الحديث، وبيان قيمته العلمية والتاريخية، وكنت أطمع في أن أفرغ لكتابة تعقيب أكثر تفصيلاً، وأن أنشره كملحق لكتابي «أيام مع طه حسين» غير أن هذا الكتاب طبع دون أن يشتمل على تعقيب أو رد.

ولما وجدت أن بعض الذين كتبوا عن طه حسين اتخذوا من هذا الحديث مصدراً يعوّلون عليه في استنباط الآراء، وإصدار الأحكام كما

فعل الدكتور عبد المجيد المحتسب في كتابه «طه حسين مفكراً» والذي أرجو أن أكتب حوله دراسة تكشف عن مدى التجني ومجافاة الموضوعية، وتلمس الشبهات وكأنه أمام المؤلف هدف أساسي يسعى إليه ويحرص عليه عزمت على كتابة رد على هذا الحديث كي لا يتخذ وثيقة أدبية عن طه حسين في آخر أعوامه.

ويجدر قبل التعرض لمضمون ما نشره الأستاذ غالي أن أذكر طرفاً مما لا يعرفه الناس عن حياة عميد الأدب العربي في العقد الأخير من عمره؛ لأن لهذا علاقة وثيقة بتوضيح الحقيقة التي لا تعرف الإفراط أو التفريط.

كان طه حسين في العقد الأخير من عمره ـ وقد عرفته فيه نحو تسع سنوات قارئاً وسكرتيراً في بعض الأحيان ـ يعيش حياة صحية مضطربة ومع هذا كان يعكف على القراءة، وكان يطمع في أن يمد الله في أجله، ويتم عليه نعمة العافية؛ ليكمل «الأيام».. و«الفتنة الكبرى».. ولكن لكل أجل كتاب.

وكان الرجل في حياته في هذا العقد يسير وفقاً لنظام ثابت لا يحيد عنه إلا لضرورة، فهو يستيقظ من نومه غالباً في نحو السابعة صباحاً، وحتى العاشرة والنصف يتناول طعام الإفطار ويغير ثيابه، ثم تبدأ في نحو الحادية عشرة فترة القراءة الأولى باللغة العربية، وكانت هذه الفترة تمتد إلى الواحدة والنصف ظهراً، ويقرأ فيها الصحف القاهرية اليومية وبعض المجلات الأسبوعية، وما يتيسر من بعض الكتب إذا سمح الوقت بذلك.

وفي هذه الفترة الصباحية ما كان يستقبل زائراً اللهم إلا من كانت تربطهم به رابطة خاصة، ويزورونه دون تحديد موعد معه، ويلقاهم ولو كان نائماً في فراشه، ومن هؤلاء الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير، وعضو المجمع اللغوي، وصاحب «قرية ظالمة» رحمه الله.

ومن الواحدة والنصف وحتى الثالثة يتناول طعام الغداء، ويغفو قليلاً أو يستريح، ثم تبدأ من الثالثة وحتى الخامسة فترة القراءة الأولى باللغة الفرنسية. وما كانت زوجته تقرأ له في هذه الفترة، وإنما كانت تقوم بالقراءة سيدة مصرية تجيد الفرنسية.

وفيما بين الخامسة والسادسة يأوي إلى فراشه نحو نصف ساعة، ويحتسي قدحاً من القهوة المعدة على الطريقة الفرنسية، وتبدأ من السادسة مساءً الفترة الثانية للقراءة بالعربية، وتمتد إلى الثامنة والنصف، وكان يقرأ في هذه الفترة أمهات الكتب العربية القديمة كـ«الكامل» للمبرد الذي قرأته معه أكثر من مرة، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«الحيوان» للجاحظ.. إلخ، وبعض المؤلفات المعاصرة.

وفي هذه الفترة المسائية كان العميد يستقبل زواره وأصدقاءه، غير أنه ما كان يهش للزائر الذي يطيل المكث، وكان يلوذ بالصمت لا يتكلم إلا لماماً علامة على نفوره وضيقه بهذا الضيف الثقيل الذي أسرف في الجلوس، وأضاع الوقت على حد قول العميد، ومع هذا كان إذا هَمَّ الزائر بالخروج شد العميد على يديه قائلاً: أرجو أن أراك كثيراً!

ويتناول طعام العشاء في نحو التاسعة مساءً، وتقرأ له زوجته بعد ذلك نحو ساعة، باللغة الفرنسية، فما كانت تعرف العربية قراءة أو كتابة، وكل ما تعرفه منها بعض الكلمات الدارجة تنطقها في لكنة أعجمية، وتستخدمها مع الذين يعملون في البيت كالطباخ وسائق السيارة.

وفي نحو الحادية عشرة يأوي العميد إلى فراشه للنوم. وكان إذا تأخر أو لم يحضر من يقرأ له في الفترة الصباحية أو المسائية يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم، وكان يروقه في الترتيل الشيخ الحصري.

وكان إذا رغب أحد الصحفيين أو الكتاب، أو المذيعين في لقاء

العميد لمعرفة رأيه في قضية من القضايا، وأذن له بذلك فإنه ما كان يتيح له فرصة الحضور إلى «رامتان» أكثر من مرتين في الأسبوع مهما يكن موضوع القضية أو صلة هذا الكاتب أو الصحفي بالعميد، على ألا يتجاوز كل لقاء نحو ساعة، وكان هذا قبل عام ١٩٧٠، فقد كان العميد قبل هذا العام على الرغم من ضعف صحته يتمتع بقوة ذاكرته، ولكنه قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام كان ينسى بصورة غريبة، فقد يزوره من يعرفه معرفة حميمة وبعد خروجه مباشرة يسألني من كان هنا؟ وكان هذا النسيان يسبب لي أحياناً مواقف حرجه كان يأتيه زائر في المساء فيسأله: هل قرأت اليوم في الصحف خبر كذا وكذا، فيجيب العميد: إنّ الدسوقي لم يقرأ لي هذا الخبر، فإذا حاولت أن أذكره بأننا قرأنا هذا الخبر، أصر على موقفه وأحياناً يقسم بالله بأننا لم نقرأه، فلا أجد بداً من الصمت.

وازدادت صحة العميد في العام الأخير من عمره سوءاً كما ازدادت ذاكرته ضعفاً. وجاء في رسالة تلقيتها من أستاذي الدكتور إبراهيم مدكور الذي خلف العميد في رئاسة المجمع اللغوي بعد إعارتي للعمل بجامعة الفاتح: «يقاسي الأستاذ العميد آلام الشيخوخة في صبر وجلد، ويقاومها ما استطاع، ويتيح لنا فرصة لقائه من حين لآخر، وفي حديث له لمست تقديره للمدة التي قضيتها بجانبه، ومعه الآن مرافق مسيحي أرجو أن يستقر به المقام حتى لا يضطر الشيخ المريض إلى التغيير والتبديل...».

وهذا يؤكد ما أومأت إليه آنفاً من ضعف صحة العميد وضعف ذاكرته، وأنه في آخر أعوامه لم يكن يتيح لأقرب الناس إليه فرصة لقائه إلا حيناً بعد حين.

وفضلاً عن كل ما أسلفته كانت زوجة العميد تتدخل في لقائه مع الكتاب والصحفيين، لكن لا يطول اللقاء، وذلك خوفاً عليه من الإرهاق والإغماء، وكانت تنبه علي بألا نستخدم أجهزة التسجيل في

أي لقاء، حتى لا يسجل بصوت زوجها ما قد يسيء إليه، بسبب نسيانه وضعف ذاكرته.

على أن حالة النسيان التي ألمت بالعميد في أعوامه الأخيرة لا تعني أبداً أن الرجل قد اختلط عقله، أو أنه كان يلبس في آرائه وأفكاره، وكل ما تدل عليه أن ذاكرته قد أصابها الوهن، ولم تعد كما كانت لا تخرم حرفاً مما وعته، والذي يثير الدهشة أني كنت إذا قرأت له خبراً في كتاب قديم، أو مطلع قصيدة لشاعر عباسي مثلاً فإنه كان يعلق على الخبر، أو يتلو القصيدة كلها مع ذكر فروق الرواية بين كتب الأدب في دقة تشهد للرجل بحافظة واعية لا تغيب عنها معلومات مضى على معرفتها أكثر من نصف قرن.

وبعد تلك الحقائق التي يعرفها كل من كان له صلة بالعميد، كيف يصح ما قاله الأستاذ غالي بأنه جلس مع العميد أربعين ساعة، وتردد على بيته ثلاثة أسابيع يومياً، إن هذا يعني أن لقاءه بالعميد كان يستغرق الفترة المسائية كلها نحو عشرين يوماً متتابعة، وهو أمر لا يمكن قبوله أو التسليم به على ضوء ما ذكرته من حقائق.

وإذا سلَّمنا جدلاً بأن غالي شكري لقي العميد كل تلك المدة، وأنه عامله بما لم يكن يعامل به أحداً من الذين كانوا يسعون إليه لمعرفة رأيه في قضية فكرية أو اجتماعية أو سياسية فإنَّ نظرة فاحصة موضوعية في هذا الحديث الذي جاء ثمرة ذلك اللقاء الفريد في زمنه وعدده تثير كثيراً من الشكوك والشبهات حوله، فردود العميد على أسئلة الأستاذ غالي كما نسبها إليه تتسم بالإفاضة وتشقيق الكلام، وكثرة أسماء الأعلام من الأدباء والمفكرين العرب وغيرهم، وما كان العميد في إجاباته ـ وهو يتمتع بقوة ذاكرته ـ يجنح إلى الإسهاب، وإنما كان يجتزئ فيما يسأل عنه بالإجمال دون التفصيل، والإيجاز دون الإطناب، وما كان يعنيه الإشارة إلى علم من الأعلام للتدليل على رأي، أو دعم وجهة نظر.

وعزا الأستاذ غالي إلى العميد عبارات وكلمات كان يضيق بها، ولا تجري على لسانه مثل «عدم التسليم الأعمى» و«الغوغائية»، «يا ناس ارحموها وارحموا أنفسكم» و«أنا رجل في الظل أطوي أوراقي وسأمضي قريباً» إلى غير ذلك من العبارات والكلمات التي كان العميد ينفر منها، ولا يستسيغ استعمالها.

وإذا تجاوزنا عن ذلك الاستطراد في الإجابة، وتلك العبارات التي عزيت إلى العميد وما كانت تروقه، وقلنا بأن الاستاذ غالي التقط الفكرة ثم صاغها صياغة أخرى، وألبسها حلة قشيبة من التفصيلات الجزئية، والعبارات المستحدثة، وإن أخطأه التوفيق في نسبة بعض هذا إلى العميد، فإن ذلك الحديث اشتمل على عدة أخطاء تطعن في سلامته، أو تحكم على العميد باضطراب ذاكرته، وهو ما يفقد الثقة بالحديث كله، ومن تلك الأخطاء ما جاء على لسان العميد حول انتمائه إلى حزب الوفد وعزوفه عن الأحرار الدستوريين بعد عمله معهم نحو عقد ونصف قال: كانت بيني وبين الوفد أشياء وأشياء منذ معركة «في الشعر الجاهلي» ولاحظت على الأحرار الدستوريين في كفاحهم الوطني طراوة أبناء الذوات، وفي سلوكهم السياسي إجحافاً بحقوق الفقراء، بينما كان الوفد أكثر صلابة وتعبيراً عن مطامح الجموع فآليت على نفسي أن أطوي صفحة وأفتح أخرى أكثر اتساقاً مع ضميري...

هذا التعليل لترك حزب الأحرار والالتحاق بحزب الوفد يناقض ما حدثني به العميد حول هذا الموضوع، وأثبته في كتابي «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» فقد قال وهو في معرض حديثه عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس:

«في عهد صدقي سنة ١٩٣٢ تعرضت لأزمة شديدة بسبب موقفي من الحكومة وعدم الاستجابة لها في منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية وقد أحلت على المعاش دون أن يكون لي معاش،

ولم تكن كتاباتي السياسية تدر عليّ شيئاً، فقد كنت أكتب مجاناً، يضاف إلى هذا أنه لم يكن لدي مال مدخر، وتعرضت لأزمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطني بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالي.

في هذه الظروف جاءني مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضا علي رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق، وهي جريدة وفدية، وكان راتبي فيها مئة جنيه، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة.

وكان عملي في كوكب الشرق بداية العلاقة بيني وبين مصطفى النحاس، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام وكنت أزوره كثيراً في منزله، وكنت إذا ذهبت إليه وانتظرته في الطابق الأول وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثاني فإنه يلقاني باشاً مداعباً قائلاً: طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وكان الرجل يستنصحني في بعض الأمور، وكان يأخذ بما أشير عليه، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا، ولما توليت الوزارة كنت دائماً أهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتي.

فما هو التعليل المقبول لذلك التحول السياسي في حياة العميد؟ هل هي طراوة أبناء الذوات في مقابل صلابة التعبير عن مطامح الشعب؟ أم أنها الظروف الصعبة التي تعرض لها العميد بعد إحالته على المعاش، وجعلته يعمل مع الوفد في كوكب الشرق، ثم تطورت الأحداث، وتوثقت العلاقة بينه وبين زعيم الحزب، فانتسب إليه وأصبح عضواً بارزاً من أعضائه، ثم وزيراً في آخر وزارة للوفد قبل ثورة ٢٣ يوليو؟!

وما جاء عن الرومانتيكية في أدب العميد، ورأيه في أدب نجيب

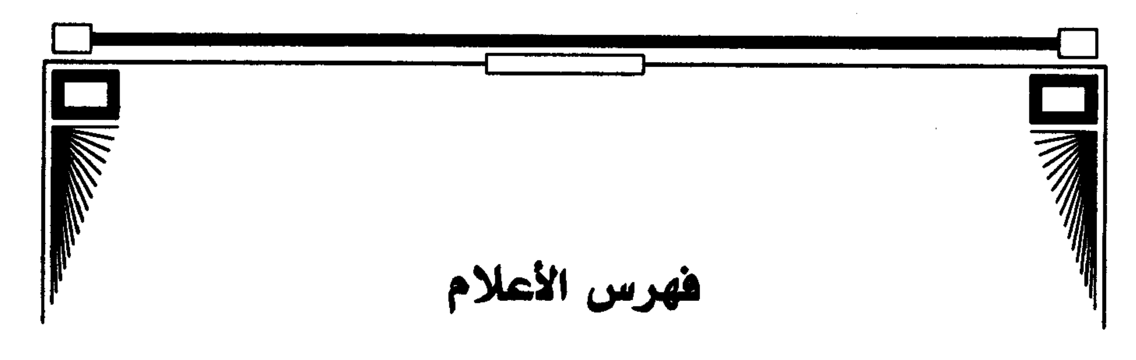
محفوظ، وبخاصة قصة «اللص والكلاب» و«ثرثرة على النيل» يخالف ما تحدث به العميد من قبل وأوردته في كتابي «أيام مع طه حسين».

ولست هنا في مجال الاستقراء الشامل لكل جزئية أو فكرة، ومناقشتها وإنما هي بعض الأمثلة في الأخطاء العلمية المبثوثة في تضاعيف ذلك الحوار، والتي تذهب بدقته أو صحته.

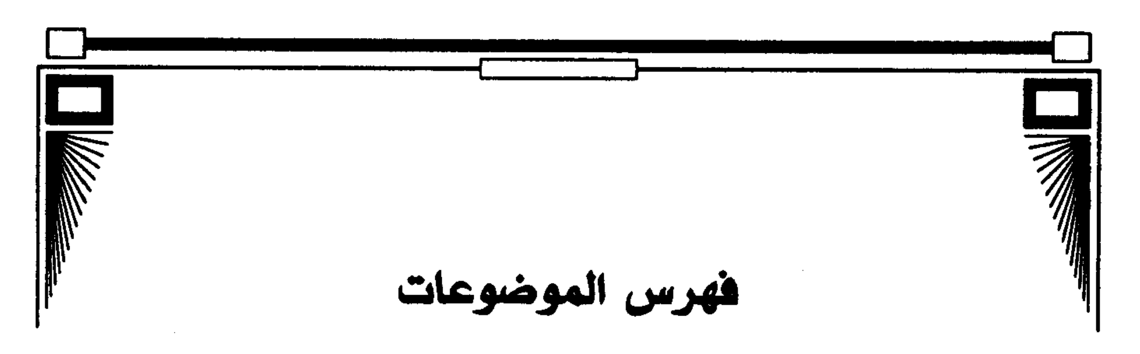
وبعد فإن المقبول والمعقول أن يكون الأستاذ غالي قد ذهب إلى العميد مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر، ودعواه بأنه تردد على رامتان نحو عشرين يوماً مردودة، تردها صحة الشيخ المريض، وموقف زوجته من الذين يسعون إليه، وسنته في إذنه لهؤلاء، وعدم السماح لأحد مهما تكن صلته به بأن يستغرق في لقائه معه ولو مرة واحدة الفترة المسائية كلها.

والمقبول والمعقول أيضاً أن يكون حديث العميد إشارات مقتضبة كعادته في إجمال القول دون تفصيله، ولأن صحته وذاكرته لا تتيح له التفصيل حتى لو أراده، ولكن الأستاذ غالي أضاف الكثير من آرائه ومعارفه وأسلوبه إلى ما أفضى به العميد إليه، فماتت أو ضاعت آراء العميد وسط ضباب الثقافة الأدبية الخاصة لغالي شكري، وأصبح الحديث في صورته التي نشر بها في مجلة الثقافة العربية. أو في كتيب بعد ذلك لا يمثل فكر العميد في العام الأخير من عمره بمقدار ما يمثل عضلات الأستاذ غالي وآراءه الأدبية والسياسية، وليس أدل على ذلك من تعليل ترك حزب الأحرار، والعمل مع حزب الوفد، فهو تعليل لم يتفوه به العميد، وإنما هو رأي للأستاذ غالي وانعكاس لتحليله للأحزاب التي عرفتها مصر في النصف الأول من القرن العشرين، ومن ثم لا يعد ذلك الحديث أو الحوار كما نشر وثيقة أدبية كما لا يعد آخر حديث تحدث به العميد، ولا يجوز ـ علمياً ـ أن يعول عليه في معرفة آرائه، أو دراسة فكره لكل ما سلف.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.



فهرس الأعلام



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- العميد ينتقد كلاماً من الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض انتقاداً مرّاً، ويشاركه في ذلك ثروت أباظة	٢٤
- العميد يقول إنه لا يسمع الآن في الإذاعة شيئاً ما عدا المصحف المرتل ويثني على قراءة ورش وحفص	٢٥
- العميد يتحدث عن مشكلة الشعر الجاهلي وكيف أن النيابة لم تتهمه	٢٥
- ويتحدث عن تآمر الملك والحكومة عليه وإحالته إلى المعاش	٢٦
- العميد يتحدث مع ضيوفه عن بعض المجلات لا سيما مجلة «حوار» التي كانت تصدر في بيروت وتمالئ الصهيونية والاستعمار	٢٧
- العميد ينتقد كتابة يوسف إدريس لقصصه بالعامية	٢٧
- إعجاب العميد بكتاب فتحي رضوان «مع الإنسان في الحرب والسلام»	٢٨
- العميد يتحدث عن تعاطيه للدخان منذ صغره	٢٨
- منح الدولة للعميد وسام «قلادة النيل»	٢٩
- العميد يتلقّى التهاني على حصوله على الجائزة	٢٩
- العميد يهاجم الموسيقار محمد عبد الوهاب ويتهمه بأنه ناكر للجميل	٣٠
- العميد يبرق إلى رئيس الجمهورية شاكراً له	٣٠
- حفل في بيت العميد لتسلمه قلادة رئيس الجمهورية	٣٠
- العميد يقول جواباً على بعض الصحفيين عن آماله في المستقبل: أنه يود كتابة الجزء الثالث من «الفتنة الكبرى» وأن يكمل «الأيام»	٣١
- العميد يقول: إن الداعين للغة العامية أعداء للعروبة والإسلام	٣٢
- العميد يعتذر عن عدم الصيام لأنه لا يستطيع	٣٢
- العميد يهتم بقضية اغتيال الزعيم المغربي المهدي بن بركة ويتعاطف معه	٣٢
- كان العميد معجباً بكتاب الأدب الجغرافي لأحد المستشرقين الروس ويأخذ على بنت الشاطئ انتقادها له	٣٣
- وكان يأخذ على بنت الشاطئ أيضاً كتاباتها عن القرآن الكريم وتفسير بعض آياته	٣٣
- رأي العميد في المستشرقين	٣٣

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- تلقّي العميد التهاني بعيد ميلاده الثمانين وكان أبرز ما جاءه قصيدة عامر محمد بحيري وانتقاد العميد للدكتورة (بنت الشاطئ)	٦٥
- حديث العميد عن تأليفه لكتاب الأيام والظرف الذي أحاط بذلك	٦٨
-العميد يتحدث مع ضيفه الدكتور محمد كامل حسين عن معجزات الأنبياء والقرآن الكريم، والكتب السماوية، وينتقد بعض ما جاء في توراة اليهود، ثم يتحدث مع ضيفه عن هبوط المستوى العلمي لأساتذة الجامعات	٦٩
- كلمة في الأهرام للدكتور لويس عوض بعنوان العميد وثناء العميد على من رفض إقالته من عمادة كلية الآداب	٧٠
- العميد يشكر لويس عوض على كلمته السابقة في الأهرام	٧٠
- آراء غريبة وعجيبة للعميد وتابعه أبي ريّة حول معراج النبي ﷺ	٧١
- زيارة وفد من إذاعة الشرق الأوسط للعميد، وقول العميد إن اللغة العربية لا خوف على مستقبلها ما دام القرآن موجوداً	٧١
- حديث العميد عن جيل الشوامخ	٧١
- رفض العميد لرأي الدكتور مراد كامل حول انتخاب الكلمات العربية المستعملة وقصر الكتابة والتعلّم بها	٧١
- إخبار العميد عن أدائه الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد قباء	٧٢
- العميد يشكو من قارئه الأستاذ فريد	٧٢
- العميد يتحدث عن قارئه فريد وعن تركه للعمل معه	٧٣
- ذكريات للعميد عن فترة عمله وزيراً للمعارف	٧٤
- حديث العميد عن أنه أول من أدخل الفتاة إلى الجامعة في كلية الآداب .	٧٤
- العميد ينتقد قارئه فريد ويرفض قارئاً يجيد العربية والفرنسية لأن اسمه «فيكتور صهيون»	٧٦
- حديث العميد عن أول درس سمعه من الأزهر وفيه إيحاء بنفوره منه	٧٧
- العميد يفتتح جلسات المؤتمر اللغوي في مبنى الجامعة العربية في ٢٧/ ١/١٩٦٩	٧٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

للمؤلف

أولاً: كتب مطبوعة:

١ - الإسلام والمستشرقون.

٢ - حديث الإفك.

٣ - الصيام في القرآن (ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية).

٤ - التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه.

٥ - الهجرة في القرآن.

٦ - الاجتهاد في الفقه الإسلامي.

٧ - في الثقافة الإسلامية.

٨ - المال في الإسلام.

٩ - طه حسين يتحدث عن أعلام عصره.

١٠ - في تاريخ القرآن وعلومه.

١١ - منهج البحث في العلوم الإسلامية.

١٢ - الإمام محمد بن الحسن وأثره في الفقه الإسلامي (ترجم إلى الأردية).

١٣ - الاجتهاد والتقليد في الشريعة الإسلامية.

١٤ - مقدمة في دراسة الفقة الإسلامي.

١٥ - الأسرة في التشريع الإسلامي.

١٦ - دعائم العقيدة في الإسلام.

١٧ - الحل الإسلامي بين النظرية والتطبيق.

١٨ - الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه.

١٩ - الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي.

٢٠ - التجديد في الفقه الإسلامي.

ثانياً: كتب تحت الطبع:

١ - الحج في القرآن.

٢ - نظرة نقدية في الدراسات الأصولية المعاصرة.

٣ - قضايا البيئة من منظور إسلامي.

٤ - محمد يوسف موسى، الفقيه الفيلسوف والمصلح المجدد.